ساحر الكتب

الرواية
الجديدة المثيرة
لمؤلف
«6 إنش»

أحمد حسين أبو الرجال

للقتل
اضغط واحد

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا
sa7eralkutub.com

إلى ابني الذي رأيته مرة...

بعض أحداث هذه الرواية مستوحاة من ثلاث جرائم، حدثت اثنتان منها داخل مصر في العقدين الأخيرين، والثالثة «قضية فريتزل» في النمسا عام ٢٠٠٨.

1

أشار سائق الأتوبيس الملطخ بشعار شركة «ريد فون» لموظف المناوبة، ابتسم الأخير حتى أذنيه وحيا السائق، متابعًا مكالمته الساخنة مع صديقة تعرَّف عليها في وقت الفراغ. ضغط الموظف، ذو الزي المميز والكاب الأبيض، على زر أمامه، لترتفع ذراع بيضاء حديدية من أمام الأتوبيس. تحرر الأتوبيس وتابع طريقه إلى داخل القرية الذكية: مساحات خضراء منظمة، وأبنية لامعة متراصة بعناية كقطع الدومينو، شوارع نظيفة وطقس أقل برودة من اليوم الذي سبقه. بدا أن كل شيء على ما يرام.

لم يكن يومًا عاديًّا بالنسبة إليه، فعلى الرغم من هدوئه كان يعلم أنه يوم كبير. كان ساكنًا، يستمتع ببعض موسيقى «داش برلين» المفضلة لديه، يركن رأسه، ذا الشعر الكثيف المموج، باستسلام على زجاج الشباك المجاور، منتظرًا بداية رومانسية حالمة لعمله الرسمي الأول. كان الأمر مشجعًا بعض الشيء، بعد «متلازمة الفشل» التي أصابته لثلاث سنوات كاملة، أهداها جميعًا إلى السفارة الأسترالية، محاولة تلو الأخرى، دراسة لا تنتهي واختبارات مقززة وشروط مملة، إلى أن أفلس تمامًا.

في النهاية، هي بداية ليست سيئة، على الأقل بالنسبة إليه. كان نحيفًا، لكن جسده النحيف كان حافلًا بالعضلات.

من هو؟

أمير الريس.

الرجل الذي ألقى بثلاث سنوات من عقده الثالث في بركان «ماونت دووم»، جنبًا إلى جنب مع الخاتم(*).

مرت بجانبه حسناء تبدو كموظفة جديدة مثله تبحث عن مقعد، لكنها رمقت المقعد الشاغر قربه وتابعت طريقها، ومرت أخرى مثلها. تابع استمتاعه بالمنظر الخارجي والموسيقى حتى باغته صوت:

- في حد قاعد هنا؟

نظر أمير في اتجاه الصوت ليجد صاحبه قصيرًا، حليق الرأس تمامًا، ويمتلك ذقنًا محددًا «دوجلاس» كبيرًا، وعينين ضيقتين تفيضان بالقبول. رد أمير وهو يلوك علكته باستهتار، رامقًا مقعده الشاغر:

- أكيد، مش شايفه بيكلمني؟

قهقه الشاب بصوت عالٍ، وجلس مستبشرًا قائلًا:

- واضح إني اخترت الكرسي الصح فعلًا.

- في مكان تاني فاضي جنب البنت...

قاطعهما صوت جاء من المقعد التالي لهما:

- هوَّ بس خايف تلاقيه، كرم بيترعب من الحريم، صح يا كرم؟

كان القائل مبتسمًا، دار بوجهه تجاههما، كان شابًّا في منتصف الثلاثينيات، ذا شعر طويل إلى حدٍّ ما. رد كرم:

- صح يا مستر ضوي.

رسم كرم ابتسامة عريضة مصطنعة ليعود الضوي بوجهه مجدداً إلى الأمام. همس كرم في أذن أمير الذي تنازل عن موسيقاه:

- دا الضوي، مديرنا، أربع كراتين بيض بط فوق بعض، أنا عارف إنك جديد. عرفتك من الوهلة الأولى.

- الوهلة الأولى؟

- الوهلة الأولى.

أعادها كرم محركًا رأسه إيجابًا بعنف بطريقة كوميدية.

صمت أمير لبضع ثوانٍ، ثم أشار إلى الكرسي الآخر معلقًا:

- كان لازم تختار الكرسي التاني.

- يا ابني الكرسي اللي هناك ده بتاع الكاتدرائية، الحتة دي كلها اسمها «الكاتدرائية». ملناش قعاد هناك.

- تصنيفك عنصري.

- إنت اسمك إيه؟

قالها الضوي بعدما عاد برأسه إلى الوراء مجدداً.

- أمير الريس.

- «أوبس»!

علق كرم، ليقاطعه الضوي بنظرة غثيان:

- أنا شكلي هارفدك وأرتاح يا كرم.

أحس كرم بصعوبة في بلع ريقه، ليتابع الضوي:

- إحنا كلنا إخوات، وكرم - معلش - بيهبّل حبتين، بس هوّ جواه غلبان وما يقصدش حاجة.

- يا ابني أنا أصلًا بتاع نسوان، مليش أنا في جو الدين ده أصلًا.

- أمير محمد الريس.

قالها أمير وارتسمت ابتسامة على وجهه بها كثير من الدهاء، قابلها كرم بصفعة في كتفه وسبة تعجب نابية، والضوي بقهقهة ساخرة، قبل أن يعود بوجهه إلى الأمام مرة أخرى. مازحه كرم:

- بس تصدق أنا من الوهلة الأولى حبيتك!

قالها وانفجر ضاحكًا، لكن أمير بادله بابتسامة هادئة، وأعاد السماعات إلى أذنه، وسرح مع شوارع القرية الذكية المنمقة.

٢

في داخل المبنى وقف الضوي أمام سبورة بيضاء كُتب عليها شيء بالإنجليزية: «إيه. إتش. تي». اصطف الموظفون الجدد والقدامى، وخلفهم تراصت المكاتب بالعشرات، كل يناجي حاسبه، وشعار الشركة المميز في كل مكان كنجمة داود داخل مبنى «الموساد» في فيلم عربي قديم، رائحة الفراولة الكيميائية المستهلكة، وبضعة أشكال وأوجه مختلفة، وهي... جاءت من بعيد.

لم يعلم أمير كثيرًا عن كينونتها، لكنها كانت من نوعية الفتيات اللواتي يجبرن كل الرقاب على الالتواء وكل الرؤوس على الدوران في اتجاهها.

كانت نحيفة، متوسطة الطول، بيضاء ولها أنف دقيق، ليس بقصير، مميز للغاية، عيناها ملونتان كقوس قزح، وجهها غير شرقي بالمرة، تلف شعرها الفاتح بشال أبيض اللون (تربان)، ولكنه بدا مميزًا أيضًا، فهو غير المنتشر تلك الأيام، كأنها صنعته بنفسها، أو أنه صُنع لها بطريقة ما.

تجاهلت الجميع بثقة، مرتشفة بعض القهوة المحلاة باللبن في مج حراري مستورد، أعادت خصلة شعر غافلت

غطاء رأسها وفرت إلى خلف أذنها في طريقها. كانت أنيقة بدرجة سادية. كانت من نوعية النساء اللواتي يثرن حنق ضعاف الشخصية، واهتمام القياصرة.

يعلم أمير أنه لن يحصل عليها في مليون عام حتى ولو حاول كل يوم حتى أدمى نفسه، ببساطة لأنها لا تراه.

تابعها الضوي ببصره حتى استقرت. بالنسبة إلى رجل مثله، مطلق، يحبه رؤساؤه في العمل، وتمت ترقيته مرتين مؤخراً... ينقصه شيء واحد فقط، فتاة مثلها.

لكنه يعلم أنه لن يصل إليها هو أيضًا في مليون عام مماثلة، فمذاكرته وتفانيه في عمله، وطلقات «الإسفين» التي يطلقها من مدفعه تجاه أقرانه في العمل لن تساعده في الحصول عليها، ولا حتى رابطة عنقه الكبيرة التي تجعله يبدو في سن الستين. كل هذا سيتحول إلى رماد أمام عينيها العسليتين الحادتين.

نكز كرم أمير في كتفه عندما رأى عينيه تتابعان «بان» كالكاميرا، ثم همس في أذنه:

. اسمها «بان إمام»، كانت مخطوبة لشامل، مهندس الاتصالات اللي في المبنى ٢ اللي قدامنا، أبوها سفير سابق، هيّ اللي سابت شامل وحفي وراها وما اتهزتش. وللعلم، شامل نص بنات الشركة والشركات التانية حيحانة عليه، ما تحاولش يا صديقي. اللي زي «بان»...

بتقلي الرجالة اللي بيحبوها على الفطار جنب الأومليت، وبعدين بتأكلهم للكلب بتاعها.

قطب أمير حاجبيه ورمقه بنظرة قاسية، فتابع كرم:

- ما تبرقليش يا عم إنت، أنا قلت أحذرك قبل ما تحبها. أتمنى ما اكونش اتأخرت!

هم أمير بإطلاق سبة نابية، لكن صوتًا قاطعهما. كان صوت الضوي، الذي امتلك جأشه، ولوح بكارت مدلى بشريط أحمر في رقبته معلقًا:

- هيتعملكوا كارت زي ده بالظبط، هتقدروا تخشوا بيه القرية الذكية، تاكلوا بيه، تسجلوا حضوركو وانصرافكو بيه، تسافروا أوروبا بيه... الأخيرة دي تهريج طبعًا.

«تسافروا أوروبا بيه»، كلمات هينة قالها ذلك الأخرق، هكذا فكر أمير، هو يقف هناك، كالطاووس، يمزح عن التنزه في أوروبا، بينما أمير يفكر في عجز موازنة الشهر التي تجاوزت الألف ومائة جنيه، مصاريف الدواء الجديد الذي أضافه الطبيب، إضافة لأسعار السجائر التي تزيد بصفة شبه دورية، غير بعض المصاريف النثرية الأخرى.

انفجر بعض الموظفين حديثي التعيين بضحكات مجاملة باردة، فيما ظل أمير كما هو، يراقب أسنان الضوي المتناحرة المتقاطعة كسيارات وقت الذروة،

ولعابه المتطاير وشعره الداكن الطويل المثبت بأطنان من الجل، أنفه الدقيق وأذنيه الكبيرتين، نهاية برأسه الصغير غير المتناسب مع طوله الفارع وذراعيه الطويلتين. لسبب ما، لم يكن يحبه. ولسبب آخر، أحب السبب الأول.

ساعة كاملة من الشرح رفض فيها الضوي إعطاءهم أي مناسبة للراحة أو حتى للجلوس، فكلما كان الأمر مؤلمًا كان أكثر جمالًا. الأمر بالنسبة إليه لم يكن عملًا أو وظيفة، بل أشبه بعلاقة حميمية سادية بين قاتل مريض وعاهرة، لا بد أن يكون الأمر دمويًّا قدر المستطاع، وإلا لن تصل الأخبار لأحمد وجيه، «مستر وجيه» كما يلقبه الجميع، مدير الضوي الذي قاتل لترقيته، ومثله الأعلى، كما أقنعه الضوي في لحظة صفاء سريالية. فهو يحب أن يسمع نوعية أخبار وشكاوى مثل: «الضوي بهدلنا في الشغل، الضوي مطلع عينينا! ده ما عندوش رحمة»، وإلا فهناك شيء غير طبيعي في الأمر، حتى الضوي نفسه يعشق سماع تلك الكلمات عن نفسه.

- يبقى لو جاتلك شكوى هتعمل إيه؟

- يا «تهاندل» يا تقندل، سهلة أهي. مفيش حاجة تالتة!

وأخيرًا زي ما اتفقنا: الأبيوز، الأبيوز، ثم الأبيوز.

هتمشي عدل هاشيلك فوق راسي، هتأبيز مرة، هاحط حواليك دايرة، هتأبيز بعدها بسنة مرة تانية، هتركب الصاروخ على طول.

أضاف:

ـ تعليمات مستر وجيه، مش أنا واللّه.

بالطبع لم يستفسر أحد عن نوع الصاروخ المستخدم أو اتجاهه، فالكل يعلم أن أسهل خطوة يمكن لموظف القطاع الخاص الحصول عليها هي الرفد. بعض الشركات ترفد بعنف، وبعضها ترفد لضخ دماء جديدة وتوفير رواتب قدامى العمال، وبعضها ترفد للمتعة، الأمر أمسى كإطلاق الرصاص على قرود في حديقة خاصة. وفي بلد مثل مصر يمكنك، كصاحب شركة، استخدام مدفع متعدد الطلقات من دون أن يلومك أحد، يمكنك أن تجرب صواريخ جراد، إن أردت، من باب القتل الجماعي للقردة. ولأنها ـ أي مصر ـ بلد به كثير من الثغرات في قانون العمل الخاص، أصبحت معظم الشركات من النوع الأخير.

٣

ظل يركض بسرعة مخيفة كأن ملك الموت خلفه، يلهث وهو يقفز من فوق عربات الخضار فيسقط على وجهه فيستدير ثم يقوم، يركض مجدداً ثم يقفز من فوق بضعة سلالم تلك المرة، ثم يرمق شيئًا أحمر اللون يطارده كالشبح، ويركض مجدداً بأقصى سرعة، لينتهي به الأمر في زقاق مسدود. نظر غير مصدق إلى السور، ثم توقف عن اللهاث وبلع ريقه ببطء. ثم التفت ليسمع صوت طلقتين صرخ بعدهما حتى بلغ صوته حدود الآفاق، سقط على الأرض ممسكًا بركبتيه الداميتين، ثم زحف على الأرض مبتعداً عن ذلك الشبح الأحمر، الذي ظل مصوبًا سلاحه ببرود قائلًا:

. هات التلاتة.

لم يدارِ الرجل ذو الشعر الكثيف هلعه وهو يُخرج ثلاث عملات معدنية من جيبه ويلقيها أمام أرجل الشبح ذي اللون الأحمر، والذي لم يكن سوى أمير الريس وهو يرتدي بدلة حمراء قاتمة من النوع المطاطي، تتوسط صدره علامة شركة «ريد فون»، وعلى رأسه غطاء رأس أحمر به خطان صفراوان، وصل إلى عينيه.

. فاضل نص!

قالها أمير بوجه متجهم، ليُخرج الرجل المصاب بضع عملات معدنية بيد مرتعشة، وتسقط معظمها أرضًا، فيتلقف منها نصف جنيه ويرميه أمام قدمي أمير، الذي تغير وجهه المتجهم إلى وجه آخر مستبشرًا:

. شكرًا لاستخدامك خدمة «سلفني»، يمكنك الاستفادة من الخدمة مرة أخرى عند الشحن مجددًا.

جيت اب ستاند اب!

ستاند اب فور يور رايت

جيت اب ستاند اب!

دونت جيف اب ذا فايت

تعالت موسيقى «بوب مارلي»، مبهجة، غير موائمة للموقف، جعلت أمير يحرك رأسه في اتجاه الصوت، فاغرًا عينيه.

يوم جديد، أشارت الساعة إلى السابعة صباحًا، لقد كان كابوسًا. المثير في الأمر أنه نسي تغيير التوقيت الشتوي، فقام ساعة كاملة قبل الوقت، والأسوأ أنه لا يمكنه النوم مجددًا، لذلك كان قراره الذي يحبذه دائمًا: الركض.

ارتدى قميصه الرياضي القديم، وانتعل حذاء مستورداً، قُطع جزء من نعله الأيمن. ركض لنصف ساعة كامل، كان الهواء بارداً كالجحيم، يجمد رئتيه. لم تكن الشمس قد قست بعد، والهواء محمّل ببعض الضباب الأبيض. جسده نحيف، وعيناه ناعستان قاتمتان، ووجهه مستدير، لا يتغير ذلك التعبير الدائم على وجهه، كأنه يقول: «لقد فقدت كل شيء».

بالفعل فقد الكثير، فالنهاية لم يكن ليتخيلها مثل تلك، بعد وفاة والده وأخته في ذلك الحادث. «وفاة طالبة ووالدها في شقة بمدينة الرحاب مختنقَين». لسبب ما لا يزال يتذكر العنوان في جريدة «الأهرام». أرادت أن تفاجئ والدهما بصينية «البسبوسة» التي يعشقها فنامت أمام الفرن، وتسرب الغاز، واختنق الاثنان. تلك الصرخة التي صرختها حينما أفاقت فلم تجد الهواء، افترضت جارتهم أنها قادمة من التلفزيون. من السيئ أن تصبح أنت الخبر.

تغيرت الحال فجأة، انقلب عالمه وساده صمت مؤلم. كانقطاع الكهرباء عن التلفزيون، كل شيء أصبح أكثر قتامة، فمرتب والده الخيالي تم قطعه، ولم يستطع الحصول على أي معاش، إلا قليل من المال من شركة الأدوية التي كان يرأسها. فلا يوجد بند واحد في العقد يرغم الشركة على أي شيء.

- من حقك بس باقي «الإنسنتف».

هكذا قال رئيس الشركة الجديد. صوته الهادئ لدرجة البرود لا يزال يُعاد في عقله.

انتهى به الأمر بعيداً عن الشقة التي كان يحبها في مدينة الرحاب، ومنها إلى غياهب القاهرة، لا سور يحميه هو وأمه من الدخلاء، لا مكان مخصصاً للتريض والركض، الحقيقة كانت اكتشافه أنه وأمه المريضة أصبحا الدخيلين. نهاية بمالك عقار مستغل، أنيس، مُدرس لغة إنجليزية متقاعد، عيّن نفسه مساعداً لزوجته (مُدرسة اللغة الإنجليزية أيضًا)، يصحح لها كراسات الطلاب، ويكتنزان الأموال معًا، وكلما وصلا إلى رقم معين قاما بشراء عقار ما، شقة مثلًا، محل ما. وكان حظه العثر أن تعاقد معه على تلك الشقة، وحظه الأعثر أنه يرفض أن يعطيه أي إيصال مقابل الإيجار الشهري.

كانت غرفة أمير عبارة عن متحف صغير للدمى، فأمير مغرم - حرفيًا - بتصنيع الدمى عن طريق مشاهدة موقع اليوتيوب، نسختان مثبتتان من علاء الدين وبجانبهما شخصيات «شركة المرعبين المحدودة»، يركض بجانبهم «رود رانر»، أو «بييب بييب» كما يلقبه الصغار، العديد من المواد الخام الملونة والمواد البلاستيكية والمعادن، وأكياس «شيتوس» فارغة صنع منها شخصية النمر الذي يزين منتج «شيتوس» ببراعة. لقد كان لديه ما تبقى من ورشته الخاصة، حطام لا بأس به من شركته الصغيرة لصناعة الدمى وتصديرها. كان ذلك بعد وفاة والده مباشرة. وبالفعل شرع في استيراد

المعدات والمواد التي يحتاجها، لكنها ظلت كما هي في الميناء بعدما أرسلتها له شركة صينية، لأنه لم يستطع إخراجها من ميناء الإسكندرية، فهو لا يملك واسطة في الجمارك، ولم يمتلك الأموال الكافية ليدفع المبلغ المطلوب منه قسرًا.

الطريف في الموضوع أنه كان قد عرض على كبار محال الألعاب في مصر تصاميمه، ونالت إعجابًا كبيرًا، بل واتفقوا على الحصول على كمية جيدة بسعر مرضٍ للغاية، لكن هيهات، الأمر ليس بتلك السهولة في المحروسة.

*

في طريقه للعودة إلى شقته - بعد الركض - لاحظ أمير رجلًا يعلق شيئًا ما على الحائط الخشبي المعلق في مدخل البناية، بدا كورقة كبيرة الحجم، كان الأستاذ أنيس، وكان الخبر غير جيد، لقد قرر أن يزيد إيجار شقته، الحجة كانت جاهزة وغير قابلة للمراوغة: سعر الدولار الجديد. حاول أمير أن يلتقط بعضًا من أنفاسه وهو يستمع للكنة المستر أنيس الغريبة، التي توحي بأنه ولد في فرنسا وليس في القاهرة، وكلمة «حبيبي» التي يكررها مرارًا في كل جملة، نهاية بجملته التحذيرية - على الرغم من وقعها الأبوي - أنه لا يجب على أمير أن يسأل في كل مرة عن إيصال مقابل الإيجار، لأنه يعتبره ابنه كما يقول!

فعلى حد قوله أنه قد وضع ١٥٠ جنيهًا زيادة فقط على إيجاره بداية من اليوم، سعر الدولار تغير، كانت تلك وجهة نظره، في حين أنه أقر ٢٠٠ على مستأجر الشقة الأخرى التي يمتلكها في البناية، إضافة إلى التأمين وغيره من الكروت التي يستخدمها دائمًا حينما يحدثه أمير بأي شكوى. الجحيم كما يجب أن يكون.

ما إن انتهى من إعداد الإفطار السريع المعتاد حتى سمع صوت استيقاظ أمه، التي نالت منها متلازمة باركنسون غايتها، فأقعدتها عن العمل والحياة. قامت تلعن مثل كل يوم. يبدو أن شيئًا ما عكر مزاجها كالعادة.

- الأميرة ديانا مالها؟

- بطل تقولي الكلمة دي!

ابتسم أمير وهو يحرر البسكويت من كيسه البلاستيكي مضيفًا:

- في مشاكل في القصر الملكي؟

- قال قصر ملكي، الراجل الزبالة اللي قدامنا، عمال يخبط في شقته، جابلي صداع. أنا عايزة أقتله الكلب ابن الكلب!

ضحك أمير وهو يمضغ قطعة من البسكويت، ثم أمسك ببراد الشاي الزجاجي ووضع كوبًا فارغًا أمام الجزء الخاص بها من الطاولة. استقرت والدته في الكرسي المقابل. بدت نحيلة، تعاني من بعض الصلع في منتصف رأسها، إلا أن شعرها كان داكنًا وناعمًا للغاية، عيناها زائغتان، وفمها مغلق دائمًا. تساءل أمير ساخرًا:

- شاي جلالتك؟

زامت وحركت يدها في الهواء بعصبية. ظهر عليها كثير من الرعشة المعهودة وهي تتساءل:

- سجايري فين؟

- خلصت إمبارح، اشترتلك دي.

وضعت سيجارة بأعجوبة بين شفتيها النحيفتين، ثم نظرت إليه. وضع البراد الزجاجي، وأخرج من جيبه قداحة، أشعل بها طرف السيجارة، ثم ألقاها على الطاولة، وأمسك بالبراد مرة أخرى.

- شاي؟

قالها بوجه يحمل بعض الجدية.

بعدها بدقيقتين، انتهى أمير من إطعام صديقه «مارلي» المستقر في البلكونة، في محبسه، هو الوحيد

المتبقي بعد القط الكسول «كيم» الذي عرضت خالته الحصول عليه، وسمكة تصدّق بها لطفلة كانت تجاوره في مسكنه القديم، وكانت طفلة مملة للغاية.

أدخل «مارلي» داخل الشقة، وتأكد من إغلاق باب البلكون المعدل (هناك جزء مكسور في الباب ألصق به قطعة خشب قديمة كحل مؤقت، إلا أن الحل المؤقت تحول إلى دائم بطريقة ما). طار «مارلي» في البيت حتى استقر قرب السقف، فوق تكييف قديم معطل، ثم بدأ يردد بعض العبارات غير المفهومة ويصفر كعادته.

صاحت به أمه لتعيده من شروده:

. هاحتاج قرشين منك زيادة!

كانت ترتشف من كوب الشاي بيدها اليسرى نصف المرتعشة، وكانت يدها اليمنى أكثر ارتعاشًا من يسراها، فإهمالها في علاج متلازمة باركنسون صنع من يمناها أرجوحة لا تهدأ أبدًا. ألقت ببقايا السيجارة في المطفأة، وفتحت التلفزيون ثم أشعلت سيجارة أخرى.

على الجانب الآخر من السفرة المتواضعة، بدأ أمير إفطاره المتكون من جبنة قديمة، وبضعة أقراص من الطعمية الباردة. أضافت بنبرة الصوت نفسها لأمير، الذي ارتشف بعض الشاي من دون أن يرفع عينيه من الطبق:

. أنا عارفة إنك مش محتاج تشيل هم تاني، بس هاحتاجهم عشان سمية.

. اتصلت بيكي؟

. عدت عليّ من يومين، عايزة فلوسها.

صمت أمير وهو ممسك بكوبه الزجاجي. لم يتحرك. ظل يرمقها بتلك النظرة.

. إيه مالك؟

قالتها وهي ترتشف من كوبها بدورها.

. اتصلت بيّ إمبارح من الإمارات.

. وأنا باقولك عدت عليّ!

. هيّ عندها طيارة نفاثة؟!

. تقصد إن ماما كذابة يعني؟

. أنا باكلمك على حقيقة.

. حقيقة إيه بالظبط. إنت أصلًا ما بتحترمش أمك من الأساس!

- لا، إنتِ اللي ما بتحترميش عقلي، عايزة تشتري سجاير أكتر من اللي اتفقنا عليه مع بعض، وإنت عارفة الدكتور قال إيه لما...

- ما تتكلمش مع أمك بالطريقة دي!

- إنتِ بتتكلمي عن الطريقة ولا الـ...

- اخرس خالص!

قالتها وألقت كوب الشاي بعيداً لينكسر.

أخذ «مارلي» يردد أغنية المنبه الخاص بأمير، لكن الكلام لم يكن واضحاً. رمق أمير أمه بنظرة نارية، سادت بعدها دقيقة من الصمت. ترك أمير ما تبقى من إفطاره، ثم صفع كرسيه وهو يقوم لتمسك قبضته بالشنطة الخاصة به. تمم على قميصه. قال وهو يهم بالخروج:

- اعتبري الفلوس موجودة.

ألقاها وبلع بداخله حديثه الأخير مع أنيس، وشرب رشفة أخرى من الشاي ليبلع الكذبة المثيرة للسخرية. كذبته التي قالها من قبل: أن مرتبه ألفا جنيه. قالها لأنه أشفق على أمه، فأراد أن يعطيها الجزء الأكبر من راتبه: ١٥٠٠ جنيه بالتمام. الحقيقة أن مرتبه ألف وسبعمائة وخمسون.

واختفى.

*

عند مدخل المبنى ١، تحديداً في الشارع المقابل للبوابة، اتجهت «بان» نحو البوابة، تخطو بسرعتها المعهودة فوق الأسفلت المرسوم عليه بالخطوط البيضاء العريضة، تتحدث في هاتفها، وتنظر أمامها وفي يدها اليسرى كوبها الحراري. اخترق أذنها صوت صرير عالٍ، تجمدت في مكانها ونظرت إلى يسارها لتجد سيارة «فولكسفاجن» تكاد تلتصق بالأرض، قد كبس سائقها على مكابحها لتنزلق وتقف على بُعد متر واحد منها، إلا أن السائق كان مبتسماً.

لقد كان يسري صديق شامل المقرب، كلبًا مطيعًا ينفذ ما يقوله شامل حرفيًا، وفاق الأمر التعليمات فأصبح يدلي بدلوه ويضع بصمته الشخصية، فقد فعلها في السابق وأخاف «بان»، فسقط منها كوبها الحراري وانكسر. وها هو يعيدها، هو يعلم أن «بان» لن تشتكيه، فهذا ليس هي، ليس أسلوبها.

ما إن اقترب أمير من المبنى بدوره حتى لاحظ ما حدث. تحركت «بان» في اتجاه الباب، فاستوقفها يسري مجدداً، تحرك بسيارته وهددها مرة أخرى لتتوقف. أسرع أمير من خطاه في اتجاه «بان»، لكن يسري تدارك الموقف قبل أن يتدخل أمير، وتابع طريقه إلى المبنى ٢، فهو أغبى من

أن يخرج نفسه من حرب ليست له، وأذكى من أن يعطي الأمر أكثر من أربع ثوانٍ، وإلا قد يلحظ البعض ما حدث، ولن يصدق أحد أن ما يفعله غير مقصود.

في المبنى ا، وقف أمير بجانب كرم واثنين آخرين، كانا ينتظران قائد مجموعتهما الصغيرة. كانوا أربعة: أمير، وشاب طويل للغاية أبيض البشرة، وفتاة محجبة قصيرة يمازحها كرم. تحدث الشاب الطويل، ذو نظارة النظر الدقيقة، لمدة ربع ساعة كاملًا، معظم حديثه تمحور حول شيء ما في بعض كتب التنمية البشرية التي قرأها، وعن علاقته بأحد النجوم الجدد في سماء التنمية البشرية، والذي يمكنه أن يملأك طاقة إيجابية حتى تحدث لك طفرة جينية وتتحول إلى «الرجل الخارق» ذي الأجنحة الأربعة.

قطع أمير عن أذنيه الهراء، ووضع سماعاته منتظرًا دوره في فقرة العمل.

الجميل في الأمر كان قدومها، فبعد انتظار ممل جاءت «بان»، رمقتهم جميعًا بنظرة متفحصة طويلة، ثم أشارت لأمير بكوبها الحراري، راسمة ابتسامة دافئة يغلفها كثير من الرسمية. تقدم أمير، جلست وجلس أمامها، شرحت له بعض الأمور عن الحاسب، وعن نظام العروض اليومية وكيفية مراجعته يوميًا، نهاية بـ«التارجت». كان الأمر يبدو سهلًا لينًا، نظريًا، إلا أنه كان يجاهد ليبقى منتبهًا، فهناك شيء ما في حديثها

يجعله يفقد تركيزه، ربما لهجتها، أو طريقتها في الإلقاء... أو كل شيء فيها.

بعد انتهاء الكلام النظري بدأت في استقبال مكالمة، وبجانبها أمير، يستمع معها إلى كل شيء عن طريق سماعة إضافية، وأمامه ورق كتب فيه بعض الملاحظات والجمل التي يجب أن يعلمها عن ظهر قلب.

أربع مكالمات متتالية، كان يستمع إليها ويراقب حركة أصابعها فوق لوحة المفاتيح، حركة عينيها وتقلباتها بين جنبات شاشة الحاسب. للحظة اكتشف أمير أنه كان يكتم أنفاسه بعض الأوقات حتى يستمتع بصوتها بنقاء أكبر، وكانت تلك المرة الأولى التي يتمنى فيها أمير ألا تنتهي فترة التدريب. سألته وهي تطقطق أصابعها مبتسمة:

- اتعلمت حاجة؟

أزاح أمير السماعات عن رأسه على مرتين، كأنه يشعر بالصدمة من سؤالها.

- جداً.

قالها وبلع ريقه.

- مالك؟

- مش فاهم...

- وشك مخطوف ليه؟

- لا، بس الـ... أول مرة أسمع تلفون خدمة العملا من الناحية التانية، أقصد إني أكون أنا اللي باسمع الشكوى.

فتحت كوبها الحراري وارتشفت منه رشفة، ثم ابتسمت ابتسامتها الساحرة، وأزاحت خصلة من شعرها الذهبي الفاتح، خصلة استطاعت الفرار من غطاء رأسها المميز، ثم قالت بعدما بلعت رشفتها:

- خلال أسبوع إنت اللي «هتهاندل» المكالمات بنفسك، أوعدك إنك هتتعود على الموضوع لدرجة إنك هتتمنى تكون الناحية التانية من تاني.

أغلقت كوبها وأوضحت:

- أقصد: ناحية العميل.

بادلها بنصف ابتسامة، لم يكن يعلم إن كانت تمزح أو تحذره، لكنه تمنى لو كانت تمزح بالفعل.

٤

اليوم التالي.

ملقى على ظهره، فوقه كتاب مفتوح، فاغر فاه كأن فوق صدره جاثومًا، وسط غرفة منظمة نسبيًا لكن تملأها الكتب. غطاء السرير ملقى على الأرض، ومروحة معطلة موجهة ناحية السرير. لقد اعتاد أن يجعل المروحة تعمل حتى في ليل الشتاء الحالك، ليس لأن غرفته تملأها تلك الرائحة العفنة التي تملأ الشقة بأكملها، وليس أيضًا لأن غرفته دافئة دائمًا تميل للحرارة حتى في الليالي الباردة القاسية، بل ربما لأنه يشعر بنقص دائم في نسبة الأكسجين في هذا البيت.

و... صوت حشرجة، خرج منه كأنه استيقظ تحت الماء، فتح عينيه عن آخرهما، ثم تحرك فسقط الكتاب عن صدره، مال ليرى المنبه فوجد شاشته سوداء حالكة، تحقق من السلك الموصل بالكهرباء، فوجده متصلًا، ثم رمق المروحة فوجدها أيضًا ثابتة كأنها ماتت. أيقن ما حدث، وغرس رأسه في مخدته، ثم تابع تسديد الضربات برأسه في يأس واضح. وأخيرًا أمسك بساعته ليجد أن الوقت قد تجاوز ميعاد الاستيقاظ بأكثر من نصف ساعة، والمشكلة أن هاتفه كان متصلًا بالشاحن ويبدو أن الكهرباء قد قطعت مباشرة بعد نومه، لأن هاتفه كان

مشحونًا ومغلقًا في الوقت نفسه، أي أن الكهرباء قطعت مرتين، مرة بعد نومه ومرة قبل استيقاظه. حتى هاتفه عجز عن إنقاذه.

*

بعد سبع دقائق فقط كان أمير يدق باب جارته، منقذته الدائمة، التي فتحت بغتة وهي تلف حولها روبًا بدا مستهلكًا. ضغطت على نظارتها الطبية الكبيرة وتفحصته، وألصقت ابنتها رأسها بين الفرجة البسيطة التي فتحتها بفضول واضح.

. اتأخرت عن شغلي، معلش هاتعبك تاني.

استقر ميكروباص متهالك، عاشَر مصر منذ أن كان محمود ياسين فتى الشاشة الأول، أمام سور النادي الأهلي بمدينة نصر. ما إن نزل أمير منه بأعجوبة، حتى لمح أتوبيس الشركة يركض بعيداً في اتجاه طريق السويس. فجأة قررت كل السيارات أن تترك لأتوبيس بحجم «جودزيلا» المرور، وفجأة قررت مدينة نصر ألا تعاني من أي اختناق مروري في تلك اللحظة المرعبة. هكذا دار الأمر في رأس أمير.

سيعنفه الضوي، سيرمقه بنظرة سكرتيرة متعجرفة، تشعر بالملل، لعامل تصليح كهرباء سقط من على سلم بعد ساعة ونصف من محاولة تصليح لمبة مهتزة.

ومع الوضع في الحسبان أنه لا يمتلك ثمن التاكسي للقرية الذكية، إلا أنه، قرر ـ فجأة أيضًا ـ ألا يقبل تلك النهاية، وركض خلف الأتوبيس كالسهم.

كان «آندي» يجلس في الكرسي المجاور للسائق، يتشاركان الحديث، بينما يدخن «آندي» سيجارة بجانب الشباك الوحيد الذي يمكن فتحه في الأتوبيس، حتى شاهد شخصًا يركض بسرعة لم يعتد أن يراها سوى في الأوليمبيات، على ظهره شنطة تهتز بسرعة جنونية، يصرخ لكن صوته كان بعيدًا للغاية. لقد تعرف على وجهه بعدما ضيق عينيه. لقد شاهده مرة أو اثنتين في المبنى ٢.

بعدها بثوانٍ قليلة هدأ الأتوبيس من سيره، وفتح الباب الأمامي الأوتوماتيكي، ليظهر «آندي» وعلى وجهه ضحكة ماكرة، ويده الطويلة ممدودة.

قفز أمير وأمسك بكف «آندي»، واستقر داخل الأتوبيس. أخذ يلهث تكرارًا كأنه على وشك الموت.

أراد أن يتفوه بشيء لـ«آندي»، لكن الأخير أشار له أن يهدئ من روعه، راسمًا ابتسامة بدت غريبة لأمير، تحمل مزيجًا من المكر والسخرية.

بعد نصف دقيقة نطق أمير أخيرًا:

- شكراً!

أطلق «آندي» ضحكة كبيرة، وحرك رأسه ناحية السقف، ثم قال مشيراً إلى الباب الذي أغلق مرة أخرى:

- أنا ما اعرفش كتير عن الجري، بس دي كانت أسرع ١٠٠ متر شُفتها من أيام «بولت»، مان!

لقد ظهر جليّاً على لهجته أنه غير مصري، ناهيك عن شكله المميز، كان نحيفاً، طويلًا للغاية، ويمتلك أطرافاً طويلة مثله، أذنين صغيرتين مستديرتين بارزتين، ووجهاً صغيراً للغاية، وعينين غائرتين، وفماً صغيراً، وأنفاً دقيقاً.

فسر أمير بصوت خافت يعتريه التردد:

- كنت أسرع وينج يمين في الزمالك، قبل ما يجيلي صليبي.

- صليب؟

أعادها «آندي» وضيق عينيه.

تدخلت فتاة، تضع كحلًا مبالغاً فيه فوق عينيها الواسعتين كأنها تستعد لعيد «الهالوين»، وقالت بإنجليزية صائبة ولهجة أمريكية صريحة:

- «سيد الظهور الدرامي» يقصد الإصابة بالرباط الصليبي.

ألقتها وهي تمر ناحية السائق، ثم رمقت أمير بنظرة غير مريحة وتابعت، وهي تحدث «آندي» بإنجليزية اعتقدت أن أمير لن يفهمها:

- لا تصدق كل ما تسمعه في مصر، معظم الرجالة هنا أبطال أوليمبيون، أو رواد فضاء أقعدتهم إصابة عمل!

ثم مالت ناحية السائق، كأنها تريد أن تقول له شيئًا. كانت نحيفة، شعرها أسود لافت، ترتدي بنطالًا أسود غريب الشكل، أخرقت أنفها وجانب حاجبها وأذنها اليمنى في أربعة مواضع مختلفة.

ضحك «آندي»، ولكن أمير لم يعلق، ومال ليستند على كرسي قريب منه وهو يراقب الفتاة بنظرة ثابتة.

ثم عاد ببصره ليجد «بان» تشاهد ما حدث بعينين حادتين كعادتها، فهي تجيد المشاهدة كالقطة، والصمت كالسمك...

عاد «آندي» مخاطبًا أمير:

- كويس إن في أكشن لسه في مصر، الحياة هنا مملة «مان»!

لقد كانت لغة الجسد الخاصة بـ«آندي» مميزة للغاية؛ الطريقة التي يقرب بها أصابعه من رأسه وهو يتحدث، عضلات وجهه المعبرة عن كل كلمة يقولها. ابتسم أمير ووافقه بتحريك رأسه إيجابًا. عدل من وضع شنطته، في طريقه إلى مقعد شاغر شاهد كرم يتحدث مع شاب ضخم الجثة، ولم يغفل عما حدث للتو، فقد كان يحدثه مبتسمًا، وهو يرمق بطرف عينه أمير. ظهر رأسه من خلف المقعد كأنه طفل يشاهد كارتون في نافذة جاره.

لم يكد أمير يقترب منه حتى وجد الشاب الضخم يقوم بغتة، ويترك مكانه. عدل أمير من وضع شنطته، وتابع طريقه إلى نهاية الأتوبيس، لكن كرم استوقفه:

ـ آخر كرسي فاضي في الأتوبيس هنا.

تساءل أمير وهو يجلس:

ـ اتفرجت على الفيلم من أوله؟

ـ آه، وشُفت البت ياسمين وهي بتحفّل عليك.

ـ مين هيَّ؟

ألقاها وأخرج من شنطته زجاجة ماء بلاستيكية وشرب منها شربتين. قطع كرم سكونه، وتحدث بفم شبه مغلق كأنه يلقي بسر حربي:

- ياسمين يوسف. مؤلفة ورائدة حركة «معًا من أجل تحرش أفضل»، بتدعي ورا الأدان، وبتحضر قداس الكنيسة، مهمتها نشر الحب والسلام... والزهري. صفحتها على الفيس مليانة إباحة أكتر من قصص التمانينات. فردة «بان» بالمناسبة.

- إزاي؟

اتسعت عينا أمير للمرة الأولى كأن كرم قذفه بحجر في رأسه.

- صاحبتها من سنين، «بان» بتعتبرها بنتها الضالة، بتعاملها كأنها عندها تلات سنين، خدت استمارة ٦ قريب.

- اترفدت؟

- اطّلقت.

شرب أمير شربة أخرى من زجاجته وأحكم غلقها، ثم أعاد الزجاجة إلى مكانها وهو يتابع حديثًا مرحًا بين «آندي» وياسمين، التي استمتعت بالتحدث معه بالإنجليزية، على الرغم من أن عربية «آندي» تؤهله للعمل فوق عربة فول في قلب العاصمة باقتدار. كانت تضحك بصوت عالٍ، وعلى وجهها تعابير اختلفت بين

الامتعاض ـ من قصة بدأت بحكي تفاصيلها ـ وبين سعادة مفرطة.

مال كرم مجدداً نحوه ليضيف:

ـ بالنسبة إلى الشمبانزي المستورد، اسمه «آندي وجدي مدكور»، معاها في قسم «اليو كي»، أمه إنجليزية وأبوه مصري، أخوه هربان من البوليس عشان عوّر ظابط، هوّ كمان محدش عارف هوّ جه هنا ليه. بالمناسبة، حاول يحُكها مع «بان» بس هيّ بتعامله معاملة أطفال الشوارع.

هدأ قليلًا، ثم تابع وهو يرمقه بنظرة غير مريحة:

ـ ما تستغربش شكله، الكاريزما ليها مفعولها. اتخيل إنه جاي من إنجلترا عشان يبصلنا في اللقمة يا صديقي. بيض بط «إفري وير»!

ـ مين قالك إني مهتم أعرف؟

حرك كرم حاجبه متعجبًا، فاغرًا فاه، ثم قال وهو يمد يده ليصافح أمير:

ـ لو ما كنتش مهتم ما كنتش سمعت يا مستر بولت.

رمقه أمير بثبات. كان كرم ينتظر بعض السخرية. صمت أمير لوهلة، ثم فاجأه بمد يده قائلًا:

- باحب الطريقة اللي بتشرح بيها.

سلم عليه كرم، وابتسم حتى ظهر ناباه، معلقًا:

- وأنا باحب طريقة جريك!

*

بعد رحلة طويلة، وهدير محرك سبب لـ«بان» بعض الصداع، وصل الجميع القرية الذكية. كانت بالنسبة إلى البعض كالذهاب إلى السجن بصفة يومية من أجل تمضية عقوبة ما، أو خدمة عامة يجب تأديتها، والبعض الآخر ينظر إليها كحقل تجارب على الأذن، يجب عليهم القيام بها لدفع فواتير الحياة في القاهرة الكافرة.

لقد مر أسبوعان، وانتهت فترة التدريب الدموية.

جلس أمير أمام جهازه المفضل، وهو الحاسب الذي يظاهر حاسب كرم. أخرج من شنطته صورة قديمة له وهو يجلس على كرسي كبير وعلى كتفه يستقر «مارلي»، وخلفه والده ووالدته وبجانبه أخته، الجميع يرسم على وجهه ابتسامة عريضة لا تحتاج كثيرًا من الجهد. فالسعادة كانت عُملة سهلة في ذلك البيت. بدت أمه نضرة، ينزل شعرها الأحمر الكستنائي قرب كتفيها، وبها بعض الوزن الزائد عن حالتها الآن. كان الأب طويلًا، وله شارب مميز خفيف. وكانت الأخت جميلة،

وتختلف عنه في الشكل. خبأ الصورة تحت لوحة المفاتيح، وأخرج دميتين بلاستيكيتين صغيرتين وألصقهما من قاعدتيهما فوق المكتب، إحداهما كانت لشخصية «باباي»، والأخرى لشخصية «المنيون» الضاحكة. تمنى من داخله أن أحداً لن يسرقهما. لربما تمنع الكاميرا السارق من فعلته لوقت ما. راهن نفسه أن الأمر لن يتعدى الأسبوع حتى تسرقا.

بدأ يراجع العروض اليومية، وانتصب ظهره أمام الحاسب. وعلى بغتة، احتل الضوي كرسيًّا شاغراً بجانبه. تخلى عن شروده، وراقب ما يفعله الضوي، الذي بدا منشغلًا في أمر ما في الحاسب. رمق الضوي أمير بنظرة احتقار قائلًا:

. المفروض أطلب منك تلبس السماعة يعني، ولّا المفروض تلبسها من نفسك؟

بحركة مفاجئة وضع أمير السماعة فوق أذنيه واعتذر لمديره ذي الطابع الهجومي. شرع الضوي في شرح بعض التعليمات بعنجهيته المعهودة وعصبيته غير المبررة، ثم انتهى الأمر بتلقي مكالمة من جهاز أسود قاتم أمامه يشبه التلفونات الأرضية القديمة، لقبه الضوي بـ«الأفايا».

. مستر ضوي، أنا كنت في الإنترفيو اتكلمت مع مس هايدي، قالتلي إنها هتدخلني في قسم «اليو كي» في

أول فرصة عشان الفترة اللي فاتت ما كانوش محتاجين حد. أنا سمعت إنهم محتاجين دلوقتِ، أنا واخد كورسات في «البريتيش كاونسيل» وعندي...

قاطعه الضوي وهو يضغط بعض الأزرار منشغلًا بالشاشة:

- مين قال إنهم محتاجين حد؟

- أنا سمعت بالصدفة...

- هتعرف أكتر مني؟ اثبت نفسك هنا سنة ولّا اتنين، وبعدين هابقى أرقيك أنا بنفسي. مصر كلها بتتكلم إنجليزي.

حرك أمير رأسه إيجابًا، لكن قلبه لم يكن متوافقًا مع عقله، فهو يعلم أنه يستحقها: زيادة في المرتب، ارتقاء كان يؤمن أنه كتب له.

ساعتان ونصف من الاتصالات والاستفسارات والشكاوى، أذن للعميل وأذن للضوي، وصداع مزمن عاد إليه بكل سرور، استدعاه عمله الجديد، شطر رأسه لنصفين، ثم كسر كل نصف لقطع متناهية في الصغر.

قام الضوي وانشغل مع شخص آخر في حديث ضاحك. أخرج أمير قرص الصداع النصفي من شنطته.

- مصر ما بتتكلمش إنجليزي، إوعى تصدقه!

قالها أمير مخاطبًا «باباي» بصوت خافت، ثم عرض على «المنيون» أن يحصل على قرص الصداع النصفي، وابتلعه هو بعدما رفض «المنيون» أن يستجيب له.

*

قالها أمير لنفسه:

- أهلًا بيكم في «ريد فون»!

- إيه أخباره؟

سأل رجل في بداية الأربعينيات، نحيل الجسد، قصير، واثق الخطى، أسمر اللون، ويميزه شعره اللامع، وأنفه المعقوف، وغموضه، لم يكن سوى مستر وجيه. أجابه الضوي عاقداً ساعديه، مراقبًا أمير الذي بدا يصارع صداعه:

- مش راجلنا، زيه زي معظم الجُداد.

- شهرين كده ولّا حاجة لو ما ظبطش نركبه الصاروخ. ما شُفتش حسن؟

- حسن لاشين؟

ـ آه.

ـ خد أجازة، بيقول بنته تعبت وراحت المستشفى.

ـ مرة مراته بتولد، ومرة المستشفى، هو الصاروخ هيساع مين ولّا مين يا ضوي؟

ـ ما تقلقش يا مستر، الأماكن كتير، عموماً أنا هاكلم شامل في «الشبكات» يشوف المستشفى اللي راحها فين.

ـ صح كده، يمكن تكون مستشفى متنقلة ولّا حاجة.

قالها ضاحكًا ضحكته الهستيرية.

٥

وقت الاستيقاظ. «بوب مارلي» يغني.

السابعة صباحًا، استيقظ متعرقًا كأنه دُفن في بحر بركاني ملتهب، تنفس بسرعة وتكرار، ونظر إلى الراقصات القابعات عن يمينه، كن ثلاثًا، يرتدين ملابس هاواي الشهيرة، ويتمايلن بفتور فوق منبه مبتكر اشتراه له والده في رحلة قصيرة لأمريكا. تنهد طويلًا، ثم صفع المنبه ليصمت وتصمت السيدات رعبًا. دفن وجهه في المخدة ويده اليمنى لا تزال فوق المنبه، تنهد مجددًا ثم رفع عينيه المحترقتين بالعرق. إنه يوم جديد.

لملم أمير متعلقاته، التقط من أمام المرآة زجاجة عطر «كالفن كلاين» تبقت فيها قطرتان، بخ منها رشتين مقطوعتين، كحوت جف محيطه فقذف قطرات من رأسه، ثم وضعها بجانب زجاجة «وان ميليون» تحولت لقطعة ديكور بلا رائحة. ترك غرفته واتجه نحو التلفزيون، «الست كوم» نفسه الممل، تتابعه أمه بالشغف نفسه. وقف بجانبها، كانت قد بدأت إفطارها بسيجارة. قال واضعًا يده على كتفها برفق:

- أنا قررت أبيع «مارلي»، عشان ما بقاش معايا فلوس أصرف عليه.

انتبهت ورفعت رأسها كأن شيئًا صعقها، أخذت يدها تهتز وبها السيجارة، حتى إن الدخان بدأ في رسم خيوط متعرجة في الهواء، لقد كان الأمر بالنسبة لها كخبر موت أحد من عائلتها، لكنها لم تستطع الاعتراض، فهي تعلم أنه لا مناص من العجز المالي الذي تسبب به صاحب الشقة وشرهها للسجائر.

لم يعطها أمير فرصة للرد. قبّل رأسها، ارتدى رابطة عنق حمراء معلقة على جانب كرسي سفرة مفرغة أحشاؤه، ثم حمل شنطته وهم بالرحيل.

بعد فترة لا بأس بها من الانتظار في نهار القاهرة الحارق توقفت أمامه عربة ميكروباص، تسلقها أمير بعدما قال لسائقها جملة استفهامية انتهت بـ«مدينة نصر».

ثم أتوبيس «ريد فون» البائس. لقد بدأ «آندي» في اكتساب بعض الأصدقاء الآن، شاهده أمير يتحدث وحوله ثلاثة من زملاء العمل وعامل نحيف عقد ساعديه، وقفوا جميعًا حوله يستمعون إلى قصة كان يحكيها، عن يوم كان يشرب فيه في حانة في لندن حتى أنفق كل ماله على ماكينة القمار. كان واضحًا أن الجميع قد اعتاد على طريقة كلامه الجريئة، حتى إنه وصف حاجته للتبول بعامية قد تنفر منها أي فتاة، أو حتى رجل يحادثه، لكن أحدًا لم يعلق.

بجانبهم كانت تجلس ياسمين، رافعة ركبتيها تسندهما إلى ظهر المقعد المقابل لها وهي تكتب شيئًا على حاسبها اللوحي. أقسم أمير لنفسه أنها تستمع لما يقول «آندي» بكل حماس. تابع أمير طريقه لكرسي شاغر، ولكنه كان يستمع لما يقوله «آندي» وسط ضحكات المستمعين. لقد كان «آندي» يتحدث بلغة عربية مميزة للغاية، كان ينطق الكلمات بصعوبة، يغلق عينيه ويضغط على أسنانه كأنه يكافح لينطقها صحيحة، غلبت الكاريزما الخاصة به كل شيء، حتى إن بعض أصدقائه من الإناث يحبه هو ونكاته القذرة، وحكاياته الجنسية الفجة!

وأخيراً القرية الذكية.

لصق أمير كارته الممغنط على جهاز إلكتروني معلق على يمين باب أوتوماتيكي لينفتح. عدل من وضع سماعاته التي نزلت على كتفيه ليتابع صوت الموسيقى المتصاعد منها، رمق ساعته وتسابق مع الوقت حتى وصل إلى المبنى المناسب، ألصق الكارت مجدداً لينفتح باب آخر، وضع سماعته في شنطته. ثانيتان وابتلعه المبنى.

يوم عمل جديد.

- يا ضوي أنا بقالي هنا أربع سنين! أي حد معرض إنه يمر بالظروف دي، أنا بنتي تعبانة، ده غصب عني، يعني إيه

تحقيق؟ هيّ دي معاملة الشركة بعد كل السنين دي؟!

قالها حسن لاشين محتدّاً وهو يحادث الضوي، ووراءه تقف «بان»، تصب في كوبها الحراري بعض القهوة من مكنة كبيرة. رد الضوي ببرود:

- مشكلتك مع مستر وجيه يا حسن، خلص معاه وكلمني.

- إزاي يا ضوي وهوّ لسه قايلي نفس الكلام عليك؟

- قالك: «خلص مع ضوي وكلمني»؟! ماشي، وأنا بقى مش مصدقك إنك رُحت المستشفى عشان...

قاطعهما أمير الذي بدا منهكًا من الركض ليصل في ميعاده:

- حسن، إزّي بنتك؟ صباح الخير يا مستر ضوي!

رد الضوي السلام بإيماءة بسيطة برأسه، بينما رد حسن متردداً:

- الـ... حمد للّه. أ...

تابع أمير قبل أن يسأله حسن:

- أنا زعلت أوي لما قابلتك في المستشفى، إن شاء اللّه المرة الجاية نتقابل وادارين في أحسن صحة.

تساءل الضوي:

- قابلته في مستشفى إيه؟ إنتو تعرفوا بعض أصلًا؟

- عارفه طبعًا، «السلام الدولي»... ليه؟

- عادي.

- أهو! شفت!

توقف الضوي عن الكلام، رامقًا أمير بنظرة غير بريئة، ثم قال بفتور:

- وانت متوقع مني أصدق الكلام ده؟

رد أمير:

- ليه لأ؟

صمت الضوي مجددًا، مقلبًا عينيه بينهما باستياء شخص مصاب بدوار. كانت خلفه «بان» تتابع عن بُعد. ثم قال قبل أن يرحل:

- هاتابع مع مستر وجيه، وهارد عليك يا حسن. وانت، اتأخرت خمس دقايق!

انتظر الاثنان حتى رحل الضوي. بدأ حسن بالكلام:

- أنقذت حياتي!

- ألف سلامة على دارين.

- مين قالك؟

- كرم قالي كل حاجة، بالصدفة.

- بس أنا ما كنتش في المستشفى يومها، أنا كنت قاعد جنبها في البيت عشان تعبت فجأة.

- كرم قالي برضو.

قالها محركًا كتفيه مبتسمًا، ثم أضاف:

- وقالي برضو إن الضوي مستنيلك على غلطة، خلّي بالك المرة الجاية!

- أنا مش عارف أقولك إيه...

فاجأهما صوت أنثوي:

- كان الأولى تقول لصحابك! أعرف إن دارين عيانة بالصدفة؟

كانت «بان إمام»، ومعها بوادر أزمة قلبية لأمير، الذي سيطر على أعصابه بأعجوبة. رد حسن:

- الموضوع ده قديم يا «بان»، كل اللي حصل إن دارين اتحايلت عليَّ ما اسيبهاش اليوم ده، وما كانش ينفع أقول كده للضوي، ما كانش هيوافق، فاضطريت أكذب.. ما كنتش أعرف إن الضوي...

قاطعته «بان»:

- ما تعرفش إن الضوي بيتلكك لأي حد مش على مزاجه عشان يمشيه؟ حرام عليك! اتخيل الموقف كده لو ما كانش...

توقفت عند اسم أمير، كان من الواضح أنها نسيت اسمه على الرغم من تعاملها السابق معه. شعر أمير ساعتها أنه من النوع الذي تتذكره النساء بصعوبة، ولم يكن سعيداً بتلك النتيجة.

أكمل أمير الجملة:

- أمير الريس.

ثم تابع:

ـ عادي، أنا ما عملتش حاجة.

ـ أنا فاكرة إني إديتك «ترينينج»، وخلّيني أقولك ـ لأ ـ عملت حاجة.

قالتها «بان» وهي تومئ برأسها، ثم مدت يدها لتصافح أمير، الذي سرح لوهلة، ثم مد يده بسرعة بعدما شاهد يدها ممتدة لثانيتين:

ـ أمير الريس.

ـ مش محتاج تعيد اسمك، صدقتك من أول مرة.

ـ آسف! عموماً أنا هاروح ألحق الشيفت بتاعي، فرصة سعيدة. «هابي شيفت» مقدماً.

قالها وابتسم بحرج، ثم أشار مودعاً الاثنين اللذين بادلاه بنظرة متعجبة.

ما إن حط رحاله فوق مكتبه الشاغر، ذي الدميتين، حتى دفن رأسه بين يديه وفرك وجهه وشعره مراراً بعنف، مردداً:

ـ اسمي أمير. اسمي أمير. وأتمنى لكم «هابي شيفت». اسمي أمير «هابي شيفت». حمارا!... كبيرا!

*

- إنت مش شغال ليه؟

أشار إليه الضوي وهو في طريقه إلى مكتب مديره وبيده الأخرى هاتف يحدث أحداً فيه. تأهب أمير بعدما شعر بكثير من الحرج وأمسك بالسماعة التي أمامه فسقطت منه، ثم أمسكها مرة أخرى ووضعها فوق رأسه ليظهر له رأس كرم من الجهاز المقابل وهو يحدث عميلًا بدا غير لطيف، ويشير تجاه السماعة التي فوق رأسه. دار أمير برأسه متعجبًا، ثم أشار كرم مجدداً ليكتشف أمير في النهاية أنه يرتديها بالاتجاه المعاكس. تأكد أن أحداً لا يراقبه، ثم عدل من وضعها بسرعة، أمسك بفأرة الجهاز وبدأ بمراجعة بعض العروض. أشار كرم بإصبعيه الوسطى والإبهام إلى عينيه العابثتين، ثم أشار إلى وجه أمير الذي لم يفهم ما يعنيه كرم، لكنه بدا وكأنه يحذره أنه يراقبه. ثم تابع كرم حديثه مع العميل المنفعل:

- حضرتك ما ينفعش تقولي إني ما بافهمش حاجة يا أستاذ رأفت، كده أنا ممكن أنهي المكالمة.

انفجر العميل صارخًا، لدرجة أن كرم حرر رأسه من السماعات وضغط على زر يمنع العميل من سماعه. تركه يصرخ ويسب ويلعن، ثم أخرج من جيبه كيساً صغيراً به بعض المكسرات، التهم منها قبضة كبيرة، وقال لأمير بوجه غير مبالٍ:

ـ أنا كتبت رقمه في ورقة، هاظبطه بالليل، عميل معروف، المورد الرئيسي للخرا في المبنى بتاعنا، حظي وحش أوي، كل مرة يجيلي أنا.

ثم نفض يديه وعاد ليرتدي السماعات مرة أخرى بعدما هدأ العميل. ضغط على الزر مرة أخرى ورد ببرود يشبه برود «كيفين سبيسي» في فيلم «الخطايا السبع»:

ـ أستاذ رأفت خليك معايا، زميلي هيكلمك، ثانية واحدة و«هكونكت» حضرتك.

ثم ضغط على زر تحويل المكالمة وأكمل بالبرود نفسه:

ـ للقسم المختص!

لقد كان من الطبيعي في تلك الحالات أن يتصل كرم بفتاة بدينة قد تعرف عليها في قسم الشبكات، ويطلب منها أن «تفتح الهاويس» كما كان يفعل صديق له منذ فترة مع الفتاة نفسها. كانت تلك هي كلمة السر التي تفاجئ العميل الماكث على أغنية الانتظار بأن الخط قد قطع، وحين يعود العميل بطلب رقم خدمة العملاء يجد نفسه يحدث موظفاً آخر ويبدأ من نقطة الصفر. ولكن للأسف، تم رفد الفتاة وموظف خدمة العملاء بعدما كُشفت لعبتهما الصغيرة، والآن أصبح على كرم التصرف بمفرده.

ظل أمير فاغرًا فاه وهو يتابع رد فعل كرم، ثم ابتلعه الهاتف لمدة عشر دقائق كاملة، وكذلك كرم.

- في أي استفسار تاني عند حضرتك؟

قالها أمير ثم وضع يديه الاثنتين على الميكرفونين وتنهد بعمق. لقد مرت مكالمتان على أمير ولا يزال كرم مشغولًا حتى شعر رأسه. والثانية كانت مملة كالجحيم، فالعميل لديه قدرة هائلة على الإبداع، لدرجة أنه بمجرد أن يسأله أمير السؤال الإجباري: «هل لديك استفسار آخر؟»، يقوم بطرح سؤال جديد مختلف.

- واللّه متهيألي كده. مفيش يعني، آه صحيح!

شكرًا لاتصال حضرتك بـ«ريد فون».

قالها وصفع زر إنهاء المكالمة بسرعة يُحسد عليها، ثم فتح عينيه وفاه عن آخرها وتنهد كالغريق، لقد سأله ذلك العميل ١١ سؤالًا مختلفًا.

أخرج من شنطته قطع موز كان قد قطعها مسبقًا، قشرها وبدأ في أكلها، رمق «المنيون» الماكث أمامه، ثم توجه بنظره لـ«باباي»:

- عارف إنه مش أكلك المفضل!

بمجرد انتهائه، فكر في الحصول على مكالمته الثالثة. بالفعل ضغط على زر الاستقبال:

- مساء الخير. «ريد فون»، أمير الريس مع حضرتك.

- آه... مساء النور، كنت متصل أسأل على... آه.. آسف الـ... الموبايل كان مهنج، «أوكيه» اشتغل دلوقتِ، أنا كنت محتاج مساعدة في الإنترنت، الموبايل بتاعي مش بيشغل الإنترنت وأنا باحتاجه عشان باكلم قرايبي في أمريكا.

- أقدر أتشرف بالاسم؟

- أوه! أيوب. أنا كنت أقصد «الإنجليش سيرفيس»، يظهر دُست الرقم «١» بالغلط.

- اتشرفنا يا أستاذ أيوب، أقدر أحول حضرتك لخدمة العملا بالإنجليزي.

- مش عارف، إنت إيه رأيك؟

- القرار يرجع لحضرتك، تحت أمرك.

- خلاص نكمل عادي، العربي بتاعي تمام، أنا أصلًا مصري.

- طبعًا حضرتك، استفسارك على نفس الرقم اللي بتتصل منه؟

- نفس الرقم.

- موبايل حضرتك نوعه إيه؟

- «إتش تي سي».

- ممم، خليك معايا ثانية واحدة.

- اتفضل. بالمناسبة، الشبكة وحشة ليه في المعادي؟

- حضرتك ساكن فين في المعادي؟

- المعادي الجديدة، الفيلا بتاعتي جنب المول.

- هابلغ القسم المسؤول عن الشبكة وهارد على حضرتك خلال ٢٤ ساعة إن شاء اللّه. بالنسبة للموبايل إحنا هنعمل زي «أكتيفيشن» للنت عند حضرتك، وبعدين نقفل الموبايل ونفتحه وكل حاجة هتبقى تمام إن شاء اللّه. حضرتك مشترك في باقة؟

- آه، مشترك في باقة شهرية.

- أحسن من كويس. طيب، هنفتح الضبط، هنختار «نتورك»، هنختار الضبط اليدوي، وهندوس على عبارة «ريد فون نتورك»، بعدين...

- «هيييييلب»! حرام عليك...

كانت كصرخة فتاة مكتومة بإنجليزية سليمة ممتزجة بالبكاء، تركل شيئًا كأنه باب، أو كأنها مسجونة في غرفة ما. توقفت الحياة للحظة، اتسعت عينا أمير وحُبست أنفاسه، اختفى صوت العجوز وعاد مجدداً بعد بضع ثوانٍ:

- أمير...

ترك أمير نفسًا احتفظ به كأنه كان تحت الماء، بلع ريقه وتابع بصوت قطعه الذعر:

- مع حضرتك.

- أنا عملت «ريستارت للنت»، والموبايل...

تنفس أمير مرتين أو ثلاثًا بفزع قبل أن يبلع ريقه بلهفة متسائلًا:

- أنا سمعت صوت، زي ما يكون حد بيصرخ.

- هههههه صوت إيه بس؟ آآه... «التلفجن»!

حدث بعض التشويش منع صوت المتصل من الوصول لأمير، كأنه مر من مكان منعدم الشبكة، إلى أن عاد صوته مجدداً:

- ضحكتني، يخرب عقلك. أمير، إنت معايا؟

- ...

عجز أمير عن الكلام للحظة ثم لطم وجهه بكلتا كفيه موقظًا نفسه من غفوته التي كادت أن تكلفه عمله، شعر بأنه قد يفوز بجائزة «أغبى متلقي اتصالات في العالم» ويتسلمها مبتسمًا في احتفال جلل فوق صندوق قمامة صدئ. تنهد ضاحكًا:

- أنا... آسف! أنا... واضح إني ما نمتش إمبارح كويس. نرجع للموبايل تاني.

- آه، النت اشتغل فعلًا. أنا متشكر جدًا. شكرًا يا أمير.

قالها، وارتفع من خلفه صوت موسيقى هادئ، ثم تلاشى.

- تحت أمرك. أي استفسار تاني من «ريد فون»؟

- شكرًا.

- شكرًا لاتصالك بـ«ريد فون».

مرت دقيقة لم يتسلم فيها أمير أي مكالمة. ضغط على بكرة في فأرة الحاسب بتتابع نمطي، كأنه تحول إلى إنسان آلي، فم فاغر وعينان ثابتتان، كان يحاول استرجاع الدقائق الخمس السابقة من عمره بكل ما يملك من تفاصيل. تابع استقباله لبعض المكالمات لكن رد فعله

كان مشتتًا نوعًا ما، فتارة يخطئ في نطق اسمه وتارة ينسى سؤال العميل، إلى أن جاءه اتصال مهم بدا مملًّا في بدايته:

- مساء الخير. «ريد فون»، أمير الريس مع حضرتك.

- آه، أخيرًا. أنا بقالي ساعة على فكرة.

- نعتذر عن التأخير، المشكلة إن إحنا في وقت الذروة وبنستقبل كمية مكالمات كبيرة جدًّا في وقت قصير.

- كل ده ما يفرقش معايا على فكرة.

- آسف ما سمعتش كويس!

- قلت إن كل اللي أنت قلته ده ما يفرقش معايا!

تفحص أمير الرقم ليتبين أنه عميل مهم، من الدرجة الثانية. تخيل أسنان الضوي المتصارعة وهو يوبخه كالمجنون، تخيل عضلات وجهه المتشنجة ولعابه المتطاير، صوته المتضخم مع طريقته المستفزة في نطق المصطلحات الإنجليزية. بلع كل هذا بصعوبة وتأكد من وصول البلعة للمعدة، هضمها جيدًا، ثم أجاب بنبرة صوت أكثر هدوءًا:

- أقدر أعرف استفسار حضرتك يا مستر علاء؟

- إنت تعرفني؟

- كل العملاء المهمين زي حضرتك أكيد نعرفهم.

- طيب يا سيدي متشكرين.

- استفسار حضرتك على نفس الرقم يا مستر علاء؟

- آه نفس الرقم، عندي مشكلة في استلام رسايل «الإم إم إس».

- تمام. إيه نوع موبايل حضرتك؟

- نوكيا.

- طيب نفتح الضبط مع بعض بعد إذنك.

- ثواني بس. شكل موبايلي هيفصل شحن.

- خد وقتك حضرتك، حطه في الشاحن وأنا منتظرك.

- لا شاحن إيه؟ مفيش كهربا أصلًا. الكهربا قاطعة من المعادي بقالها نص ساعة.

توقفت أنامل أمير عن الحركة فوق لوحة المفاتيح كما توقف قلبه عن الخفقان. تحركت عيناه يمينًا ويسارًا باضطراب، وقال بصوت متردد:

. المعادي... الجديدة؟

. إيه ده؟ كمان عارفين بيتي!

. مكتوب في بروفايل حضرتك. أستاذ علاء، تجنبًا لمشكلة البطارية أنا هابعت لحضرتك رسايل الضبط التلقائي وهاطلب من حضرتك عمل «ريستارت» للتلفون، إن شاء اللّه المشكلة تتصلح، وأنا هاتصل بحضرتك خلال ٢٤ ساعة عشان أطمن وأتابع الاستفسار معاك.

. وأنا لسه هاستنى ٢٤ ساعة؟

. لو حضرتك معاك بطارية تانية ممكن نتابع.

. هممم طيب، كلمني كمان ساعة كده ولّا حاجة.

. أي استفسار تاني أو خدمة أقدر أساعدك بيها؟

. آه، كان عندي استفسار عن الرص...

. طيب هاحول حضرتك لزمايلي في قسم الضبط عشان يتابعوا معاك الاستفسار، ثانية واحدة.

. بس أنا...

قطع أمير الاتصال فجأة وحوله لكرم الذي صدمه رد فعل صديقه كالقطار. استدار أمير نحوه بوجهه وقال هامساً بحدة:

. دلعه! عميل «كلاس ٢»، معلش في حاجة مهمة.

ضغط بسرعة عدة ضغطات على لوحة المفاتيح في حاسبه وانتظر ثانيتين. تعالى صوت رنين في سماعته ثم جاءه الرد:

. ألو!

. أستاذ أيوب معايا؟

. مين حضرتك؟

. أمير الريس، «ريد فون».

شهق الرجل وأردف:

. آه، عرفتك، إيه السرعة دي؟

. كنت بس حابب أطمن على الشبكة، بلغت قسم الشبكات وقالوا إنه كان فيه عطل بسيط وانتهى، واضح إن العمود اللي بيغذي الفيلا مش شغال بـ«الكاباسيتي» المطلوبة. هيّ فيلا حضرتك فين بالظبط؟

- الشارع اللي جنب المول، فيلا ٣٢، لونها... تقدر تقول حجري شوية، بوابتها شكلها قديم.

- تمام جداً، ممكن حضرتك تبص على الشبكة في الموبايل وتقولي لو فيه أي تحسن؟

قالها أمير وعيناه ثابتتان كأنه يدبر لأمر ما. جاءه الرد:

- ثواني...

آه، الشبكة أحسن شوية فعلًا.

- طيب تمام، والنور رجع؟

- لا، لسه قاطع من ساعتها.

اتسعت حدقتا عيني أمير وفغر فاه وتوقف عن الكلام. سادت لحظة جديدة من الصمت. تابع العجوز:

- عرفت إزاي إنه مقطوع؟

- قسم الشبكات هم اللي عرفوني.

- آآآه... يا لي من أحمق (بالإنجليزية)! آسف! آسف!

- ممكن أسأل حضرتك سؤال؟

- «شور»، طبعًا، اتفضل.

ـ حضرتك بتتفرج إزاي على التلفزيون والنور مقطوع؟

صمت أيوب لبضع ثوانٍ، ثم تنهد قبل أن يجيب بنبرة أكثر مرحًا:

ـ ... التلفونات الصيني ما حرمتناش من حاجة يا أمير.

قالها وقهقه قليلًا. تابع أمير مسرعًا قبل أن يلومه العميل على سؤاله الفضولي:

ـ صح! أي استفسار تاني أو خدمة أقدر أساعدك بيها يا أستاذ أيوب؟

ـ لا، شكرًا يا أمير، شكرًا على اهتمامك!

*

مر ربع ساعة كاملًا، أمير يجلس أمام حاسبه كالصنم، يضغط زر المسطرة في لوحة المفاتيح باستمرار كالآلة. في النهاية قطع كرم صمته:

ـ حذرتك وانت عملت نفسك «جون ترافولتا». بس للأسف، شكلي اتأخرت.

ـ هممم؟!

قال كرم بوجه يملأه الأسف:

. اتأخرت كتير.

. معلش قول تاني!

. جداً...

. كرم، معلش أنا مش معاك دلوقتِ.

. فعلًا، إنت في كوكب تاني، العلماء بيسموه «كوكب القلي». مش فاضل غير إن «بان» تأكلك للكلب، وبعدين يحرك لسانه ويتكرع!

. يا ابني الموضوع أكبر من «بان» بكتير، في... تلفون.

. طلبت رقم التلفون؟! للدرجة دي الإنسان بتهون عليه نفسه؟

. يا ابني مش رقمها، ده عميل.

رمق كرم المكان عن يمينه وعن يساره، ثم قفز بخفة على عكس حالة جسده المترهل، استقر واقفًا خلف أمير الذي ساوره شعور أن كرم على وشك رمي تعويذة سحرية على رأسه، لسوء الحظ، أو لحسنه، مرت «بان» مجدداً أمامهما، فضغط كرم على رأسه من جنبيه، وصوبه نحو «بان» كالمنظار قائلًا:

- انسى العملا! عشان تكسب في المرحلة دي، وما تتحولش لحتة لحمة مقلية على «المنيو» بتاع «بان». لازم تشوفها على حقيقتها، لازم تفكيرك يبقى غير، بص لها كويس! شوف مشيتها، هي جامدة، وهي عارفة إنها جامدة، فريدة من نوعها، مميزة، أنثى كوالا قربت تنقرض ومفيش منها كتير. الهرمونات بتجري في دمها، مستنية دكر الكوالا اللي يحررها من محاولات القرود البلدي المستميتة للتزاوج. يا تكون الدكر ده، يا تتحول لاسم في قائمة اغتيالاتها.

وتابع:

- انقذها! انقذنا كلنا!

- أنقذ إيه بس؟ كرم، المكالمة الأخيرة فيها حاجة غلط. لازم أسمعها تاني.

أدار كرم كرسيه الجلدي ليواجهه مضيفًا:

- ما تحاولش، كل اللي حاول يدخل مكتب مستر مدحت كتب في مذكراته إنها كانت أسوأ فكرة.

- مين مستر مدحت؟

- ده العراب، أقدم واحد هنا. من كتر ما قدم في الشغلانة مسّكوه «المونيتورينج»، هوَّ الوحيد اللي

عنده المكالمات المتسجلة، طبعًا الضوي بس هوّ اللي مسموحله يخش مكتبه، أو اللي فوقيه.

. أنا لازم أسمع المكالمة.

. وأنا لازم أطول، بس القدر ليه رأي تاني.

. هاتصرف.

قالها وهم واقفًا.

. أمير، اهدى اللّه يكرمك، مدحت لو قال للضوي هيتحط عليك جامد، كلنا بنعمل «أبيوز»، أنا باكلمك بجد. وبعدين مش كل المكالمات بتتراجع. الموضوع عشوائي.

. شكرًا على معلومة الكوالا.

ألقاها واختفى. طقطق كرم أصابعه ومط شفتيه محدثًا حاله وهو يتنهد:

. كنا هنبقى ثنائي كويس.

مر أمير من أمام مكتب مدحت جبر الشهير. لقد صعد الكثيرون للصاروخ الذي تحدث عنه الضوي بفضله، ولوحوا بأيديهم بفخر، كأنهم لا يعرفون أن مصيرهم لن يختلف عن رواد صاروخ «تشالنجر» بأي حال، لكنهم

لوحوا، وتظاهروا أنهم هم الراحلون. الكل يعلم ما يمكن لمدحت أن يفعله، ولا أحد يمكنه الاعتراض. مكتب مدحت جبر كان غرفة الإعدام بالغاز. وبداخله، يجلس مدحت في خلوته الشرعية مع حاسبه، وثلاثة أدوار من الشطائر المتجلدة.

- يا مرايتي يا مرايتي، قوليلي مين اللي واقف ورايا؟

قالها كرم ساخرًا بعدما رأى ظل أمير في شاشة حاسبه.

- أنا محتاج مساعدة.

- صدقتني؟

- الراجل ده مش طبيعي.

- اللي مش طبيعي، يحتاج اللي مش طبيعي اللي زيه.

لا يعلم أمير لماذا ضاقت عينا كرم بعدما قالها بصوت درامي مثير للشفقة، لكنه شعر أن كرم قد يفيده.

بالفعل، بعدها بقليل كان كرم يقف أمام مكتب مدحت جبر، ومعه أربعة أدوار من البيتزا وزجاجة مياه غازية مثلجة. كان مكتب مدحت جبر ضيقًا للغاية، متحفًا معاصرًا لقطع غيار التكنولوجيا وأجهزة الكمبيوتر، وبعض الأسلاك التي بدت شائكة، وأكياس طعام فارغة تتحدث عن مجزرة غير آدمية قد حدثت منذ سويعات.

وهو ـ أي مدحت جبر ـ الرجل الذي ترك لكرشه العنان حتى هوت، كان بدينًا، يفتح قميصه حتى لاح شعر صدره الكثيف، لا أحد هنا يستطيع فعلها سواه، وإن أراد أحد فعلها لن يرحمه برد التكييف، ولكنه يتمتع دائمًا بطبقة عازلة من الدهن تكفي وتفيض. اشتهر بتعرقه المبالغ فيه، مدحت جبر كان الرجل الذي يعرق حينما يفكر، حينما يتنفس، كان يعرق للمتعة.

تقدم كرم كأرنب بري يغازل عشبة طازجة، طرق الباب بوداعة مبالغ فيها وابتسامة رومانسية حالمة. فتح الباب ثم خطا خطوتين بترقب، كيلا يصدم شاشة مستقرة على الأرض بجانب علب أحبار الطابعة. تابعه جبر ببصره وهو منهمك في سماع شيء ما من حاسبه عن طريق سماعته السوداء الضخمة، لا أحد في الفرع يمتلك مثلها أيضًا، ولكن الكل تعود على الوضع.

ارتخت أذنا سماعات جبر على رقبته عندما قال ببرود مطلق:

ـ لو عملت «أبيوز» كده كده هيوصل للمستر، ما تحاولش.

ـ ولو ما عملتش؟

صمت جبر لثانية ثم رمقه بنظرة متفحصة كأن حاسب عقله لم يبرمَج للرد على الجملة السابقة، ثم عاد

بظهره للوراء. فسر كرم:

- أمير الريس، اللي لسه متعين، سمع حاجة... عايز يتأكد.

- حاجة زي إيه؟

- محدش يعرف. محتاجين مساعدتك.

- ما ينفعش.

- أرجوك، الموضوع ممكن يكون خطير.

- كرم، لو كل عميل ضرب بمبة وهو بيتكلم هيخلينا نعيد «الكول» بتاعته تاني مش هنخلص!

- الموضوع شكله كبير، دي آخر مرة هاطلب منك حاجة زي دي.

وضع كرم علب الطعام الساخنة وتراجع رامقًا الأرض. لوهلة تخيل نفسه يضع قرابين أمام صنم ما، أو راقصة تتمايل أمام «كينج كونج» لتسليه.

مرت دقيقتان، شرح فيهما كرم التوقيت ورقم الهاتف لجبر. تابع الأخير بحثه بشغف أمام شاشة حاسبه العملاقة قبل أن يقول، ماطًا شفتيه:

- مممم... ما اتسجلتش، حظه.

- خالص؟

- أيوه يا ابني ما اتسجلتش، هوَّ أنا هاكذب عليك!

- طيب والـ...

قالها كرم رامقًا العلب الكرتونية بحسرة تمتزج بالشغف.

- والإيه؟

- هوَّ انت بتحب بيتزا بالسوسيس ولّا...

رمقه جبر بنظرة تحذيرية، فتراجع كرم مضيفًا:

- ههههه لا مؤاخذة، دي... «ستافد كرافت» على فكرة، «إنجوي»!

قالها وهم بالرحيل. استوقفه جبر:

- كرم!

في الشغلانة دي، ممكن تكلم أي حد، فنان، سياسي، أو قتال قتلة. صاحبك لسه جلده طري، خليه يخشن شوية ويعدي، بدل ما يترفد والجوع يخربشه.

حرك كرم رأسه إيجابًا، محافظًا على ابتسامته الدبلوماسية، ثم اختفى.

٦

تداخلت رائحة الأطعمة الساخنة مع ثرثرة الموظفين الباردة، لقد مر يوم آخر من اتصالات وشكاوى تسقط فوق رؤوسهم من كل صوب فتصيب، إلا أنها لم تمنعهم من بعض النميمة والمزاح. كان المطعم متأهبًا لاستقبال الزوار في فترة الراحة المختزلة. وقف أمير طويلًا أمام «منيو» الغداء، يقلب عينيه فيه المرة تلو الأخرى كأنه كُتب بالروسية. لم يخرجه من دوامته التي لا تنتهي من التفكير سوى صوت أنثوي اخترق عالمه:

- لو عندك مشكلة في القراية، عمرو ممكن يسمعهالك!

قالتها «بان» بلهجتها الباردة.

التفت خلفه ليجدها تقف منتظرة دورها، تنفخ من فيها بعض الملل. كان خلفها فتاة أخرى وشاب، وأمام أمير العامل عمرو كما لقبته «بان»، يقف مبتسمًا بسخرية. فكر ساعتها أمير أنه لا بد أنه قد وقف شاردًا منذ سنوات. تنهد وسلم «المنيو» لـ«بان»، وتنحى جانبًا ليترك لها دوره. رمقته بنظرة تقطر دهشة وتقدمت، ثم وضعت «المنيو» أمام الموظف قائلة:

- هاتلي «الريجيولار».

ثم أضافت، بعدما رمقت أمير بطرف عينها:

- وجبتين، «ريجيولار».

أخرجت كارتها الذكي ثم فتحت راحة يدها اليمنى بعدما وضعتها أمام وجه أمير بثقة، كأنها تطلب منه أن يضع فيها شيئًا ما. فهم أمير قصدها، أخرج كارته ودسه في راحتها، أعطت الاثنين للعامل وانتظرت دقيقتين حتى أتاها محملًا بصينية حمراء بلاستيكية بها شطيرتان ملفوفتان بورق جذاب وعلبتان تملأهما البطاطس المقلية الساخنة، وكوبان كبيران من المياه الغازية منخفضة السعرات.

همت بحمل الصينية ورمقته وهو ساكن، واضعًا يديه في جيبيه، قائلة:

- تحب أحطلك الوجبة فين يا فندم؟

تدارك خطأه وفهم مغزى سخريتها. تحرك بسرعة وحمل الصينية بدلًا منها، ثم مشت أمامه وتبعها. كان المكان مزدحمًا عن آخره، مكتظًا كالسوق، كل الطاولات مشغولة، وكل المقاعد دافئة، إلا واحدة كانت نصف مشغولة، لأن مجموعة من الشباب كانوا يحتلون طاولة ونصفًا، ولكنهم وضعوا متعلقاتهم على النصف الفارغ

باستهتار، هواتف محمولة، ونظارات باهظة الثمن، وشنطًا أنثوية مميزة الألوان ألقي بعضها فوق المقاعد، بحيث إن أحدًا لن يفكر في الجلوس هنا من الأساس.

تقدمت تجاه النصف الفارغ من الطاولة ووقفت بثبات، ووقفت خلفها مئات الأعين المتلهفة، والأسئلة المعلقة كالذبائح، أسئلة من نوعية: «من هو الذي يتبعها؟!».

تابَعَ أحد الجالسين حديثه بجدية ولهجة مستفزة تقسم أنه من أولاد الذوات:

ـ لا، بجد، «سيريوسلي»، تظبيط مواعيد الأكل كل يوم والرياضة، ليه عامل مهم جدًا على «الدايت»، وفي ناس ممكن تضحك، بس حتى تنظيم ميعاد...

قاطعته «بان» وهي تكمل كلماته:

ـ وفي ناس ممكن تضحك، بس حتى تظبيط ميعاد دخول «التواليت» بيفرق أوي. يا ترى لازم أسمع الجملة دي كام مرة قبل ما أموت؟

صمت الجميع لوهلة، وأصابتها نظرات أصحاب الطاولة المستنكرة. أزاحت شنطة، وجلست في نصف الطاولة الفارغ بدون اهتمام أمام الطعام الذي وضعه أمير مسبقًا، إلا أنه ـ أي أمير ـ كان قد هم بالرحيل باحثًا عن بعض الكاتشاب.

كان المتحدث الذي قاطعته «بان» للتو هو شامل، أو «باشمهندس شامل» كما يلقبه الجميع، خطيبها السابق الذي بعثت له بخاتم الخطوبة وهداياه في كيس بلاستيكي أسود مخصص للقمامة. كان يحتفظ بقدر جيد من القبول، له عينان ملونتان، دائم الابتسام والتحدث، صلب البنيان على الرغم من نحافته، نصف ثري، يتحدث بنعومة وبلهجة مستفزة تصرخ لتقول: «تعلمت في مدارس خاصة!». هوسه الشخصي بجسده عمومًا، وبعضلات بطنه خصوصًا، جعله يتحدث دائمًا عن حميته الغذائية أمام نسائه، وهن كُثر. كان اليد اليمنى للضوي ومستر وجيه، يأتي دائمًا لتناول الغداء هنا وفي توقيت «بان» المعتاد نفسه، على الرغم من عمله في المبنى المقابل، المبنى ٢، أكثر المكاتب خصوصية وأهمية، المكتب المختص بالشبكات.

عمله يحتم عليه السرية والتميز أيضًا، فبضغطة زر واحدة يمكنه أن يعرف من أين يتحدث رقم الهاتف، حتى اسم الشارع يمكنه تحديده عن طريق عمود التقوية الذي يغذي الهاتف بالشبكة. كان يملك كل شيء: المنصب، الجاه، السيارة الفارهة، النساء. كل شيء... إلا هي.

قال شامل بابتسامته الدائمة التي تظهر سنّين كبيرتين ناصعتي البياض:

- أسلوبك في التعليق مستفز على فكرة.

- وانت أسلوبك في لفت نظر الستات غلط. مفيش واحدة هتهتم بطريقة استخدامك لقاعدة «التويلت»!

ألقتها «بان» في وجهه، ثم ابتسمت ابتسامة باردة. انفجر أحد الحضور ضاحكًا، ورمقها شامل بنظرة زائغة، تظهر بعض الاستهتار لكن تفضي بالتوتر، بينما انشغلت «بان» في فتح غلاف شطيرتها عن عمد. تابع شامل مبتسمًا:

- وبعدين إشمعنى الترابيزة دي اللي قعدتِ عليها من بين كل ترابيزات «الفود كورت»؟

توقفت عن فتح الشطيرة ورمقته بعينيها الحادتين لثلاث ثوانٍ، أطبقت فيها شفتيها كأنها تحاول منع سبة نابية من الخروج بصعوبة:

- لو لاقيت مكان تاني مفيهوش نصايح عن الدايت، كنت قعدت عليه أنا وأمير.

ثم تركت شطيرتها، ووضعت يدها اليسرى فوق اليمنى مستطردة:

- ولو أعرف إن حظي شايلي الصدفة اللطيفة دي، كنا أكلنا واحنا واقفين.

حرك شامل رأسه إيجابًا بهدوء، ثم رفع حاجبه إعجابًا وأضاف، متسائلًا عن أمير:

. خروف جديد؟

شبكت أصابعها، ثم طقطقتها بهدوء وردت:

. لأ، مش خروف. الخرفان بتدبح!

في تلك اللحظة وصل أمير محملًا بزجاجة كاتشاب بلاستيكية ليجد نظرات حادة يتبادلها الاثنان، شامل و«بان»، إلا أن نظرات شامل كانت مغلفة بابتسامته المستفزة.

رمق أمير الاثنين لثانية، ثم تساءل وهو يضع الزجاجة بين «بان» وشامل:

. في مشكلة؟

ردت «بان» وهي لا تزال ترمق شامل بنظرتها الثاقبة:

. ما تقلقش! ده شامل، هو يبان شرير، بس جواه.. حمَل.. وديع.

قالتها وضغطت على كلمة «حمَل».

جلس أمير بجانب شامل . أي في الجانب المقابل لـ«بان» . ثم مد يده ليصافحه، وهمّ بقول عبارة ترحيبية، إلا أن شامل استدار برأسه بحركة مباغتة وتابع كلماته مع صديقته عن قصد. كانت محاولة دنيئة لإحراج أمير الذي

انحشرت كلمة «تشرفنا» في حلقه، وخفت صوته في منتصفها لتتلقف «بان» يده الممدودة وتصافحه قائلة:

ـ أنا كنت فعلًا محتاجة الكاتشاب!

صمت لثانية تظاهر خلالها شامل أنه لا يرى تلك المصافحة، مقاومًا رغبة دفينة في فصل يد أمير بسكين عن عضده، إلا أنه تابع حديثه، ثم أفلتت «بان» يدها الناعمة من يد أمير بسلاسة.

ساعتها أراد أمير أن يشكر شامل.

*

انتهت فترة الغداء سريعًا، وفرغت الطاولة إلا من اثنين غيرهما.

كسرت «بان» حاجز الصمت ورمقته بنظرة ماكرة:

ـ قصته طويلة شامل، هابقى أحكيهالك بعدين، ده لو ما كنتش سمعتها بالفعل من زمايلك.

ترك أمير اللقمة المتبقية من شطيرته، ومسح عن جانب فمه ببعض الخجل بعض الكاتشاب، كان مطأطئ الرأس وهو يأكل كعادته. فسر محركًا كفيه:

ـ الحياة مليانة ناس صعبة.

صمتت «بان» وهي تحاول أن تفهم رده الدبلوماسي، لكنه بدا وكأنه في عالم آخر.

تساءلت وهي تخرج منديلًا مبللًا من شنطتها:

. ساعتك كام؟

شمر أمير بحركة عفوية عن ساعده ليجيب، ولكنه تفاجأ بيده الخالية من ساعته ماركة «تيسوت».

عندها تذكر أمرًا، ولاحت في مخيلته صورة ضبابية له، وهو يضع ساعته على الموقع نفسه اللعين الذي التهم معظم مقتنياته منذ أسابيع. لقد باعها منذ شهر، من أجل فاتورة الدواء... اللعينة أيضًا.

تجمد أمير وهو ينظر إلى ساعده الخالي، ثم نظر إلى «بان» فاغرًا فاه الضيق كعادته، قائلًا:

. واضح إني نسيتها.

رمقته «بان» بنظرة متفحصة، ضيقت عينيها كأنها تبحث عن شيء ما في وجهه، علقت بعدما توقفت عن مسح يديها بالمنديل:

. إنت بتشرب مخدرات؟

بلع أمير ريقه، ومال برأسه قليلًا مقطبًا حاجبيه، كأنه يتأكد أنه سمع الجملة الأخيرة بوضوح:

- مـ... مخدرات؟!

- عينيك تحتيها إسود، شكلك مجهد، بتنسى حاجاتك، كل دي أعراض مخدرات.

صمت أمير لثانيتين، ثم أطلق زفيرًا طويلًا وهو لا يزال يرمق «بان» بنظرة تقطر صدمة:

- لا، لا... عمري ما شربتها، أنا بس غيرت شقتي فـ... يعني، مش عارف أنام كويس في شقتنا الجديدة.

حركت رأسها إيجابًا، ثم تساءلت وهي تفتح كوب قهوتها الحراري:

- أمال ليه بتاخد «أوفر تايم» وانت تعبان؟

كان من الممكن أن يقص لها أمير حكايته الطويلة، بداية من الأزمة الاقتصادية التي يمر بها، مرورًا بمرض والدته، نهاية بشقته النتنة، ورغبته في إمضاء أطول وقت ممكن هنا كي يذهب للنوم مباشرة كالقتيل، لكنه اختصر كل هذا في كذبة صغيرة:

- عايز أتعلم بسرعة.

قالها وضم شفتيه مبتسماً ابتسامة لم تكتمل، ثم زاغ بعينيه بعيداً.

- تتعلم بسرعة؟

أعادتها متعجبة، لتقاطعها صديقتها وهي تلهث:

- مين اللي بيتعلم بسرعة؟

كانت تُدعى فاطمة، محجبة، قصيرة، جلست بجوارها وهي تتساءل. ثم جاءت ياسمين من العدم، وجلست على الجانب الآخر، بدت متضايقة وممتعضة، أخرجت سيجارة ووضعتها في فمها ولم تشعلها.

ابتسمت فاطمة لأمير بينما لم تفعل ياسمين مثلها. شعر أمير ببعض الضيق، لكنه تأقلم مع وجودهما.

- الغبي ده! أوففف!

قالتها ياسمين متأففة، كانت تقصد «آندي». سألتها «بان» ساخرة:

- رجعتِ تكلمي نفسك تاني؟

- رجعت للخفة تاني.

ردت بوجه متصابٍ، ثم أضافت وهي تصفع هاتفها على الطاولة:

- كنت باتكلم عن «آندي» «أوكيه»؟ كان عايز يكلمني في حوار والشبكة مش بتجمع.

لم تجرؤ ياسمين أن تقولها وهي تنظر إلى «بان» مباشرة، لكن «بان» دارت برأسها ناحيتها، وظهر على عضلات وجهها كثير من الامتعاض. لقد حذرتها مراراً من ذلك الشيء، أعطتها حقنة مسبقة من مزيج الأمصال الذي قد يقيها شره، أقسمت لها أنه متلاعب وخبيث، جاء لمصر للمتعة ثم سيتركها وسيذهب إلى بلد آخر متفاخراً بلكنته الإنجليزية المختالة ليصيد ما يقابله من النساء والأموال. همت بقول شيء ما، ولكنها أمسكت بقبضتها، وصفعتها على الطاولة. ثم أشارت بسبابتها إلى وجه ياسمين مضيفة بصوت حانق:

- هتشوفي!

قالتها ورمقت أمير، الذي أحس بأن وجوده يمنع بعض الخصوصية في الحديث بين «بان» وياسمين. تظاهر أنه تذكر شيئًا ما، بدأ يعد نفسه للرحيل فعليّا، لكن فاطمة همست في أذن «بان» في لحظتها، ووضعت أمامها هاتفها لتريها شيئًا ما. تظاهر أمير أنه لا يرى ما يحدث ونظر بعيداً عن عمد، كأنه يريد أن يعطيهن مساحة خاصة من الحديث.

كانت فاطمة تحدثها عن تلك الحادثة التي تكررت كثيراً مؤخرًا:

. نفس الكلام حصل مع «جالا»، وقبلها دينا، المرة دي عامل بروفايل باسمك، لولا إن معايا رقمك كنت افتكرته رقمك فعلًا.

تفحصت «بان» الهاتف بوجه صارم، لم تتغير تعبيراتها كثيرًا، لكن عينيها تحركتا كثيراً للأعلى والأسفل بحدة. ما إن انتهت من قراءة المحادثة، التي كانت تحوي كثيراً من الأسئلة الجنسية التي لم ترد فاطمة عن أي منها، حتى إنها لم ترد سوى على بداية المحادثة فقط، وتوقفت عن الرد عندما شعرت أن شيئًا ما ليس على ما يرام، علقت «بان» بنفس الوجه الحاد من دون أن يرتد طرفها:

. ولد، ومعانا هنا في السنتر.

أضافت ياسمين وهي تشير بسيجارتها:

. مش محتاجة أقولك على الكلام الوسخ اللي قالهولي.

ردت فاطمة وهي تحرك يدها بعصبية:

. بس جاب أرقامنا منين؟ ده اللي هيجنني!

فسرت «بان»:

- نزلها من على «السيرفر»، ملهاش حل غير ده.

اتسعت عينا فاطمة، وأخذت تتمتم لنفسها ببعض عبارات طلب الانتقام من اللّه، لكن «بان» انتقدتها وهي تحرك قدمها اليسرى بعصبية:

- الدعاء حلو، بس ربنا هيحبنا أكتر لو اتحركنا.

قالت ياسمين:

- اللي هوّ إزاي يعني؟ نتعاقد مع «كونان» ولا نبلغ «السي آي إيه»؟ يا بنتي «شيروكي»(**) نفسه عرف والضوي ومحدش عارف يوصله.

نطق أمير بصوت متقطع خافت، كأنه يحدث نفسه، بعد أن لملم هاتفه وكان على وشك الرحيل:

- جربتوا «الإي إم إي أي»(***)؟

تساءلت فاطمة:

- قلت إيه؟

لترد «بان» بتلقائية، مشيرة بسبابتها:

- يقصد تتبع كود «الإي إم إي أي». عبقري!

توقفت عندها ساقها عن الحركة اللاإرادية السريعة. تساءلت فاطمة:

. بس مين يضمن إنه حط الشريحة في موبايله هوَّ، مش يمكن اشترى موبايل مخصوص؟

. خلينا نتمنى إنه غلط.

علق أمير بتلك الجملة وحرك كتفيه تساؤلًا. ثم حرك رأسه إيجابًا وتجرع كمية كبيرة من مشروب المياه الغازية ووضعه أمامه. مسح بظهر يده عن فمه بعض السائل، ليفاجأ بـ«بان» وفاطمة وياسمين يرمقنه بأوجه ثابتة كأنهن يرينه لأول مرة.

فسر أمير:

. قريتها على مدونة.

ولكن أجابه الصمت. تساءلت فاطمة:

. إنت قلتلي اسمك إيه؟

لكن أمير كان قد رحل بالفعل.

لحقت «بان» بباب المصعد قبل أن يغلق، ضغط أمير على زر الانتظار.

وقفا جنبًا إلى جنب، «بان» وأمير، ينظر كلاهما أمامه. قطعت «بان» الصمت بقولها:

- إوعى تقولها تاني.

- نعم؟

قالها رافعًا حاجبيه في تعجب واضح.

- إوعى تقول لحد في خدمة العملا مرة تانية «هابي شيفت»! إوعى!

صمت أمير لثانيتين من دون أن يتنفس، حتى استرجع موقفه مع لاشين وتذكر ما حدث. أطلق تنهيدة مزجت بضحكة قصيرة للغاية، ثم نظر أمامه مجددًا، وحرك رأسه إيجابًا.

أضافت «بان»:

- وشكرًا.

- على إيه كمان؟

- على الفكرة اللي قلتها. فاتتني.

علق أمير:

- مجرد فكرة.

صمتت «بان» قليلًا، ثم نظرت إلى السقف قائلة:

- المفروض إنت كمان تقولي «شكرًا».

نظر إليها أمير غير متفهم لقصدها، فاستطردت «بان» من دون أن تنظر تجاهه:

- أنقذتك من «المنيو».

أجاب أمير:

- صح...

- ما قلتليش، كنت سرحان في إيه؟

- حاجة مش مهمة.

- حاجة مش مهمة تخليك تفقد الذاكرة قدام «منيو الأكل؟!

- مكالمة، من عميل.

- هوَّ انت لحقت «تأبيز»!

- لا، لا. الموضوع مختلف عن «الأبيوز».

- ما تقولش زهيرة؟

- مين زهيرة؟

- دي بنت كده، كمين، بتكلم السنتر تفضل تتصاحب على الشباب، مرة في التانية لحد ما يفتكروا إنها عايزة صحوبية بجد ويكلموها «برايفت»، وبعدين تقدم فيهم شكوى وترفدهم، إوعى تكون...

- مريضة أوي!

- ما تقولش! هي؟

- لا، لا خالص، حاجة تانية.

- طيب، قول!

- ولا حاجة.

- ولا حاجة؟

- مجرد... صوت سمعته، وأنا باتكلم مع عميل، زي صوت صريخ، شكلي ما نمتش كويس.

- أميرا في شغلانتنا دي هتسمع حاجات كتير وانت شغال هتزاولك، اعمل فلتر بعقلك! لو سلمت ودنك

للحاجات دي، العميل هوّ اللي هيسمّعك صوت مش حلو.

رمقها أمير مندهشًا لتحرك رأسها إيجابًا، ثم قالت بإنجليزية صلبة:

- ثق بي!

وانفتح باب المصعد.

٧

صدح صوت «بوب مارلي» مجدداً، الفاتنات يرقصن بكل جدية.

يوم جديد، دش ساخن، وإفطار بارد.

ميكروباص آخر للتسلق، الوصول إلى أتوبيس الشركة، ثم الجلوس تجاه النافذة، يراقب حوارات «آندي» وياسمين الجانبية، «جزّته» وهو ينطق الحروف العربية، وبجانبه يجلس كرم يراسل فتاة على الواتساب واضعًا صورة له من بعيد، يرتدي فيها نظارة سوداء ومعطفًا جلديًّا لامعًا، يبدو فيها أوسم من «جوش هارتنت»، وأطول ثلاث مرات من حجمه الطبيعي. اللعنة على الفوتوشوب ومواقع التواصل، أو هكذا شعر أمير.

كان أمير يرمق الجميع ثم يعود ليشاهد الطريق، بدون موسيقى صاخبة تلك المرة، فذلك الطنين، الناتج عن استخدام سماعات الحاسب ٨ ساعات في اليوم، لم يتركه وحيداً، حتى وهو ملقى على سريره كالمعدم، لا يتركه وهو يستحم، ولربما لو شنق نفسه قد يستمر معه.

فتح شنطته ورمق السماعات الأمريكية التي ابتاعها له أبوه في عيد ميلاده قبل سنوات. هل حان عليها الدور لتُعرض على الإنترنت، أم يعطيها لـ«زيزو» الذي يلح عليه كل يوم تقريبًا ليأخذها، صاحب «سايبر هوت نت»؟ لا يعلم أمير من اقترح على «زيزو» تسميته بهذا الاسم، لكنه كان يفكر، بينه وبين نفسه، أن الاسم ينقصه وضع شفتين حمراوين تنيران ليلًا ليصبح مكتملًا.

أما على الصعيد التقني، فعلى الرغم من العطب الذي ينتشر في المكان كله، فإن كمية العفن الموجودة فوق لوحات المفاتيح الخاصة بحواسبه تكفي جيلين أو ثلاثة من علماء المايكروبيولوجي الباحثين عن جميع أنواع الفطريات والبكتيريا. لقد كان أمرًا مؤلمًا بيعه لجهاز اللابتوب الخاص به بنصف الثمن قبل سنة، لكن الألم الأكبر هو صوت عراك الأطفال في «هوت نت» أثناء لعبهم لعبة تسمى «سيلك رود». ربما الحل الأمثل هو مقايضتها ـ أي السماعات ـ بألف ساعة نت عند «زيزو».

لم يكد الأتوبيس يقترب من القرية الذكية حتى سيطرت فكرة واحدة على أمير: اللعنة على مراكز خدمة العملاء في كل العالم، والعوالم الموازية! اللعنة على من فرح بيومه الأول بها! واللعنة على من لا يستطيع أن يخرج منها!

ـ اللعنة عليّ!

تنهد بها أمير بإنجليزية صلبة، يبدو أنها كانت مدلاة من حبل أفكاره، فعجز أن يرجعها من فوق لسانه.

سأله كرم عما قاله، فرمقه أمير بنظرته التي يكررها دائمًا، كأنه يراه لأول مرة، ثم فسر له أنه لم يقل أي شيء. تابع كرم حديثه الماجن مع الفتاة التي توصل إليها عن طريق صديق مشترك، يكلمها ويرمق من حوله من دون أن يتحرك، كأنه يغش إجابة امتحان ما، ويخشى أن يراه المراقب.

ثم الوصول إلى القرية الذكية.

الاختلاف الوحيد كان أن في يد أمير كتابًا رومانسيًّا.

مرر أمير كارته الممغنط أمام الباب لتنفتح أمامه طاقة الجحيم، الجميع مشغول لأذنيه، اتصالات ونقرات الحواسب ورائحة الفراولة الكيميائية التافهة، وأمير يتردد أن يأخذ خطوته التالية، عدل من وضع شنطته على كتفه اليمنى وهم بالدخول مسرعًا، لكن شيئًا ما جعل الأرض تصدم رأسه كالمطرقة. بعد بضع ثوانٍ اتضح الأمر.

لقد عرقله شخص ما قبل أن يفتح الباب الزجاجي الثاني. فقد اتزانه وصدم رأسه حتى فقد اتصاله بالعالم الخارجي للحظات. الغريب أنه بعدما لمس رأسه متأوهًا وجده وقد جلس بجانبه القرفصاء، حذاؤه الجلدي اللامع

وبنطاله القماشي القصير وجسده الممشوق، سناه البيضاوان البارزتان خلف ابتسامته الباردة. شامل.

. أي خبطة في الدماغ بتدوخ الضحية قبل مرحلة الافتراس، لو بتتفرج على «ناشونال جيوجرافيك» هتفهم قصدي. المشكلة إن بعض المفترسين بيفضلوا ياكلوا الضحية صاحية، الديب مثلًا.

حاول أمير النهوض وهو يتفحص جبهته لعل رأسه ينزف، لكن شامل أطبق يده على عنقه بقوة، حتى إن أمير عجز عن فك قبضته الصلبة. لقد كانت يد شامل أكثر صلابة من الخرسانة التي بُني بها المبنى. تابع شامل حديثه بهدوء:

. مش هاحذرك المرة الجاية، مش هاخبطك في دماغك، هاكلك على طول!

وتابع بعدما تنهد، وأمير لا يزال يحاول التنفس:

. ابعد عنها! الخلاف اللي بيني وبينها مصيره هينتهي وهنرجع لبعض. حاول ما ينتهيش وانت ميت!

أصر أمير تلك المرة على أن يحرر رقبته من يد شامل الحديدية لكنها أطبقت أكثر، حتى احمر وجهه وتورم، وتلك النظرة الغاضبة لا تزال تملأ عينيه مع محاولاته

المستميتة للتنفس. صفع يد شامل بعنف، فحرر شامل عنقه بإرادته الحرة، ورحل.

*

. هاقتله!

كانت أول كلمة يقولها بعد صمت طويل، وهو يتفحص رأسه في مرآة الحمام وبجانبه كرم، الذي تحدث لمدة ربع ساعة على الأقل قبل أن يقاطعه أمير.

. آآ... واضح إنك انضميت لجمعية محبي شامل!

تابع أمير، متمتمًا بحرقة، غير مكترث بما يقوله كرم:

. هادبحه!

التفت كرم حوله يمينًا ويسارًا وتفقد الحمّامات، ثم عاد لأمير قائلًا:

. إنت متأكد إنك تعرف تنفذها؟

نظر إليه أمير تاركًا خصلة من شعره كان قد رفعها ليعاين الكدمة:

. المفروض تعقلني!

ـ أميرا دي أول جملة فيها ريحة التيستوستيرون تقولها من ساعة لما عرفتك، مفيش أعقل من كده.

حرك أمير رأسه يمينًا ويسارًا وتابع:

ـ محتاج لزق جروح، في لزق قديم في جيب الشنطة.

تابع الجرح الناتج عن الكدمة بشغف، تطوع كرم وفتح جيب الشنطة وهو يحدثه عن المواصفات الجسدية لممثلة روسية شاهدها في فيلم أبيض وأسود قديم. تابع البحث وهو يصف مدى قربها من السيدة التي يجب أن تمضي معه باقي حياته. لم يجد شيئًا في الجيب، لكنه قرر أن يفتح الجانب الآخر من شنطة أمير بدافع البحث عن اللاصقة الطبية، أو ربما بدافع الفضول، ليجد سماعات مميزة رمادية اللون، وشطيرة باردة ملفوفة في كيس بلاستيكي، وتفاحة مغلفة بكيس رقيق، وكتابًا أسود اللون كُتب عليه باللون الأحمر: «أستروجينا».

ـ حاولت أنزّل كل أفلامها عشان أوريها للحاجة وأقولها هو ده الشاسيه، بنات اليومين دول بـ...

توقف كرم عن الحديث بغتة بعدما أمسك بالكتاب، رفعه إلى أعلى مضيفًا:

ـ «دابليو تي إف»! قولي إن أنا باحلم يا «دود»!

ـ أنا قُلت جيب الشنطة على فكرة!

- أنا باحمد ربنا إني فتحت الشنطة عشان أمنع الجريمة دي.

- مش بتاعي.

- آه، كلهم بيقولوا كده: «مش بتاعي»، «بتاع بنت خالتي»، «صدقني ما تظلمنيش»، وفي النهاية...

قالها وفتح عينيه عن آخرهما بشكل كوميدي مبالغ فيه.

- المفروض إنك كده بترعبني؟

- فسر... ده!

قالها على مرتين، مشيرًا إلى الرواية.

- رواية عاملة أعلى مبيعات في تاريخ مصر. عادي يعني إني أقراها.

قالها وهرب ببصره إلى المرآة محاولًا تفحص الكدمة والجرح.

- لا، عيب. كدكر كوالا باقولك عيب! مش احنا يا ابني اللي بنتنحنح ونمسح دموع وفي الآخر ننام مع مخدة.

- مش تقراها الأول طيب، أو حتى تعرف معنى الاسم؟

- مش محتاج أعرف معناها، في الآخر هتطلع كلمة لاتيني معناها «البوسة المشبك»!

- أي بني آدم بيحتاج لحظة رومانسية، من فترة للتانية.

- «لحظة رومانسية»، «همسة عتاب»، «ميرسي يا رب بجد»! إنت سامع اللي بتقوله؟ أمير، بكل أمانة، إنت أخويا وأنا لازم أحذرك. لو قريت الرواية دي هتتحول لدبدوب!

- كرم، إحنا صحاب، بس دي حياتي الشخصية، «برايفت سيكشن».

- «كيس ماي برايفت سيكشن»!

- أنا ممكن أضربك دلوقتِ بالبونية في مناخيرك ومحدش هيلومني.

- دكر كوالا، ولّا قرد بلدي؟ لازم تختار!

- هاختار «الشيفت»، هنكمل كلامنا عن الروايات المرة الجا...

قالها خارجًا من الحمّام وهو يضع الشنطة فوق كتفه ليتبعه كرم، لكن شيئًا ما جعله يتوقف عن الكلام. لقد مرت «بان» من أمامه هي وياسمين. جذبه كرم من ذراعه هامسًا:

- اثبت! خد نفس عميق!

رمقته «بان» بنظرة ثاقبة وهي تمر من أمامه. استوقفهما شاب طويل البنيان ونحيف، بدا مبتسماً وهو يحدث ياسمين يوسف، إلا أن «بان» بدت أكثر تحفظاً وهي تحدثه، لم يكن سوى «آندي»، جاء من العدم ليدلو بدلوه مع «بان»، وكالعادة خرج الدلو جافًا. كانت تحيد بنظرها بعيداً من فترة إلى أخرى، تصطنع ضحكة بسيطة، وترفض أن تمنحه أخرى.

مع ضحكاته ولغة جسده الغريبة لم يسع أمير إلا أن يتحرك تجاه مكتبه، وكذلك فعلت «بان»، وبدا عليها بعض الامتعاض.

لم يرغب أمير في التأخر أكثر من ذلك عن عمله، داعب حاسبه وبدأ في قراءة العروض الجديدة. بدا مكتئباً بعض الشيء. فتح موقع البحث وبدأ البحث عن مستشفيات في أمريكا لعلاج الحالات المستعصية من متلازمة باركنسون. قرأ بعدها مقالًا عن أسلوب جديد يتبعه مستشفى لعلاج حالات الباركنسون المتأخرة. دلف سريعًا إلى موقع المستشفى في أستراليا، بحث عن سعر الليلة الواحدة فصعقه الرقم، ألف دولار أسترالي، أي ما يزيد على عشرة آلاف جنيه مصري، لقد كانت ضربة قاصمة لحساباته.

طرق بجانب إبهامه عدة مرات متتالية فوق لوحة المفاتيح، ثم فتح نافذة البحث مجدداً، وقام بمسح كلمات البحث، حرك رأسه يمينًا ويسارًا مراقبًا المكان، تأكد أن أحداً لا يرصده، وكتب كلمتين أخريين. كتب: «فتاة مفقودة»، وفي رأسه تعاد صرخات الفتاة مائة مرة، ومائة مرة أخرى لإعادة رد ذلك الرجل: «ده التلفزيون يا أميرا». فكر ساعتها أمير في الرجل الذي حادثه، ذلك الوغد المريض، يعتقد أنه يمكنه أن يستدرج فتاة ما فقيرة أو يتيمة، ثم يفعل بها ما يحلو له، ثم يكذب كذبته المهترئة ويصدقه الجميع. هكذا دار الأمر في رأس أمير.

أمامه تراصت صور عديدة لفتيات مفقودات داخل مصر وخارجها، كان بعضها قد قضى نحبه بالفعل، صور رفاتهن المؤلمة، بقايا الدماء فوق ما تبقى من ملابسهن، تصرخ في أعماقه أن يجدها.

غرق في البحث، لكنه لاحظ أن دوره قد اقترب لتلقي الاتصال، فالشاشة أمامه قد أرسلت له إنذارًا أنه التالي. ضغط مرتين أو ثلاثًا على زر أسود في جهاز الاستقبال المقابل له، تحرك اسمه وأصبح قبل الأخير، فعلة تعلمها من صديقه كرم، لكنه حذره ألا يستخدمها إلا قليلًا، لأنه في النهاية، وعند صدور التقرير، سوف ينكشف كل شيء ويظهر تهربه، سيكتشف الضوي الأمر ويرسل له بريداً إلكترونيًا مرفقًا به ابتسامة وكلمة «أبيوز». لكنه

ألقى بكل ذلك في الجحيم، وتابع البحث في الصور الدامية. باغته صوت أنثوي يعرفه:

. بتراجع العروض؟

اتجه أمير برأسه إلى اليمين من دون أن يحرك جسده، مط شفتيه ولم يرد على «بان». بدا غير متفاجئ من سؤالها، غرق في صمته كأنه يبحث عن الكلمة المناسبة ليقولها. في النهاية أطلق زفيرًا عميقًا وقال:

. أنا بس... كنت مستني دوري.

. وإيه ده؟

قالتها مشيرة بإصبعها الرقيقة إلى الشاشة من دون أن تحرك يدها.

. مجرد... بحث... عن...

. عن؟

. كنت باراجع العروض و...

. عروض إيه؟ هوَّ في عرض نازل ع الجثث؟

اختنق أمير للحظة، كأنه لا يعلم كيف يطلق زفيرًا حبسه طويلًا، ثم أجاب بعد أن أخرجه وهو ينظر بعيدًا

عن عينيها الحادتين:

- آسف! مجرد بحث عملته وأنا بافكر في المكالمة.

- تاني؟!

- دي هتبقى آخر مرة نتكلم في الموضوع.

- أمير، مش معنى إني شايفاك إنسان كويس، وإني اخترتلك الغدا، إني هافكر مرتين إني أعاقبك لو غلطت، لو «شيروكي» أو الضوي شافوا المنظر ده مش هيدوك «أبيوز»، إنت عارف كويس هيحصلك إيه!

حرك رأسه مرتين، وقال بثقة عينين بريئتين:

- عارف!

- كويس، أنا هاعتبر نفسي ما شُفتش. إيه ده؟

قالتها مشيرة إلى كدمة في وجهه بكوبها الحراري.

- إيه اللي...؟ آه الكدمة، وقعت وأنا داخل المبنى فخبطت في عمود، كنت باحط السماعة.. في.. الشنطة ووقعت.

قال «السماعة في الشنطة» ببعض التقطع ونبرة صوت متوترة، ثم مرر إبهامه فوق ذقنه بلطف.

أعادت فاغرة فاها:

. السماعة في الشنطة!

حرك رأسه إيجابًا، فيما رمقته «بان» بنظرة ثابتة لما يقرب من خمس ثوانٍ، ثم أشارت بكوبها الحراري إلى الشاشة قائلة:

. كمل شغلك من فضلك!

ثم أفرجت عن نصف ابتسامة وهي في طريق الرحيل قائلة:

. «هابي شيفت»!

رد أمير رافعًا إبهامه في علامة أن «كل شيء على ما يرام»، ثم أشاح بنظره بعيدًا عنها حتى رحلت.

«هابي شيت!»، أعادها لنفسه بعد زفير عميق، ووجهه ممتعض.

اختفت «بان» من ورائه، وعاد أمير إلى بحثه. جاء دوره مرة أخرى لتلقي المكالمات، استقبل مكالمة، ثم تابع بحثه بشغف، وتلك المرة أضاف اختيارًا ضيّق البحث كثيرًا، في القاهرة فقط.

ضاقت الاختيارات تباعًا، حاول حفظ الصفحات التي شعر أنها قد تفيده، كان يعلم أنه من غير المفروض أن يفعل ذلك أيضًا، لكنه فعل، ولم يشعر بأي ندم.

مكالمة جديدة. تلقاها وأخفى صفحات البحث بسرعة. على الجانب الآخر من الهاتف عرَّف العميل نفسه على أنه المقدم صالح مهران. تابع أمير حل المشكلة بصدر رحب، وحاول أن يكون لطيفًا قدر الإمكان. لقد لمعت فكرة ما في رأسه، أراد أن يطبقها فيما بعد. في نهاية المكالمة قال بكل ثقة:

- أي استفسار تاني أقدر أوضحه؟

أمسك بورقة «بلوك نوت» صغيرة، وكتب الرقم بسرعة يحسد عليها وهو لا ينظر إلى الشاشة، وأضاف:

- شكرًا لاتصالك بـ«ريد فون».

قالها مرتين، ثم رمق الشاشة بعين ثاقبة.

*

بعد فترة ليست بالقصيرة تجمع الكل في منطقة تجمع المطاعم. ارتفعت أصوات الدردشة وهمسات النميمة. كان المكان مزدحمًا بطريقة غير مريحة. رائحة مزيج الأطعمة السريعة والرطوبة العالية التي تسيطر على المكان لم يمنعاه من التفكير وهو أمام قائمة الطعام.

أمامه وقف موظف الاستقبال يلوك علكته بالتصوير البطيء، يرمقه بنظرة ساخرة، ويشاهد اللاصقة الصغيرة التي زينت جبهته الخمرية.

جاءه صوت أنثوي حاد من حيث لا يحتسب:

. الوجبتين «ريجيولار» يا عماد!

تحرك الموظف ليعد الوجبتين، فيما حرك أمير رأسه جانبًا ليجد «بان» تقف بجواره وتتابع شيئًا في هاتفها، بجانبها صديقتها المتمردة ياسمين يوسف تتحدث في هاتفها بفتور. كانت «بان» ترمقه بنظرة غير عادية، بها كثير من الأسئلة المعلقة. حرك أمير رأسه نفيًا وعصر شفتيه وهم بالرحيل قائلًا:

. خليهم وجبة واحدة!

في طريقه استوقفته «بان»:

. إنت مين؟

كان سؤالًا قصيرًا وصاعقًا، استوقفه وجعله يستدير ليواجهها، ولكنه فضّل أن يتابع طريقه ويرحل. لقد قرر أن يرجع إلى البيت بأي ثمن، ويأخذ باقي اليوم راحة من دون سبب مقنع.

الغريب أنه، في اللحظة التي وصل فيها إلى بوابة الخروج، عدل عن فكرة الرحيل، وعاد ودخل متجهًا إليها ليجدها لا تزال واقفة تنظر إليه، لم تتبدل نظرتها ولا وقفتها، وبجانبها صديقتها على حالها.

. هأخرك عن الأكل دقيقة.

قالها أمير وانزوى تجاه عمود أسمنتي طُلي باللون الأزرق اللامع. تركت «بان» زميلتها المشغولة بهاتفها وتحركت بعدما صمتت لفترة طويلة. ما إن وقفت أمامه حتى بدأ أمير بالكلام، وهي تنظر إليه وترتشف من كوبها بترقب:

. «بان»، أنا بقالي هنا فترة قليلة، بس عايز أحكيلك عن حاجة حصلت مش قادر أشيلها من تفكيري.

حركت رأسها إيجابًا، وتابعت شرب القهوة، ليتابع أمير بدوره:

. في واحد صاحبي قالي لما شافنا مع بعض إننا شبه بعض، أنا حسيت بده، أنا عارف إني تقريبًا ما اعرفكيش، بس في حاجات غريبة بتحصل ممكن لأي اتنين ما يعرفوش بعض... أنا... دايمًا باشوفك مختلفة غير أي بنت موجودة في السنتر، أو حتى في الدنيا كلها... حتى ضحكتك، اللي يمكن شُفتها مرة واحدة، غير أي

ضحكة تانية شفتها. مش عارف ليه باقولك الكلام ده، وما اعرفش إنتِ كام مرة سمعتِ كلام شبهه.. بس...

شعر أمير بسيل الكلام ينقطع من ذاكرته، ودفعة الجرأة تتلاشى من دمائه، فيما حركت رأسها إيجابًا وتابعت رشف القليل من قهوتها، ولكن قامت بفتح الغطاء تلك المرة وشربت منه ككوب كبير. شعر ساعتها أمير أنها غير مهتمة بما يقوله، لكنه تابع بعدما قفز شيء إلى عقله لينقذه من صمته:

- أنا شُفت على «ناشونال جيوجرافيك» فقرة عن الكوالا، قالوا إنها قربت تنقرض، وإنها حتى بترفض التقرب من أي ذكر، ساعتها فكرت فيكِ، مش عشان إنت مميزة زيها، عشان الملل اللي حاسة بيه من كل اللي حواليكِ، إنت مش بترفضيهم بس عشان مش عايزاهم، بترفضيهم عشان هم قرود بلدي بـ...

كان يحرك يديه بتوتر وهو يتحدث حتى جعله إحساس ما - إحساس بأن هناك شيئًا ساخنًا، فوق قميصه وأعلى بنطاله، قهوة محلاة ألقتها «بان» فوق بنطاله كأنها تطعنه - يشهق بعمق كأنه خرج لتوه من الماء.

تجمد في مكانه، ونظر حوله وتظاهر أنه على ما يرام. نظر إليها ليجدها قد اختفت مع صديقتها كأنها تبخرت. بعدها حاول التأكد أن شيئًا لم يحدث، ووضع يده حول وسطه وراقب البيئة حوله ليجد أن فتاة قد انفجرت

ضاحكة فوق طاولتها حتى سقط الأكل من فمها، لكنها خبأت وجهها بشطيرتها على أي حال. وضع يده على بنطاله الداكن المبتل ثم نفضها بعيداً، همس لنفسه: «حبيب قلبي!».

في الحمّام الهادئ صاح كرم:

- كلييير!

كان من حسن حظ أمير أن لون بنطاله قد لعب دوراً إيجابيّاً في عدم فضحه. اقترب من آلة التجفيف بالبخار، وفتح بنطاله المبلل بعدما غسله بطنٍّ من المناديل المبللة، ثم ضغط على الزر الأحمر لتطلق الآلة شلالًا من الهواء الساخن، استقبله أمير بوجه متجهم عابس من الألم.

علق كرم:

- لازم نصلي ركعتين شكر إنه ما كانش شلوط!

أشار أمير ناحيته بسبابته بتشنج، كأن وجهه سينفجر، حتى إن أعصاب رقبته انتصبت، ثم همّ بقول شيء ما ابتلعه بصعوبة، ثم أشار إليه مجدداً، وأطلق زفيراً عميقاً، ولكن كرم تابع وهو يكمل مهمته في مراقبة طرقة باب الحمّام:

. ما تكتمهاش يا «مان»، طلع شحنة الغضب فيّ، أنا حاسس بيك!

. حيوان الكوالا ها؟ حيوان الكوالا يا ابن المرة الـ...

قاطعه:

. كبسة!

لملم أمير بنطاله بسرعة وتوجه إلى الصنبور وتابع غسيل وجهه، فيما استخدم كرم جهاز التجفيف بدوره. ما إن رحل الدخيل حتى حاول أمير الاحتكاك بكرم، لكن الأخير دافع عن نفسه متراجعًا تجاه الحائط وهو يستخدم كفه اليمنى بطريقة دفاعية، قائلًا كلماته بسرعة يُحسد عليها:

. مش معنى إني استخدمت تشبيه وانا باقنعك، إنك لازم تسمّعهولها. فكرا من غيري ما كنتش هتعرف عنها حاجة أصلًا.

تجهم وجه أمير ولملم قبضته، ثم صفعها في الحائط بجانب رأس كرم قائلًا:

. كتير اللي بيحصل. الصبح حيوان بيتمرن وهو نايم، كان عايز يقتلني، ودلوقتِ قهوة بالكريمر على هدومي، بسببك. ها!

ترك أمير حيز كرم الخاص وتوجه لآلة التجفيف البخاري مجدداً. تابع كرم وهو يعدل من هندامه:

. ضريبة النجاح دايماً مؤلمة.

. إيه النجاح يعني في إني أرتبط بواحدة مجنونة يعني؟

. أميرا إنت عايزها، باينة جداً في عينيك، نبرة صوتك، بنطلونك.

أشار له أمير مجدداً بسبابته، وهم بإطلاق سبة ما، ولكنه ابتلعها مرة أخرى، وكادت أن تنفجر عضلاته غيظًا.

٨

يوم جديد. شنطته السوداء وإفطاره البارد، كلمات أمه المتشنجة من فمها الفاغر، ثم الركض تجاه الشارع للحاق بالميكروباص، وبعد نصف ساعة من انتظار العربة المناسبة، جاء وقت التسلق.

ـ القرية الذكية يا اسطى؟

سأل أمير سائقًا قد شمر أكمام قميصه وبقي صامتًا.

التفت رقبته ببطء شديد، إلا أن أمير شعر أن شيئًا ما غير صحيح، ذراعه الغريبة المستندة فوق «دريكسيون» السواقة، أو ربما لون رقبة السائق البنية الباهتة، والفراء المتدلي منها. أذنه الطويلة التي لاحت أكثر فأكثر كلما استدار بوجهه. لقد كان حيوان كوالا كبير الحجم، تخرج من يمين فمه سيجارة بيضاء مشتعلة محلية الصنع:

ـ خش يا زميل!

قالها ببطء وهو يحرك السيجارة في فمه كأنه يلوكها.

تابع أمير اللهاث وهو فاغر الفاه وموسع العينين، ثم تباطأت الحياة في تلك اللحظة حتى فض «بوب مارلي» الاشتباك بأغنية كل صباح.

فاتنات «هاواي» يتراقصن فوق ذلك المنبه المتهالك، وصفعة من أمير أخرست «بوب مارلي»، وجعلت الفاتنات يزدن من مجهودهن حتى أفاق. إنه يوم آخر، وكابوس سريالي جديد. لقد خسرها، خسر «بان»، ومعها ما تبقى من كبريائه.

ما إن ارتدى قميصه حتى وجد أمه تشاهد «كارتون» تلك المرة، وعلى وجهها ضحكة لا تنقطع. أشارت له بيدها في علامة معناها: «أين السجائر؟».

اتجه إلى غرفته وعاد وفي يده علبة جديدة من السجائر، حررها من شريط بلاستيكي رفيع وأخرج منها نصفها، ووضعها على الطاولة، ثم ناولها إحداها:

ـ ده أولنا!

أشعلتها مبتسمة، ثم أشارت له مودعة، وعادت لمتابعة «الكارتون».

لم يمضِ للعمل قبل الحصول على بعض «الشيتوس»، معشوقه وصديقه في رحلته لصناعة الدمى الصغيرة. لقد كان «مارلي» لا يستسيغه لسبب ما.

بحث في غرفته عن كيسين كبيرين كان قد اشتراهما البارحة مع بعض الشعير الذي أسكنه الثلاجة القديمة، لكنه لم يجد حتى كيساً

واحداً، لقد كان متأكداً أن هناك كيساً لم يفتحه بعد!

صاحت أمه:

ـ أميرا!

فعاد من غرفته ومعه شنطته، يبدو عليه بعض الإنهاك من كثرة البحث، لكنه وجدها ممسكة بالكيس، تناوله إياه:

ـ كنت بافكر أسرقه بس ما هونتش عليّ، أنا كلت بقية الكيس التاني.

ابتسم أمير واقترب ليمسك بالكيس، لكنها عادت بيدها بعيداً عنه. قالت:

ـ ده أولنا!!

قاوم أمير ضحكة ما لبثت أن انتصرت عليه، أومأ برأسه إيجاباً، وجذب الكيس تلك المرة. قبّل رأسها، ورحل.

ميكروباص آخر، من دون سائق تخيلي، موسيقى شعبية فرضت عليه، وبرودة قاتلة، ثم الوصول إلى المحطة الخاصة بأتوبيس «ريد فون»، والانتظار، لسبب ما كان من الواضح أنه وصل باكرًا عن ميعاد الأتوبيس، ربما ببضع دقائق. الفراغ والانتظار أرغماه على تذكر ليلة البارحة، مر بأحداثها تباعًا حتى تذكر تلك المكالمة التي

دارت بينه وبين ذلك الشرطي، المقدم صالح مهران، كما عرّف نفسه.

دس يده في جيبه وأخرج ورقة قصيرة مطوية مرتين، فتحها ليجد الرقم وقد كتبه بخط سيئ، أخرج هاتفه وأدخل الرقم. كان يعلم أن فعلة كتلك قد تجعل منه قصة العام القادم في «ريد فون»، الشاب الذي سولت له نفسه أن يخاطب عميلًا من دون إذن الشركة. مكالمة واحدة من العميل للشركة كفيلة بأن تقضي عليه، وحتى إن سلم من الشركة فقد لا يسلم منه هو شخصيًا، لأنه ضابط شرطة مصري غاضب، لديه أطنان من القضايا والمشاكل، يحادثه موظف بائس يشتبه في شيء ما لا يعرف كينونته. في النهاية ضغط على زر الاتصال الأخضر، وقرر أن يلقي بزهره، لعله يصيب، لعل قراره السخيف قادر على إنقاذ شيء ما لم يكن لينقذه غيره، لعل القدر طلب منه أن يحرك ساكنًا، في دنيا تكتفي فيها الأمم المتحدة أن تشجب وتدين، وتعرب عن قلقها.

- ألو.

- أيوه.

- صالح باشا معايا؟

- أيوه يا ابني، مين؟

- أمير الريس مع حضرتك، «ريد فون»، اتكلمنا امبارح.

- آه، في حاجة ولّا إيه؟

- لا حضرتك أنا بس... هوَ أنا ينفع آجي لحضرتك المكتب؟ في موضوع مهم عاوز أشرحه لسيادتك.

- طاب ما تتكلم دلوقتِ، عادي أنا فاضي.

كان يتحدث بسرعة كأنه متلهوج لسبب ما. كان من الصعب تفسير حديثه من أول مرة. سرعان ما أيقن أمير أن تلك هي طريقته الطبيعية في الحديث. رد أمير:

- صدقني حضرتك، الموضوع أكبر من إننا نتكلم في التلفون.

- ليه يعني؟ معاك سر حربي؟!

- حضرتك هتعرف كل حاجة، أنا هاخلص «الشيفت» بتاعي على ٦ بالليل، الساعة سبعة ونص نتقابل؟

- تعالالي على التجمع الأول، أنا سهران في مكتب واحد صاحبي، النقطة بتاعة الشرطة سهل توصلّها.

- هاكون هناك سبعة ونص، شكراً.

- أ... أميرا أميرا!

. نعم؟

. لو الموضوع ما طلعش يستاهل، حاول تجيب معاك لبس يكفيك شهرين يا حبيبي.

قالها بلهجته السريعة ساخرًا.

. هاعمل حسابي.

قالها وابتسم وأغلق الخط.

بعد يوم شاق في العمل، وبمجرد اقترابه من جنبات حيه المزدحم، بدا كل شيء متسخًا، مزيجًا من الميكروباصات والتكاتك تتلاقى وتتنافر في نقاط سريالية، المعنى الحقيقي للفوضى الخلاقة. كان ذلك هو روتينه اليومي، في بعض الأوقات كان يتمنى أن يمكث في عمله فترة أطول، فرجوعه إلى ذلك المكان يترك شعورًا سيئًا في قلبه على الأرجح، كأنه غراب كسر جناحه بطريقة ما، وكُتب عليه أن يقضي ما تبقى من حياته مع قطيع من النمور الآسيوية، لا هي تستسيغ لحمه، ولا هو يركض مثلها.

ما إن مر بمحاذاة الشارع حتى رن هاتفه، كان رقمًا غريبًا. أجاب أمير محاولًا التركيز في المحادثة، وتجاهل صراخ تباعي الميكروباصات، وخناقات باعة الفواكه مع المشترين.

- ألو.

- إحنا وصلنا ومعانا الفلوس.

- وصلتوا فين؟

- وراك يا ريس!

التفت أمير ليجد وراءه شابين، جالسين فوق دراجة بخارية كبيرة تشبه «الهارلي ديفدسون»، النسخة الصينية. كان السائق يبتسم بطريقة تثير الغثيان، والآخر يدخن سيجارة ويختلس النظر بيد بها ثلاثة خواتم كبيرة.

لسبب ما استدعت ذاكرة أمير فعلته التي فعلها في الصباح، فبعد رفضه كثيراً من العروض القادمة من الموقع الشهير، قرر أخيراً أن يرسل موافقته في رسالة نصية لأحد المشترين. لقد بدأ الأمر منذ شهرين تقريباً، حينما وضع صورة «مارلي» على أحد المواقع التي تهتم ببيع وشراء كل شيء، ثم تراجع عن الفكرة وأحرقها تماماً في عقله، وأخيراً أزال الإعلان عن الموقع وعنَّف نفسه. إلا أن بعض الأبواب تناديك لو لم تسدها بحائط. وها هو يستسلم لباب كان من المؤلم أن يفتحه.

تنهد أمير وقلَّب عينيه في وجهيهما، ثم أكمل:

- بيتي خمس دقايق من هنا.

استوقفه أحدهما:

. سؤال يا صاحبي معلش.

توقف أمير، ليردف الرجل بوجه يقاوم السخرية:

. بتعرف توصل بيتك إزاي؟ لا مؤاخذة في الكلام!

استجمع أمير كلماته ورد بابتسامة باردة أخفت بعض الإحراج:

. باستخدم «جي بي إس»!

ضحك الثاني وتطوع لشرح معنى الكلمة لصديقه، الذي أقسم أنه يعلم أنها تشير للقمر الصناعي. كانت مزحة جيدة لم يعلم كلاهما أنها لم تكن مزحة من الأساس.

قطع أمير الهراء وعادت ملامحه إلى الجدية مجدداً، وأشار نحو بيته بيمناه.

تبعه المجهولان الضاحكان. اختفى أمير وعاد بعد خمس دقائق ومعه «مارلي». قام أحدهما من فوق الدراجة، وتقدم ناحية أمير وأمسك بالقفص:

. تسلم يا رياسة.

إلا أن أمير لم يفلته. سأله:

- مش عايز حتى تعرف اسمه؟

صاح الشاب الآخر ساخراً، وهو يشرب سيجارته ويطلق زفيراً طويلًا في الهواء:

- هنسميه «زنجر»، على اسم جده!

قالها وأخرج من جيبه كيسًا بلاستيكيًا مطبقًا مرتين، قذفه في يد أمير، ليجد فيه أمير رزمتي نقود.

أفلت أمير القفص وقال، مخاطبًا الشاب الأول، ومحذراً بسبابته:

- اسمه «مارلي»، ما ينفعش تسميه أي اسم تاني، البغبغان ذكي، بيوصل لذكاء طفل أربع سنين.

قالها وبدأ «مارلي» في غناء أغنية «بوب مارلي» التي توقظ أمير مجدداً. يتحرك يمينًا ويساراً كأنه على وشك الجنون.

- المعلومات دي حلوة لقناة عالم الحيوان يا باشا، بس بالنسبة لنا إحنا مش هتاكل، إحنا مجرد تجار. معاك أربعة يا مدير.

قالها ليرمق أمير النقود مجدداً. أشاح بها أمير في وجه الشابين صائحًا:

ـ عايز تشتري بغبغان «ماكاو» تمنه ما يقلش عن ١٢ ألف، بأربع تلاف جنيه؟ اتفاقنا ما كانش كده!

تدخل الشاب المبتسم بعدما وضع القفص أرضًا:

ـ يا رياسة معروض علينا بتلاتة ونص على نفس الموقع، الحاجات دي ملهاش قيمة في مصر.

ترك أمير ليديه حرية السقوط، وظهرت عليه خيبة الأمل، ثم نظر إلى «مارلي»، الذي بدا، بطريقة ما، ملمًّا بما يحدث.

ـ «مارلي» عاوز يطير.

ثم أطلق صفيرًا طويلًا، جعل الشاب المبتسم يظهر المزيد من أسنانه.

قال أمير لـ«مارلي» بغصة واضحة:

ـ عارف يا «مارلي»...

ثم رمق المبلغ في يده مجددًا، وعاد يوجه كلامه للشاب الجالس فوق الدراجة، بنبرة منهزمة:

ـ بيحب الموز أكتر حاجة، لو... رميتله مكسرات، ورماها بمنقاره بعيد يبقى عاوز ياكل موز بس.

عاد «مارلي» لغناء الأغنية الخاصة بمنبه أمير مرارًا وتكرارًا بصوت أعلى، وتكرار أسرع. جلس أمير القرفصاء بجانب ركبتي المبتسم، وأدخل إصبعه لينقرها «مارلي».

- آسف!

تكونت دمعة في عينه اليمنى، سيطر عليها قبل أن تسيل، ثم وقف وحيا الشابين. ناول الشاب القفص لزميله ذي الخواتم الكبيرة، والذي تدلت يده اليسرى ممسكة بالقفص، ليدير المبتسم الدراجة مجدداً، وسط كلمات «مارلي» المتشابكة، وأغنيته التي يكررها كالمجنون.

وضع أمير المال في جيبه، ثم أشار للشاب الجالس في الخلف:

- خلي بالك، القفص ممكن يتخبط منك، ويطير وانت ماشي.

دار السائق بالدراجة، ليرد الشاب ذو الخواتم المتعددة مبتسماً:

- لو حصل هنجيلك تاني.

قالها واختفوا جميعًا. أخرج أمير الأموال من جيبه مجدداً، ورمقها بوجه يملأه القرف. قاوم رغبة كبيرة في تقطيعها، ثم تابع طريقه إلى المنزل.

*

في طريقه إلى البيت مر بمنحنى مظلم، تصاعدت بعض الأدخنة البيضاء من جانب الحائط، كان شاب ما يستند إلى الحائط، يدخن سيجارة المساء، لم تظهر الظلمة ملامح وجهه، ولكنه تفوه ببعض الكلمات التي خرجت من بين أسنان موحشة:

- إنت عارف إن الفلوس الكتير سبب فساد الشباب يا شق؟

كان نحيفًا للغاية، له عينان ضيقتان وأنف عريض، تجاهله أمير وتابع طريقه، ليكتشف أن ثمة شابًا آخر يقف في منتصف الطريق، بل ويقترب في اتجاهه.

توقف أمير عن السير، والتفت إلى الشاب المختفي في الظلمة، ليجده أمامه مباشرة. مد يده ليصافح أمير، لكن أمير لم يمد يده ليصافحه، ساعتها تأكد أمير أن الآخر يقف خلفه تمامًا، لم يلتفت ليراه، لكنه شعر بأنفاسه، رائحته المقرفة، مزيج من السجائر والعرق وعطر سيئ الصنع. لا بد أنه شرك ما، لربما تبعاه من البداية، هذا ما دار في رأس أمير.

- لو مش عايز تسلم يبقى نحضن بقى!

قالها النحيف وضم أمير حتى شله تماماً عن الحركة. قاوم أمير، لكن كان الأمر أسرع مما تخيل، فبمجرد ما أفلت النحيل التفت خلفه ليجد كيس النقود في يد الآخر.

. أعرفك بنفسي، أنا سيد التاكس، الكبير هنا، باحمي المنطقة دي كلها.

. بتحمي ولّا بتسرق؟!

قالها أمير رامقًا صديقه الذي ألقى بكيس النقود في الهواء وأمسكه مجدداً، في فرحة واضحة.

ابتسم النحيف وأشاح بنظره بعيداً، ثم أمسك بتلابيب أمير بغتة، ودفعه هو وزميله تجاه الحائط وسط مقاومة عنيفة من أمير. ما إن ارتطم رأس أمير بالحائط حتى أردف النحيف، ملصقًا سلاحه الأبيض في خده:

. باحميك من نفسك يا شق، بس واضح إن لسانك فيه حتة زيادة، تحب أعملك عملية؟

. الفلوس دي خاصة بعلاج أمي، خد نصها وهات نصها، هتكفيك شهر إنت وصاحبك.

كان من الجنون مفاوضة مجرم عن محصوله، لكن أمير أدلى بدلوه، لعل قدره قد قدمه للمجرم الوحيد ذي الحس المرهف، لكن الأمر كان أقسى قليلًا من ذلك.

- بلاش يا شق الجو ده عشان دمعتي قريبة، إنت عارف الفلوس دي هتقعد معانا قد إيه؟

ثم أشاح تجاه صديقه الصامت قائلًا، بوجه قاوم ابتسامة ملحة:

- تسمع عن سرعة الصوت؟

شهق صديقه شهقة نابية طويلة للغاية من منخاره، كأنه على وشك التشقق والانفجار. احمرت وجنتاه من طول الشهقة وضحك التاكس ثم عاد بوجهه مجدداً لأمير، كان سكينه النحيف لا يزال يدغدغ وجهه حينما أضاف:

- أهو احنا هنصرفهم أسرع من كده!

صفق على وجه أمير وهو يحرره قائلًا:

- تاني مرة، لما تشوف التاكس تحترمه!

كانت عينا أمير لا تزال تعتليهما تلك النظرة، نظرة تفحص طويلة، تمتزج بقرف يقطر منه التشاؤم.

عدل أمير من ياقته وهندامه، كأنه ينظف نفسه من اتساخ، لكن صديق التاكس ذا العطر السيئ بدا مشغولًا في تقليب ما في الكيس يمينًا ويسارًا، إلا أنه قطع الصمت قائلًا:

. الفلوس دي ناقصة يا تاكس! الواد ده شمال!

جذب التاكس الكيس من يده بعنف كان يكفي لتمزيقه، مرر إبهامه فوق الرزمة التي بداخل الكيس حتى تأكد من أنها ألفا جنيه كاملة، ثم تساءل بوجه غاضب:

. وانت عديتهم ازاي يا روح أمك؟

. يا تاكس أنا شايفهم بعينيّ، رزمتين مش رزمة واحدة!

. ولَه! فتش نفسك بسرعة، إنت شكلك غلبان ووشك ورقة بيضة، ما تخلينيش أمضي!

رمق أمير بنظرة مخيفة وتابع:

. يلّا مفيش وقت! بسرعة باقولك!

قالها ملوحًا بسكينه في الهواء قرب وجه أمير، خبطه بظهر السكين كنوع من أنواع التحذير، ثم التفت حوله ببعض الذعر، لأن شخصًا ما كان على وشك الاقتراب من ثلاثتهم.

كان أمير يرمقه بتلك النظرة المترقبة، بدا مسالمًا حينما سأل:

. تحب بسرعة الضوء؟

توقف التاكس عن النظر حوله وعاد ببصره إلى أمير متسائلًا:

. سرعة إيه؟

لم يكملها التاكس حتى تلاشى أمير من أمام نظره، كأن ثقبًا زمنيًا قد ابتلعه. حاول الثنائي الركض خلفه، لكن الأمر كان أشبه بمطاردة أمريكي مصاب بالسمنة المزمنة لأرنب بري. انحنى الاثنان سعالًا وسبابًا يستندان على ركبتيهما بعد عشرة أمتار فقط من الركض خلف شبح أمير، الذي تذكر وهو يجري، كيف أنه أخرج النقود مرة أخرى من جيبه، وفصل رزمة من الاثنتين وخبأها في جيب سري ببنطاله. كان الاحتياط مطلوبًا دائمًا، وفي مكان مثل هذا، كان الاحتياط فرض عين، لا يسقط ولا يغتفر.

الآن أصبح لديه ألفان فقط، وذهب «مارلي»، إلى الأبد. لقد حان وقت المقابلة.

*

في نقطة شرطة التجمع الأول، تغيرت فكرة أمير عن ضباط الشرطة التي زرعتها الأفلام في رأسه: ضحك هستيري وسجائر وشطائر وسباب ساخر. كان صالح قمحي اللون، يعاني من بعض السمنة تركزت في بطنه، بدا في نهاية الثلاثينيات، يرتدي تيشيرتًا أصفر

فاقعًا عليه علم البرازيل، له أنف معقوف وذقن خفيف به بعض الشيب وشعر قصير، له نظرة ساخرة دائمًا وشعر قصير. كان يدخن سيجارة ويمزح حينما رأى أمير واقفًا عند مدخل المكتب، كان الأخير يتصبب عرقًا بعدما شرح لحارس المكتب أن «الباشا» في انتظاره.

أشار له صالح بسيجارته أن يتقدم، ثم أشار له أن يستريح، وتابع التحدث لأصدقائه. اتضحت أكثر لدغة بسيطة في حرف السين كلما تحدث، كان خفيف الدم وتقطر كلماته جاذبية، حوله ثلاثة من أصدقائه، يستمعون إلى حديثه باهتمام وابتسامة، أحدهم كان أسمر البشرة يرتدي نظارة، والآخر له شعر أسود قاتم ناعم الشكل. جلس أمير في الكرسي المقابل لصالح حتى انتهى، استغرق الأمر ربع ساعة.

بعد قليل قام اثنان من الثلاثة، وغرق الثالث في مكالمة تلفونية مهمة. اقترب صالح برأسه من أمير وسأله:

- تشرب إيه؟

رفض أمير شرب أي شيء، لكنه لم يتماسك أمام إلحاح صالح وسخريته. طلب كوبًا من الشاي. أخرج صالح من مكتبه علبة أعواد ثقاب كبيرة الحجم، لونها مائل إلى الأخضر، كُتب عليها بالإنجليزية «سترايك إني واير»، أمسك برأس عود منها، فركه بين سبابته وإبهامه كأنه

يخنقه. اشتعل العود ليشعل به صالح سيجارة أخرى. راقب نظرات أمير وسأله بسخريته المعهودة مبتسمًا:

. جبت الشنطة معاك؟

رد أمير، راسمًا نصف ابتسامة:

. مش ناوي أطول.

. إحنا اتفقنا تجيب الشنطة وتودع بابا وماما.

. يا باشا! لو حياة طفلة مش مهمة، اعتبرني ودعتهم!

تغيرت ملامح صالح، وأشار له بإصبعيه الممسكتين بالسيجارة أن يكمل، فتابع أمير:

. أنا كنت باستقبل مكالمة من عميل، المكالمة كانت ماشية كويس، أحسن من كويس، لحد ما سمعت صوت صريخ بنت. لما سألت العميل...

قاطعه صالح:

. صوتها كام سنة تقريبًا؟

. من سبع لعشر سنين.

أشاح صالح بوجهه في اتجاه صديقه ذي الشعر الأسود القاتم متسائلًا:

. البنت اللي «دودة» مسحول في قضيتها عندها كام سنة يا سالم؟

وضع سالم يده فوق سماعة الهاتف وقال، بعدما قطب حاجبيه لثانيتين:

. اتنين وعشرين باين.

عاد صالح بوجهه لأمير وقالها بلهجته المتسارعة:

. كمل معلش!

تابع أمير:

. لما سألته قالي إنه التلفزيون، مع إن الصريخ كان واضح جدًا، بنت بتصرخ بتقول «هيلب»، كملت معاه المكالمة عادي، بعدين كلمت واحد تاني من نفس المكان، من المعادي، قالي إن النور كان مقطوع. رجعت كلمت العميل تاني أكتني باطمن على حل المشكلة، سألته في وسط الكلام النور رجع ولّا لسه، قالي: «لا، لسه قاطع»، ولما حس إنه غلط، سكت. فسألته عن التلفزيون، قالي إنه كان مشغل موبايل صيني بتلفزيون، واحد مليونير عايش في فيلا في المعادي ماشي بموبايل صيني!

تابع صالح تدخينه، كان يدخن بطريقة غريبة، يحصل على جرعته من الدخان على هيئة كرة بيضاء، ثم يبتلعها من خلف فلتر السيجارة قبل أن تتلاشى في الهواء، رمقه بنظرة لم يفهم أمير مغزاها، لكنه غلفها بابتسامة، ثم سأله:

- وأنا المطلوب مني أعمل إيه دلوقتِ؟

لسبب ما جعل الردُّ أمير يبتلع ريقه بصعوبة، لأنه، للمرة الثانية، توقع شيئًا لم يجده في قسم الشرطة. لكنه تابع:

- تحرر البنت.

- أحرر البنت؟ ده على أساس إني بطل فيلم «ترانسبورتر»!

- يا باشا، أنا متأكد من اللي باقوله لحضرتك.

- ماشي يا باشا، ما قلناش حاجة، بس أنا إيه اللي يضمنلي، كل الكلام ده معناه إن فيه بنت في الفيلا، وبعدين واحد بالمواصفات دي احتمال كبير يكون مسنود، لازم عشان أخش عشته أكون مأمن ضهري. في حاجات في الشغل...

قاطعته طرقة سريعة على الباب. دخل رجل حليق الذقن، نحيف، أصلع كالمرآة، يمسك في يده رجلًا تبدو

عليه بعض مظاهر البله، طاعنًا في السن، فاغرًا فاه دائمًا، شعره أشيب، قمحي اللون، متوسط الطول، له كتفان ساقطتان كأنهما اتصلتا بمعدته.

. سمير أهو يا صالح بيه!

قام صالح من مقعده، من دون أن يستأذن، رفع بنطاله الجينز من الخلف، ثم توقف أمام الاثنين، وصفع يديه الاثنتين وهو يحملق في وجه سمير.

. ثواني يا حمادة! افتح بقك يا سمير!

قالها وأمسك بفم سمير، بيد واحدة، وفتحه. تطوع سمير بفتحه عن آخره كنوع من أنواع المساعدة، كانت بعض أسنانه غير موجودة، وأخرى صدئة، وطويلة للغاية. أنار صالح هاتفه، ثم أخذ ينظر في غياهب فم سمير بتأفف. علّق صالح:

. إنت كده بتموت مش بتفتح بقك!

ثم تابع بنبرة تهكمية مقلداً صوت سمير:

. شيلني من الفترينة يا صالح بيه، وديني اللوكاندة يا صالح بيه. يا ريت ما لاقيش في لباسك متعدد طلقات في الآخر، وتعورلي حد جوه.

. فيش، أبيه!

شهق سمير وهو ينطقها، كأنه يغرق، كان فمه لا يزال في يد صالح.

صرخ فيه صالح:

- إيه؟

عدلها سمير بصعوبة بالغة:

- علطلاق مفيش يا بيه!

علق صديقه بعدما أبعد الهاتف عن أذنه، وأطلق شهقة نابية طويلة وهو يقهقه:

- سمير الحرامي مش بتاع طلقات، بتاع ملاقط.

انفجر جميعهم ضاحكين، إلا أن صالح اكتفى بابتسامة سيطر عليها، ووجه حديثه لأمير، الذي زاغت عيناه السارحتان بينهم جميعًا، وكالعادة لم يضحك، أو يصدر منه أي رد فعل. علّق أمير بصوت هادئ:

- حضرتك مقدم في المباحث، ممكن تاخد أمر وتخش تفتش أي مكان يعجبك.

- لاااا... حضرتك فاهم الدنيا غلط.

قالها ومال بجذعه، وخبط على ركبة سمير ليفرج بين ساقيه، تحسس أسفل قدميه وخلفهما، ثم تصاعدت يداه حتى أمسك ما بين رجليه، كجراح يبحث عن خصية ضائعة، وأكمل وهو يجز على وجهه:

. وهوَّ انا هاجيب الأمر إزاي يا باشا، وعلى أساس إيه هاطلب أمر من النيابة؟ حمادة! ركز معايا! افرض جبت أمر على مسؤوليتي ودخلت لقيت البيت من جوه أبيض، هاعمل إيه؟

ثم ترك سمير وأشار برأسه للرجل الممسك به، والذي هم بالانصراف بعدما حيا صالح. الغريب أن سمير أطلق بعض عبارات الشكر، فالجلوس خلف القضبان الضيقة الملقاة في غرفة استقبال القسم (الفاترينة) يعتبر قمة العذاب بالنسبة لأي مشتبه أو حتى مجرم، فهو بمثابة عرض الرجل في فاترينة أمام كل من تطرق أقدامه أرض القسم، دعاية سيئة مجانية تجعل معظم من يجلسون فيه يتمنون الموت، إضافة إلى أنها مجرد «متر في متر» فلا يمكن فيها النوم ولا القيام، فقط الجلوس منحنياً.

صمت أمير لثانية، وهمَّ بقول شيء ما، لكنه تراجع. تابع صالح:

. بس انت على فكرة برضو تشكر على اللي بتعمله.

قالها وصفعه برفق على كتفه. ساعتها نظر أمير إلى كتفه التي طبع عليها صالح للتو رائحة أعضاء «سمير الحرامي» التناسلية، وتمنى أن يفقد الذاكرة، أو معطفه، أيهما أقرب.

تابع أمير:

- بس أنا لسه ما عملتش حاجة!

- ولا هتعمل يا باشا! ولا هتعمل أي حاجة!

- إزاي؟

- إزاي إيه؟ زي السكر في الشاي، بص!

قالها صالح وهو يجلس، بعدما أخرج من جيبه منديلًا نفر فيه من أنفه طويلًا، وتابع:

- إنت أخويا الصغير وأنا بارسيك على الصح، لو حاولت تخش الفيلا بتاعته تشوف بنفسك، وساب عليك كلب أو ضرب عليك نار واللّه ما ليك دية! ولا ربع جنيه مخروم! اشتري مني!

- بس دي حياة بنت!

- ولاااا حياة الدرديري. مفيش يا ابني الكلام ده. حمادة! إنت ابن ناس ومش وش بهدلة. أنا هابعتله مخبر

هيعسكر قدام الفيلا نباطشيتين تلاتة، ولو شكيت ـ مجرد بس شكيت ـ إن في أي حاجة شمال، هاخش أقلبلك الفيلا دي كلها من فوق لتحت.

ـ مش هيلاقي حاجة غلط!

قالها أمير وقام في اللحظة التي دخل فيها موظف يحمل صينية فوقها كوب ماء وآخر فيه شاي يخرج منه بعض البخار.

ـ إيه اللي مضمنك؟

تابع أمير بعد لحظة من الصمت، ونظرة غير سعيدة:

ـ لأن الغلط جوه الفيلا، مش براها.

ثم تابع بفتور لم يستطع أن يخفيه:

ـ أنا آسف إني دوشتك!

رمقه صالح بنظرة هادئة، ثم شرب من الماء الذي وضعه الموظف وأذن له بالرحيل، وظلت تلك الابتسامة على وجهه لا تفارقه.

٩

خارج القسم وقف أمير يناجي نفسه، يلعن عقله الذي زج به فيما أراق ماء وجهه، فنظرة صالح الأبوية وابتسامة الأخ الأكبر، كأنه ينصح مراهقًا يكثر من ألعاب الفيديو، نظرة لم تغب عن باله طول الوقت. نفخ بعضاً من البرودة، وألصق في أذنيه سماعاته الرمادية الكبيرة، ربما بعض الموسيقى قد يفيد، ذلك على الرغم من الطنين الدموي الذي وصل بالفعل لمنتصف مخه. ثم رمق ساعته متسائلًا عن كم الوقت اللازم ليجد مواصلة تزج به بعيداً عن التجمع الأول. بعد طول انتظار توقفت سيارة «ميني كوبر كانتري»، ذات زجاج أسود داكن، نزل زجاجها وظهر صالح برأسه الكبير. شرطي لم يتمم عقده الرابع بعد، يمتلك سيارة «ميني كوبر»!

أشار صالح لأمير بأن يركب بجانبه.

ـ في ميكروباصات بتعدي من هنا.

ـ اركب يا فدائي، اركب محدش هيعبَّرك هنا لحد بكره الصبح.

قالها وأشعل سيجارة، أخرج نفسه الأول منها وأضاف:

ـ اركب!

لم يتمالك أمير نفسه أمام إلحاحه وطريقته الجذابة كالمغناطيس، وقفز بجانبه. نصف ساعة من الحديث والثرثرة، اكتفى فيها أمير بالمشاهدة، حتى انتهى بهما الأمر في المعادي. عندها شعر أمير أن الأمر أكثر من مجرد توصيلة. هدأ محرك السيارة حينما علق صالح، وهو يمد له قطعة «كرواسان» محلاة بالشوكولاتة ومغلفة:

- مبروك يا حمادة، إنت كسبت معانا جايزة المستمع الذهبي!

أمسكها أمير على مرتين، تلك النظرة التي تقول: «أنا مندهش!»، لم تفارقه قَطُّ. فتح صالح لنفسه واحدة مماثلة، قضم نصفها وتساءل وهو يلعق الشوكولاتة من فوق يسار شفته:

- المكان ده ما بيفكركش بحاجة؟

صمت أمير، ثم جال بنظره في الجوار قائلًا:

- لو ده الشارع اللي جنب المول يبقى المفروض...

قالها أمير وأشار إلى فيلا فاخرة، كبيرة الحجم. كانت غريبة الطراز، ضخمة، محاطة بسور تسلقت فوقه بضع لبلابات ملونة، يحيط به كثير من الخضرة، صفراء اللون قاتمة، فهي أقرب إلى قلعة صغيرة منها إلى فيلا. كانت

عتيقة عن قصد، في أعلاها شيء يشبه القبة، وأسفلها بوابة باللون والشكل الحجري أنفسهما، كبيرة الحجم، على يمينها ويسارها عمودان طويلان وصلا إلى قمة الفيلا.

توقف أمير عن الحديث، ورمقه صالح بنظرة توقفت معها أنفاسه، إلا أن صالح بدأ يضحك لدرجة القهقهة، ثم دفن وجهه في يسراه، وعلق وهو يصفعه في كتفه مجدداً:

ـ مساء الطين!

مرت خمس دقائق بعد ذلك، وكان الصمت هو سيد المكان، يشاطره فقط الظلمة الموحشة. كانت تلك المنطقة من المعادي في غاية الهدوء والوحشة.

ظل الاثنان يشاهدان بوابة على أنغام «ستينج»، الذي سحرهما بصوته العذب وألحانه الهادئة. ضابط يستمع إلى «ستينج» وليس المنتج الموسيقي المحلي؟ ينفخ سيجارته في السقف بكل استمتاع؟ كان الأمر غريباً لأمير لكنه ابتلعه، لقد اعتاد أمير على «ما وراء الطبيعة» مع صالح.

فور انتهاء سيجارته الطويلة، وحديث ممل عن ذكرياته ـ غير البريئة ـ مع أصدقائه في شرم الشيخ، عندما كان

يركض في براح عقده الثالث، صمت صالح لوهلة, ثم داعب ضرسًا قد حشاه للتو بلسانه قائلًا:

- أهو، مفيش أي صوت أو حاجة شمال بتحصل!

هذا هو كل الأمر إذن، تمكث أمام بيت مصاص دماء مثلًا، وتنتظر أن تسمع صراخًا مزعجًا، وتتطاير رؤوس الضحايا يسارًا، ودماؤها يمينًا، في الهواء الطلق، وإلا فالأمر على ما يرام! نظرة أمير كانت تقول ذلك، وأكثر.

تحرك صالح بالسيارة في اتجاه مترو المعادي، حيث أقنعه أمير أنه سيركب قطارًا سيقصر عليه كثيرًا من المسافة.

- روح إنت يا حمادة وزي ما اتفقنا، كلمني لو حصل أي حاجة. هابعت أنا خيري يرشق قدامه هنا عشان أطمنك. وبطل... بطل أفلام رعب، اللّه يكرمك!

قالها صالح وانفجر ضاحكًا بوجهه البشوش وكلماته المتسارعة.

لسبب ما ابتلع أمير كلمة «حمادة» ولم يحاول الرد، بل لوّح مبتسمًا، لكن ابتسامته كانت مصطنعة للغاية، كالتي يحملها مهرج منتجات «ماك دونالدز» دائمًا، لكنه، وبمجرد أن اختفت «الميني كوبر»، ركض في اتجاه الفيلا

ثم استقر على الجانب الآخر من الطريق، وجلس القرفصاء. أشارت الساعة إلى منتصف الليل.

لم يأبه أمير بالظلام الحالك والهدوء المميت المحيطين به، لفحات الهواء البارد التي تباغته كاللكمات، ونظرات الأشخاص القليلين المارين من أمامه في سياراتهم المتنوعة. أصوات سياراتهم المتسارعة كانت مخيفة في بعض الأحيان كصراخ الوحوش. حرك ذراع شنطته ووضعها بجانبه، ثم أخرج منها بقايا شطيرة تغير طعمها، كان قد أكل نصفها في الصباح، والتهمها على مرحلتين وهو يرمق الفيلا بعينين ثابتتين. مرت ساعة بالتمام والكمال، الواحدة صباحًا وتسع دقائق، فكر ساعتها أمير أنه وقت العودة إلى المنزل، فأمه بحاجة لرعاية دائمًا، واتفاقه مع جارته، التي تعمل في مصلحة الضرائب، لن يشمل أكثر من ٣ أو ٤ ساعات على الأكثر، فهي سيدة خيرة نعم، ولكن ليست بقديسة حتى تتحمل أمه أكثر من ذلك. لم ينتهِ من لملمة أغراضه في شنطته حتى سمع صوت فتح البوابة. لم يصدق حينما رأى البوابة تفتح أوتوماتيكيًا، ويخرج منها نور كشافي سيارة مرسيدس كبيرة. تأهب للحركة، لكنه لم يتحرك فعليًا. ما إن تحركت المرسيدس الذهبية حتى أغلقت البوابات أوتوماتيكيًا في خلال خمس ثوانٍ. استوقف أمير تاكسي، وأمره أن يلف في الاتجاه المعاكس حتى يلحق بالمرسيدس، تبعها لعشر دقائق كاملة، ثم أمر التاكسي أن يتوقف حينما توقفت.

نزل على بُعد مناسب منها حتى لا يلفت نظر السائق. ظلت المرسيدس كما هي، بزجاجها الداكن ومحركها الهادئ، حتى فتح الباب، وخرج منه حذاء جلدي بني لامع، بدا الرجل طويلًا من بعيد، يرتدي معطفًا بنيًا طويلًا، وطاقية مميزة فوق رأسه، كالتي ارتداها الأمريكان في ستينيات القرن الماضي لكنها كانت صغيرة الحجم، يخرج من جانب فمه لهيب ضيق، اتضح لأمير بعد التدقيق أنه سيجار مشتعل لم يمسه بيده، بل ظل كما هو كأنه جزء من فمه. لم يتلفت حوله بهوجة مستفزة كالتي يتقنها ممثلو المسلسلات المصرية، لكنه نظر عن يساره لبرهة، ظل كما هو والدخان يتصاعد من فمه لأعلى طاقيته، ثم ضغط زرًا في جهاز الريموت كنترول في يده لينفتح غطاء الشنطة الخلفي بهدوء يُحسد عليه، توجه إلى مؤخرة السيارة ويده اليسرى لا تزال في جيب معطفه لا تتحرك. ذلك الوغد السادي، لربما قاومته الطفلة البريئة بسكين فأدمت يسراه. كذلك فكر أمير وهو يراقبه.

أخرج الرجل شنطة بلاستيكية سوداء كبيرة الحجم، جاهد ليحملها، واتجه بها إلى صندوق قمامة معدني كبير الحجم على بُعد أمتار قليلة من سيارته. كانت كشافات المرسيدس الخافتة تضيء له ما يحتاجه ويزيد، ألقى به داخل الصندوق بصعوبة، ثم اتجه إلى المرسيدس التي كان بابها لا يزال مفتوحًا، أبعد

السيجار عن فمه، وأطلق سيلًا بعيداً من الدخان، وركبها ورحل.

*

تلصص أمير بهدوء تجاه الصندوق الكبير، أخرج من شنطته كيساً تفوح منه رائحة شطيرة قديمة، وهاتفه المحمول. غلف بالكيس يمناه، واستند بقدمه فوق رصيف مقارب للصندوق، عدل من وضع شنطته فوق كتفه ومال بجذعه داخل الصندوق، أضاء هاتفه وهم بالبحث. أفزعه نباح كلب، أخرجه من بحثه، أضاء أمير هاتفه في وجهه، كان كلبًا أبيض جرب تلون محيط بطنه بالطين والمرض. رمقه الكلب بنظرة هادئة ثم صعقه بنباح جديد، كان اعتراضاً واضحاً من كلب صالح، ضد كائن بشري مخيف دخل ـ قهراً ـ مطعماً شعبيّاً غير مخصص لأمثاله. تجاهله أمير بعدما تأكد من حسن نواياه، وعاد برأسه مجدداً إلى الصندوق بعدما اتفق مع الكلب ضمنيّاً ألا يطيل البحث. وجد ضالته بسهولة: كيساً أسود كبيراً رأسه معقود، لم يكن هناك من الأكياس ما يطابق ما رآه في يد الرجل، معظمها كانت مفتوحة بعدما عبثت بها القطط وأتممت عليها الكلاب. فك العقدة وقاوم الرائحة العفنة التي طعنت مستقبلات الشم في مخه حتى الموت. كان الكيس يحتوي على كثير من زجاجات البيرة المستوردة، وعلب الطعام المعدنية، وعلب سجائر غريبة الشكل، وزجاج مهشم، وعلب دواء أجنبية بيضاء كبيرة الحجم، وعوازل

طبية لم تعد عذراء، و... فوط صحية أنثوية، صغيرة الحجم. كانتا فوطتين، أمسك بواحدة، من خلال الكيس الذي في يده. والغريب أن تلك الفوطة لم تشعره بمزيد من الغثيان، بالعكس، شعر وكأنه قد وجد شيئًا ذا قيمة. عاد بجذعه إلى الوراء وحصل على نفس عميق به عفن أقل، أكسجين أكثر.

- إيه؟!

جاء الصوت من خلفه ليصعقه، كان صوتًا قويًّا كأنه صرخة، ومعه ظهر ضوء شديد، كان مصدره كشافين قويين لسيارة ذهبية اللون، وكان هو مصدر الصرخة، بطاقيته المميزة، ويده التي لا تغادر جيب معطفه. كان واقفًا بجانب سيارته، لكن ضوء السيارة أعمى أمير عن ملامحه.

لم يعلم أمير لماذا فعلها، لكنه أغلق الكيس البلاستيكي على ضالته، ودسه بحذر في شنطته، منتظرًا رد فعل جديداً من الدخيل. عندما رمقه مجدداً لم يجده واقفًا بجانب سيارته كما كان، بل كان بداخلها، ينتظر شيئًا ما. تحرك أمير بعيداً عن الصندوق رويداً، كان يشعر أن الموقف على وشك الانفجار بطريقة ما، لكنه أقنع نفسه أن ذلك الرجل لن يفعل شيئًا قبيحًا، وخانه توقعه تلك المرة.

كان الأمر أشبه بطلقة المسدس، فبمجرد أن تحرك أمير خطوتين إلى الوراء انطلقت المرسيدس كثور إسباني، لعن ساعتها أمير معدل تسارع محركات العربيات عمومًا، والألمانية خصوصًا، لعنها وهو يركض وخلفه كلب معدني ذهبي هائج أطلقه حظ عثر، يهرب من شارع إلى آخر جانبي فتصرخ إطاراتها وتميل وراءه، قفز من فوق دراجة نارية رباعية الإطارات، قيدها شخص ما في عمود وظهرت أمامه فجأة، انحرفت المرسيدس ببراعة وحادت عن الدراجة ثم عادت لتلتصق به. للحظة، وفي أثناء ركضه، أقسم أمير لنفسه أنه يشعر بلهيب المحرك في قدميه، لكنه تابع من دون أن ينظر خلفه. كانت قدماه سريعتين للغاية، كعادتهما. كان يمشي في خطوط ملتوية حتى يصعب اقتناصه، ثم التزم اليمين فوق رصيف رفيع يصل الشارع بفيلا أخرى فارهة. أكملت المرسيدس سعيها الحثيث من دون كلل، مالت عن يسارها بعدما ارتفع يمينها فوق الرصيف، لم تحتك بالسور ولكن المرآة اليمنى تهشمت تمامًا. احتك كتف أمير بسور حديقة الفيلا ولم يسعه الوقت ليتحقق من منظرها، لكنه سمع أصوات نباح كلاب قد أزعجتها رائحته. أحنى رأسه بعدما جرحته بعض أغصان الخضرة المزينة للسور، وتابع طريقه حتى لمح كشكًا زجاجيًّا يحرس فيلا تخص لواء شرطة ممن تغلق من أجلهم الشوارع. ركض ناحيته بكل ما تبقى له من قوة، كان له كالخلاص، لكن سيارة مرت من أمامه، ضغطت قائدتها على دواسة المكابح عندما شاهدته، أصدرت إطاراتها

صوتًا مخيفًا، لكن أمير دار من فوق مقدمتها برشاقة يُحسد عليها، إلا أنها لم تمنعه من الارتطام بالأرض. قام أمير في لمح البصر، خصوصًا بعدما فزعت صاحبة السيارة ونزلت من سيارتها وهي تصرخ بكلمات هستيرية. لم يكمل أمير رحلته في اتجاه الكشك ووقف ممسكًا بذراعه اليسرى، كانت تؤلمه بشدة جراء السقوط، لم يهتم كثيرًا بتفقدها، ولكنه تابع النظر داخل المرسيدس الذهبية، ليرى دخانًا كثيفًا يخرج من داخلها. بدا أن سائقها مدخن شره، ولكن ظلمة الزجاج الأمامي حالت دون أن يرى وجهه. تابعت السيدة صراخها في اتجاه أمير الذي تجاهلها تمامًا كأنها خيال، وتابع ببصره المرسيدس التي بدأت في التحرك إلى الخلف رويدًا، ثم اختفت.

١٠

في مساء اليوم التالي، أطلق أمير بعض الزفير الأبيض، فقد كان الجو باردًا كأن الثلج على وشك الهطول. حك أمير كفيه ودفنهما تحت إبطيه منتظرًا قدوم الأتوبيس. لقد تأخر السائق مرة أخرى، والفارق «السيليزيوسي» بين مبنى العمل وشوارع القرية الذكية العارية مرعب كالموت. قاوم رغبة شديدة في لكم أذنه اليمنى، التي ازداد بها الطنين لدرجة لا تطاق، لكنه اكتفى بلمسها مرتين، في كل مرة كانت تصعقها برودة أصابعه الرفيعة، فيتوقف. إن العمل في مراكز خدمة العملاء التلفونية، كأنه أسر في قبيلة ما غريبة الأطوار في أفريقيا، يعلقونك عاريًا فوق نار مشتعلة، ويطلبون منك أن تعزف الكمان بينما يقومون بالشواء!

المؤلم في الأمر أن كوعه الأيسر كان متورمًا، كان يشعر أن شيئًا ما قد كسر فيه، لذلك كان يحرك يسراه ببطء شديد، حتى المرهم الذي قام بدهانه فوق ذراعه البارحة خذله، ككل شيء.

- إزيك يا «بولت»، «مان»؟

ألقاها «آندي» بالإنجليزية وهو يشعل سيجارة، تنفس منها نفسًا عميقًا، أطلقه بجانب فمه. لقد بدا عليه أيضًا تأثير الجو، فانقباض عضلات وجهه المتكرر، كأنه يظهر وجهًا غاضبًا، يفضي بكثير من البرد، ربما ذكره بأيام لندن الباردة.

- «آندي»! الجو عامل إيه معاك؟

- زي ما إنت شايف «مان»! الجو مجنون!

- أصعب من لندن؟

- مش دايمًا لندن برد، بس لما بتبقى برد «مان»، بتبقى جنون «مان»! فاهم؟

حرك أمير رأسه إيجابًا بصعوبة، وهو يجاهد حتى لا تتجمد رئتاه، ثم هم بقول شيء ما حتى قاطعه صوت يعرفه:

- حبايبي الحلوين! إوعوا تكونوا بتتشاقوا؟

كان كرم، مبتسمًا كعادته. قالها ووضع يديه على كتفيهما. أومأ له أمير، في حين رمق «آندي» يده بنظرة غير مريحة، وحصل على نفس جديد من سيجارته التي بين إصبعيه الطويلتين.

أزاح كرم يده من على كتف «آندي» على مرتين، محتفظًا بضحكته، ثم تساءل:

- طبعًا انتو جايين معانا؟

تساءل «آندي»:

- فين معانا؟

- «آندي»، المول، مش هنتعشى كلنا مع بعض؟ إنت نسيت؟

- محدش قالي «مان»!

علق أمير:

- ولا حد قالي أنا شخصيًا!

- آديني باقولك شخصيًا، هنتعشى ونخش سينما كلنا.

تذكر أمير أنه يملك أموال العلاج وما يزيد عليها بقليل. لقد حصل على ٦٥٠ جنيهًا في الصباح، ٥٦٠ من أجل علاج الشلل الرعاش المستورد، و٣٠ من أجل قطرة العين اللزجة. حصل عليها من أموال بيع «مارلي» التي بدأت في النقصان، تمامًا كزجاجة عطر من دون غطاء. كان يعلم أن ٦٠ جنيهًا قد تقوم بالمطلوب لو أحسن صرفها، ربما يحصل على شطيرة رخيصة وتذكرة في

الصف غير المميز، لكنه حاول أن يقدم الأعذار مسبقًا، في حالة إن احتاج إليها:

- الجو تلج يا كرم!

- ده على أساس إننا هنتعشى على النيل وهنخش سينما صيفي؟!

تساءل «آندي»:

- هنتعشى على النيل؟

- لا ما تركزش معايا! أنا وأمير بنتخيل بس.

- أوه!

قالها وأومأ إيجابًا.

صمت أمير ثم حرك رأسه ومط شفتيه قائلًا:

- مفيش مشكلة! ولو إني باخاف من اقتراحاتك!

- لا مش أنا اللي اقترحت المرة دي، دي «السوبر فايزر»، «بان».

قالها قبل أن يغمز بطرف عينه اليسرى، ويرحل بعيداً.

كان وجود «بان» في تلك الأمسية سببًا آخر للاعتذار، لكنه أيقن أن الأمر يجب أن يمر، وأنه يجب أن ينسى ما حدث حتى ينجح في عمله الجديد، بل وينساها هي شخصيًّا. علق «آندي»:

- «بان»... أنا نفسي...

قاطعه أمير:

- ما تكملش!

فلم يكن يتمنى أن يتحفه «آندي» بجملة جنسية تجعله يحمل بعض الضغينة تجاهه. تابع أمير:

- صحابها في كل حتة. لو سمعوك هتبقى مشكلة.

تلفت «آندي» حوله ليجد بعض الموظفات يتحدث بعضهن لبعض، تعجب قليلًا، ثم أطلق زفيرًا أبيض جديداً.

حيلة جيدة، آتت أكلها، وتوقف «آندي» عن حديثه، رامقًا أمير بجانب عينه، ثم ألصق السيجارة بشفتيه الرفيعتين، وأخرج نفسين متتابعين، قبل أن يقول، بعينين متفحصتين:

- إيه اللي حصل لعينك؟ «بولت»، «مان»!

استغرق أمير بعض الثواني ليفهم قصد «آندي»، وتوقف عن التنفس عاقداً حاجبيه، ثم أيقن أنه يقصد لاصقة الجروح التي أخفى بها تكلفة مطاردة الأمس. لكن صوت زئير أتوبيس الشركة، مع تدافع بعض الرياح الناجمة عن مرور العربة الضخمة من أمامهما، ثم وقوفها على مرحلتين، وصوت فتح الباب، كل ذلك قطع حبل أفكار أمير، الذي كان يحاول أن يحبك قصة ما يرويها لـ«آندي»، لكن الأتوبيس أتى في الميعاد المناسب.

أمام المركز التجاري (المول)، قفز أمير برشاقته المعهوده من الأتوبيس ولم يستخدم السلالم، بل أمسك بيده في بابه ودار في الهواء، لينزل على الأسفلت لا الرصيف، ليجدها، أي ياسمين، تلوك علكتها بالإيقاع البطيء نفسه، ونظراتها الثاقبة، المحاطة بكحل فتيات «الإيمو». توقف أمير وسيطر على عضلات ساقه حتى لا يصطدم بها، تمعنت في وجهه لثانيتين قبل أن تقول بلهجة أقرب لشخص يريد أن يتقيأ:

- صليبي ها؟

قالتها وأطلقت فقاعة كبيرة من علكتها، التهمتها قبل أن تتعلق بذراع «آندي» وهو يركض بين السيارات المتسارعة، محاولة الوصول إلى الجانب الآخر من الشارع. كان بجانبهما كثير من الموظفين الذين قاموا بتلبية

دعوة «بان»، لكسر الروتين وتوطيد العلاقات، رائحة المرح كانت في كل مكان، لم تخفها برودة الجو.

*

- لا يا دكتور، أنا متأكد، زي اسمي بالظبط. مش هتجيلك صدقني، ما ينفعش، لا ما ينفعش تقفل السكة، أرجوك! أنا محتاج دقيقة بس، تركيز أعلى قد إيه؟ تمام. نفس القطرة؟ «أوكيه». شكرًا!

تلك كانت كلمات أمير في الهاتف، للطبيب المسؤول عن معالجة والدته، وحينما أغلق أمير هاتفه وجد طبيب صيدلية المول يبادره بابتسامة باردة كالثلج، تحدث بعدها أمير:

- «ريتاري»، تركيز ٧٥ على ١٩٥.

ابتسم الصيدلي مجدداً، وقام بنقر لوحة المفاتيح أمامه بسرعة يُحسد عليها، وقال وهو يرمق الشاشة:

- ده غالبًا مستورد، صح؟

- مستورد ونازل جديد، مش موجود غير في الصيدليات الكبيرة.

- حظك حلو! موجود عندنا، آخر علبة!

- بكام العلبة؟

- بـ.. ٦٥٠.

- ٦٥٠ جنيه؟

- في بديله مصري رخيص لو عايز!

- هاخد نص العلبة.

حرك الصيدلي رأسه نفيًا، مقطبًا حاجبيه في أسف:

- دي زي برطمان صغير مش شرايط.

الأمر مختلف إذن، فبمجرد اختلاف التركيز تغير كل شيء.

أخرج أمير من جيبه كل الأموال التي يحوزها، حتى العملات المعدنية، افترشها أمامه بجانب جهاز الكاشير، فيما تأفف رجل سمين يقف خلفه، كان مجموع ما يملك ٦٥٣ جنيهًا بالتمام، أي ثمن الدواء ومقعد في ميكروباص أو أتوبيس حكومي يعاني من عسر هضم، يلفظ المواطنين غصبًا عنه بعد كل مطب صناعي.

قال:

- هاخد العلبة!

وحرك رأسه إيجاباً.

رمقه الطبيب بنظرة من جانب عينه، ويداه لا تزالان مستندتين على الحاسب. تجمد للحظة، تنهد بعدها بطريقة تحمل بعض السخرية، ثم نقر مجدداً على لوحة المفاتيح.

في طريقه لخارج الصيدلية، تمم أمير على علبة الدواء ودسها في شنطته، عدل من وضع الشنطة، ثم توجه خارجاً من باب المول، مسرعاً، فهو لا يريد أن يتواجد في مكان مثل هذا، مع طاقم العمل بالكامل، وبحوزته ٣ جنيهات. إلا أنه رآها. «بان».

. مستعجل ليه؟

توقف أمير عن الحركة، مرر أصابعه من بين شعره ونظر خلفه نظرة خاطفة قبل أن يضيف:

. موضوع عائلي.

ابتسمت ابتسامة تمزج بين الرسمية والإحراج قائلة:

. ما ينفعش الموضوع يستنى؟ الناس كلها هنا.

ثم أردفت وهي تخرج هاتفها من جيبها، بعدما بدأ بالرنين:

ـ اليوم ده صعب يتعوض!

ابتسم أمير نصف ابتسامة وأمسك بذراع شنطته وهم بالرحيل قائلًا:

ـ الأيام جاية كتير.

استوقفته بعدما مشى لبضعة أمتار:

ـ أمير!

توقف أمير عن المشي ولم يدرُ ليقابلها، أكملت:

ـ متأكد؟

صمت أمير للحظة، ثم تابع طريقه إلى الخارج.

*

تابع صالح حديثه الضاحك في هاتفه المحمول وهو يلتهم شطيرة «هوت دوج» كبيرة الحجم داخل سيارته. ما إن لمح أمير واقفًا على جانب الطريق حتى توقف، ضاغطًا على زر الانتظار. كان أمير يحمل كوعه الأيسر بيده بطريقة لا تلفت النظر، ولكنها توحي أنه يعاني من شيء، وكانت الساعة تقارب التاسعة مساءً. بدا وجه أمير شاحب اللون واعتلت حاجبه الأيمن لاصقة جروح صغيرة.

أنهى صالح حواره الضاحك مع صديقه خلال السماعات المدفونة في أذنيه، ثم أدار وجهه في اتجاه أمير وهو يقضم شطيرته بلا رحمة مجدداً:

- إيه؟ القطة خربشتك؟

قاوم أمير ابتسامة خفيفة ورد وهو يحرر كتفه اليمنى من الشنطة:

- قطة شرسة حبتين.

- مطبق وشك ليه؟

- لا مفيش، ولا حاجة.

- عيط بقى!

- أفندم؟

تابع صالح بلعه لشطيرته الملتهبة، وأضاف بنظرته الساخرة التي لا تفارقه أبداً:

- أصل دي الكلمة اللي بتقولها مراتي قبل ما تعيط.

ثم غيّر من نبرة صوته بطريقة كوميدية قائلًا:

- مفيش يا صالح، ولا حاجة يا بيبي!

رمقه أمير بعينين متسعتين عن آخرهما، لقد كان صالح ضابط المباحث الذي يرفض عقله مرارًا أن يتقبله.

قبل أن ينطق أمير بأي شيء شعر بشيء دافئ فوق فخذه، لم يكن سوى شطيرة أخرى كبيرة الحجم يحتويها كيس شفاف وضعها صالح بخفة يد:

- اضرب «الهوت» ده، شكلك هفتان!

- أفندم!

- «أفندم، أفندم»! إنت في كتيبة يا ابني؟ اضرب يلّا اخلص!

- يا باشا أنا مش جعان.

- هتضربه ولا أغذيك بنفسي؟

قالها بطريقة تغيَّرت فيها معالم وجهه، حيث اتسع منخاره وتحرك حاجباه إلى أعلى، ما ألقى في نفس أمير ببعض القلق. أخرج أمير الشطيرة من الكيس بهدوء وقضم قضمته الأولى ليتابع صالح:

- اضرب يا حمادة ما تتكسفش. احكيلي بقى! ده إنت كهربتني في التلفون.

تابع أمير:

. رُحت أشتري حاجة من السوبر ماركت جنب الفيلا، لقيت عربية مرسيدس دهبي بتطلع من الجراج، مشيت وراها لقيت واحد نزل ورمى كيس زبالة أسود كبير. بعد ما مشي فضلت أدور فيه لحد ما لقيت حاجة، فجأة لقيت العربية ورايا. طلع يجري ورايا بأقصى سرعة عنده!

. كان عاوز يكلمك؟

. لا، يقتلني!

. هوَّ اللي عورك في وشك؟

. غصن شجرة وأنا باجري، لكن هو السبب إني خبطت دراعي. أنا افتكرتها اتكسرت بعد ما وقعت.

انفك صالح عن المضغ وتغيرت ملامحه، مد يده وأمسك بساعد أمير، شمر عن ساعده وتفحص إياه، كان من الواضح الكدمة القوية التي تركت لونًا أزرق قاتمًا أشبه بالأسود. تأوه أمير لثانية ليعلق صالح:

. افتكرتها اتكسرت؟! ده دشملك خالص!

. هاكشف عليها بكرة.

قضم صالح قضمته الأخيرة وهو يحدق أمامه بحنق، ثم تابع:

- لقيت إيه في الكيس؟

- حاجة مش هينفع أوريهالك دلوقتِ.

- هتوريهالي لما أكبر؟

كانت طريقته الساخرة وتعبيرات وجهه الصارمة، الضاحكة في بعض الأحيان، تجعلك على وشك الانفجار ضاحكًا، لكن أمير كان يتمالك نفسه بطريقة يحسد عليها.

دس أمير يده في شنطته وأخرج منها كيسًا بلاستيكيًّا احتفظ فيه بنتاج الليلة الأخيرة، ثم عرضه على صالح على مرتين، كانت يده مترددة ترددًا واضحًا.

توقفت المضغة الأخيرة في فم صالح، ولا تزال النظرة الساخرة على وجهه، ثم تساءل بصوت حاد لم يسمعه أمير من قبل:

- إنت جاي تفرفش صح؟ شكلك عاوز تتفنط!

- أتفنط؟

- زي الكوتشينة كده بالظبط، هتفهم في القسم.

قالها صالح وحرك عصاية النقل وهم بالتحرك، ليتابع أمير بسرعة منقذًا نفسه من مصير بدا مرعبًا:

- فكر يا باشا بعد إذنك! فوط صحية مقاس صغير خاصة بطفلة في بداية مرحلة المراهقة. الدم موجود، ممكن المعمل الجنائي يحدد عمر الطفلة. مع إن الفيلا دي مفيهاش أطفال!

- مفيهاش حد أصلًا.

قالها ورمق أمير بنظرة قاسية. كانت صدمة لأمير أن يضيف له صالح معلومة جديدة عن الرجل. تابع صالح بعدما أبطل المحرك، كان يتحدث ببعض التعالي عندما قال:

- إنت فاكرني بالعب يا ابني، في ظرف خمس دقايق عرفت تمامه إيه.

- عايش مع مين؟

- لوحده. كان عايش في إنجلترا ٢٠ سنة وبعدين رجع لما مراته ماتت، بيقولوا عكش عكشة حلوة من المرحومة، اشترى بيها الفيلا وحط الباقي في البنك.

- يبقى اللي باقوله صح. في حد معاه في الفيلا يا باشا. واللي معايا ده دليل.

- اللي معاك ده تحطه...

قالها بعصبية وأمسك لسانه وتابع:

- يا ابني انت عايش في كوكب تاني خالص. النيابة ما ينفعش تاخد اللي معاك ده حرز.

- ليه يا باشا؟

- اثبت إنه من بيته؟

- خلاص يروحوا ياخدوا الزبالة يحللوها.

- ده على أساس إنها لسه في مكانها؟

- حضرتك دي بتاعة عيلة صغيرة ما عدتش الاتناشر سنة، أكيد هتلاقوا البت جوه.

- تحب أوريك دفتر الأحداث، هتستغرب من صور البنات اللي ما عدوش الاتناشر سنة ومسجلين آداب ومولعينها! مش باقولك إنت عايش في كوكب تاني؟ الميكروباص ده بيودي على بيتك؟

قالها ورمق ميكروباصًا توقف عن يمينهما. رمقه أمير بنظرة طويلة بائسة، ثم لملم شنطته ووضع شطيرته جانبًا، وفتح باب السيارة متمتمًا لحاله:

- كل الطرق تؤدي لعين شمس.

ثم أغلق الباب وهم بالرحيل، وكذلك فعل صالح.

وقف منتظرًا دوره، لعله يجد ضالته بين الميكروباصات، لاعنًا بداخله حماقته. حرك رأسه يمينًا ويسارًا في استنكار بعدما راجع تصرفاته الهوائية المشينة منذ البداية. لقد أقحم نفسه فيما لا يخصه. فكر ساعتها أمير أن صالح كان مصيبًا في رأيه، لربما حصل على ساقطة صغيرة في السن لبضع ليالٍ، عذبها قليلًا ثم طردها وانتهى الأمر. لكنها صرخت بالإنجليزية. أقسم لنفسه أنه سمعها بإنجليزية صحيحة: «هيلب». كانت أولى كلماتها، ثم أتبعتها بالعربية. إذن هي في أحسن الأحوال طالبة في مدرسة ما خاصة. اختار عقلها أولًا اللغة الأكثر استخدامًا في روتين حياتها اليومي. من هي؟

*

- عمره ما هيجري وراك من غير ما يكون ملطوط يا حمادة!

قالها صالح بعدما توقفت سيارته أمام أمير، ومال برأسه حتى يراه. ثم أضاف، بعدما أنزل زجاج السيارة بالكامل:

- اركب اركب! هاوديك عين شمس.

تردد أمير للحظة، ثم فتح الباب وجلس بجانبه، ليكمل صالح بنظرته الساخرة:

- أو وراها.

أمام الفيلا وقف أمير يجاوره صالح. كان صالح يرمق ساعته بكلل، بعدما ضغط على زر معلق في حائط مجاور للبوابة. كان الجو بارداً لدرجة أن أمير شعر بألم في رئتيه، كأنه لا يستطيع التنفس. كان صالح أوفر حظّاً فكرشه المتدلية ومعطفه الأسود الكبير كانا كفيلين بحمايته. رد صوت من الحائط، أقسم ساعتها أمير في نفسه أنه هو الرجل الذي هاتفه قبل أيام:

- أيوه مين؟

- افتح يا أستاذ أيوب. مقدم صالح مهران معاك. مباحث.

- في حاجة؟

- لا خالص، كنا عاوزين نتشرف بيك يا باشا. تعارف يعني.

قالها لتتحرك كاميرا بيضاء اللون مثبتة فوق البوابة لم يرها الاثنان مسبقًا. ارتفع رأساهما إلى أعلى كقطتين تحرك أمامهما ضوء ليزر. أشاح بعدها صالح بوجهه للأسفل، وسب سبة قصيرة. أخرج سيجارة وأشعلها حينما طقطقت البوابة لتعلن انفراج البابين. دفع صالح الباب وبدا عليه الحنق. خيل لأمير ساعتها أن رجال الأمن دائمًا لا يحبون أن تستبدل الأدوار، أو أن يسجل لهم،

فهم من يسجلون، هم من يستجوبون، هم من يملكون الأدلة ولا تملك ضدهم.

تابع أمير سيره بجانب صالح نصف الغاضب، كان الطريق به إنارة خافتة. حاول أمير تلطيف الأجواء فتحدث بصوت خافت:

- أنا سألت صيدلي صاحبي، الفوطة اللي لقيتها دي مستوردة، مش موجودة في مصر غير في كام صيدلية كبيرة.

توقف صالح فجأة وأشار لأمير بسبابته متسائلًا:

- عندك باسبور؟

- أكيد.

- سمعلي كده مكتوب إيه على أول صفحة؟

- مش فاكر... أ... مش فاهم!

- «عند فقدان الجواز تدفع»...

أكمل أمير:

- «غرامة مالية».

- بالظبط، وعارف الأسطورة بتقول مكتوب إيه على جواز سفره هو؟

- المملكة المتحدة تدافع عن حامل هذا الجواز لآخر جندي. أنا خبرة في مواضيع السفر.

قالها وحاول الابتسام.

- طاب ما انت حلو أهو. يبقى صدقني يا باشا! إنت مش عاوز تعمل أزمة بين بلدين، واحدة فيهم ممكن تدافع عنك لآخر جندي، والتانية ممكن تدفّعك لو اتخطفت، وطبعاً ده كله عشان خاطر سيادتك لقيت - لا مؤاخذة - فوطة في الزبالة، صح؟ صدقني إنت مش عايز تعمل كده!

ابتلع أمير ما تيسر من ريقه، وقال بصوت خافت بعد أن زاغت عيناه بعيداً:

- لا يا باشا.

فُتح الباب أمامهما. كان على بُعد ستة أمتار تقريبًا. اقترب الاثنان من الباب الكبير، بني اللون، كان هناك بعض الدخان الأبيض يداري وجه الرجل، واتضح بعد ذلك أنه بسبب سيجاره الذي لا يفارق يسار شفتيه.

كان كما رآه أول مرة، لكن شيئًا كان مختلفًا. يده التي يضعها دائمًا في جيبه الأيسر، هي غير موجودة من

الأساس، كانت مبتورة بعد الكتف ببعض السنتيمترات. كان طويلًا، جسده نحيفًا، لكنه يمتلك كرشًا واضحة مقززة. كان أصفر اللون كأنه مصاب بمرض ما، يرتدي قبعته البنية الفاخرة، تخرج من يسارها ريشة قصيرة قرمزية اللون، كذلك كانت بعض الشعيرات على جانبي رأسه الأصلع. يلف عنقه برباط «بندانا» أحمر اللون، أخفى به «لغداً» رخواً تعلقت به جاذبية السنين فأسقطته أرضًا. سماعة لاسلكية في أذنه اليسرى، شعر صدره بين الأبيض والأسود، قصير ومتشابك، كان يرتدي سروالًا واسعًا للغاية وفوقه - من دون قميص - كان يغطي معظم جسده بروب فاخر لونه مزركش بين الأحمر والأزرق.

رمق أمير صالح الذي بدا هادئًا للغاية، ورسم على وجهه ابتسامة دبلوماسية لم يعجب بها الأول. تكلم صالح:

- جينا متأخرين شويتين معلش.

- إيه المشكلة؟

- ربنا ما يجيب مشاكل.

- إنت المساعد أكيد؟

قالها قاصداً أمير، الذي كان وجهه أكثر صرامة.

- تقدر تقول كده.

رد صالح بعدما التفت بوجهه إلى أمير، ثم حرك حاجبه في دهشة كأنه يريد أن يلقي بسبة ساخرة، لكنه بلعها ووقفت في بلعومه.

- إيه القضية؟

أجاب وهو يشعل سيجارة بعود ثقاب مستورد حكه في الحائط:

- مفيش قضية، مجرد دردشة، بنت اختفت في الشارع اللي وراك وكنت عايز أسأل شوية أسئلة.

- في أمر من البوليس؟

رد ضاحكًا وهو ينفخ أول سيل من سيجارته:

- ما اعتقدش إن البوليس هيحتاج أمر من البوليس.

- طبعًا يا «بوص»! اسأل!

- هنكمل واحنا واقفين؟

- في مانع؟

- لأ، بس هنا الكلام هياخد نص ساعة، جوه في الدفا، مع الشاي الإنجليزي السخن، والموسيقى الهادية، هياخد عشر دقايق.

رمق أيوب الاثنين بنظرة هادئة، وكشف عن أسنانه المتباعدة، مبتسمًا كالثعلب، وهو لا يزال يعض على سيجاره، ثم ابتعد عن الباب ليفسح لهما الطريق. وتعالت أصوات فريق «كوين» في الداخل.

بدأ أيوب في ترديد بعض جمل الأغنية بنبرة غير وقورة بالمرة، غير آبه بهما. كان عنوان الأغنية «تحت الضغط»، والجملة التي رددها تتحدث عن الرهاب والرعب الناتجين عن المعرفة، وأن العالم كله يتمحور حول تلك النقطة.

كان المكان مظلمًا باستثناء بعض الإضاءة الخافتة في الصالة البعيدة، التي بدت كمركز للأحداث، رائحة الكحول التي تصاعدت من فيه لم تقل بل زادت كلما اقتربا من الصالة، كانت نفاذة للغاية ويتخللها عطر به كمية عالية من السكر يضعه هو. كانت هناك صورتان كبيرتان، إحداهما له ولسيدة شقراء في زي العرس، تعلو وجهيهما ضحكات من القلب، وأخرى له وهو يرتدي زي السيرك ويطعم نمرًا كبير الحجم في فمه بخنجر تدلت من طرفه قطعة لحم بها بعض الشحم، فاردًا يديه عموديًّا في استعراض كأنه يطير وحوله أطواق مشتعلة. كان كل شيء مطليًّا باللون البني العتيق، حتى الأثاث.

وقف في منتصف الصالة، أمسك بريموت كنترول وضغط على زر لينهي «كوين» أغنيتهم عنوة.

توجه برأسه نحو صالح، وقال بهدوء شديد:

- مراتي كانت بتحب الجو «الكلاسيك»، أنا يمكن «مودرن» شويتين يعني. بس ما قدرتش أغير اللي هي عملته بعد ما...

رد أمير:

- البقاء للّه.

تنهد أيوب، وأمسك بسيجاره أخيرًا مبتسمًا ولم يرد، لكنه علق بعد ثانية:

- هيّ مش ماتت أوي يعني.

- أستاذنا، مفيش حاجة اسمها «ما ماتتش أوي»، هيّ يا حية تُرزق، يا قابلت رب كريم!

ثم طفق صالح يمشط المكان بعينيه من دون كلل متسائلًا:

- هنبدأ من غير شاي؟

- للأسف البنت اللي بتشتغل بقالها يومين أجازة. أنا ما باعملش حاجة بإيدي.

- إحنا جايين عشان نسألك سؤالين وهنمشي.

. عن مين؟

. صريخ.

انتفض أمير كأن صالح ألقى بقنبلة، فيما بلع صالح ريقه وهو لا يزال مبتسمًا. أعاد الرجل سيجاره إلى مكانه المفضل، ليستدير صالح وهو يعاين المكان، غير آبه بما ألقى، ويضيف:

. ما لاحظتش أي صوت صريخ من يومين بالظبط؟

. زي ما حضرتك شايف، أنا منعزل تمامًا عن الشارع في الفيلا. صوت «الميوزيك» عالي دايمًا عندي.

رد أمير:

. منعزل تمامًا؟ بس انت شُفتنا وسمعتنا قبل ما نضغط على «الإنتركم»!

. إزاي؟ أنا رديت بعد ما الباشا رن الجرس.

قال أمير:

. مين قال إن الباشا هوَّ اللي رن الجرس؟

صمت الجميع.

- إيه اللي بيحصل هنا؟ (قالها بالإنجليزية)، سيادتك داخل بيتي تسألني أسئلة غريبة! وبعدين مش المفروض توريني الأول الكارنيه بتاعك. هوَّ أي حد يقول أنا مباحث، وخلاص؟

رد صالح مبتسمًا وهو يخرج حافظته:

- أنا افتكرتك صدقت إني مباحث لما فتحت الباب.

عاجله أيوب ببعض التوتر:

- معلش اللبس و«الستايل» مش مطمني!

رمق صالح التيشيرت الأصفر الذي يرتديه، والذي يُظهر ثدييه المترهلين وكرشه الوافرة، وعلم البرازيل الكبير في المنتصف. أشاح أمير بنظره بعيداً كيلا يضحك، لكن صالح ابتسم ابتسامة أخرى، تحوي بعض الغضب، حينما رد بنبرة واثقة:

- حضرتك ما تحكمش على الشغل من الهيئة، ما سيادتك لابس «بندانا» في رقبتك ومش بتشتغل مضيفة، عادي جداً.

ضحك أيوب على مرتين، إلا أنه انفجر ضاحكًا في المرة الثانية، وحرك رأسه إيجابًا ثم تساءل بوجه أكثر حزمًا:

- عمومًا لو فيه مشكلة يبقى الأفضل أكلم السفارة الأول، «بولا» ممكن تصحى في أي لحظة!

- تقصد إيه؟ هيَّ مش...

- لأ يا باشا، مش... بولا بعد موت ابننا جالها كذا جلطة في المخ أثرت عليها، بقت زي الطفل بالظبط، السماعة اللي في ودني دي بتخليني أسمع صوتها لما بتصحى، ابقى اتأكد من مصادرك!

- أيوب بيه، إحنا آسفين جدًّا على سوء الفهم، هيَّ خمس دقايق وماشيين. وصدقني، أنا لما باقول «خمس دقايق»، معناها خمس دقايق. فنصيحة أخ، بلاش نخلي الخمس دقايق يبقوا خمسة أيام، وفي النهاية إنت في مصر يا باشا، مش في إنجلترا. أنا جاي هنا عشان أوامر مش أكتر.

- أنا كده باتهدد في بيتي؟!

- بالعكس.

قالها صالح ومشى في اتجاه مدفأة اشتعلت بها نيران غير ملتهبة، ثم أكمل واضعًا يديه في جيبي معطفه، وهو يرمق المدفأة:

- ده احنا جينا بيتك احترامًا ليك، عشان ما رضيناش نجيبك ندردش معاك في القسم، زي ما عملنا مع جار

سيادتك. البت اللي اختفت بنت مسؤول كبير أوي في الدولة، والظباط كلهم ما بيناموش، ولما ما بيناموش، الحكومة بتسامحهم لما بيغلطوا. هتقدر تستحملنا خمسة كمان؟

ضغط أيوب على زر في الريموت ليتابع «كوين»، ثم ألقى الريموت واتجه ناحية بار صغير بجانب المدفأة قديمة الطراز، وصب لنفسه كأسًا وأشار بها لصالح، ماطًّا شفتيه، معطيًا له إشارة خضراء أن يباشر عمله. حرك صالح رأسه إيجابًا بدوره، ورسم ابتسامته الساخرة، فاتحًا منخاره كعادته حينما يرسم ذلك الوجه الساخر. حرك لسانه بداخل فمه كأنه يلوك شيئًا، ورمق أيوب بتلك النظرة الباردة، ثم أشاح ببصره تجاه الدور العلوي. كان يفصل بينه وبين السفلي سلم خشبي قديم الشكل وبه بعض التقشير الواضح. تابع صالح متسائلًا، بطريقة درامية:

- في مانع لو اتفرجت على الدور الفوقاني؟ أصلي معجب أوي بتصميم فيلتك يا أيوب بيه.

أجاب أيوب باقتضاب، وهو يرتشف من كأسه الكبيرة:

- أوي أوي!

حاول أمير قدر المستطاع أن يطبع صورة في عقله للبيت من الداخل. كان صالح في المقدمة، يصعد

السلم بثبات، وخلفه الرجل بسرواله القصير وشكله المستفز ورائحة الكحول وعطره النفاذ، وكان الأخير هو أمير. راود ساعتها أمير شعور أنهما لن يرجعا من الدور العلوي، لكنه سرعان ما طرده من أحشائه.

*

في الدور الثاني، كان كل شيء مرتبًا، خمس غرف، إحداها حديثة الطراز تختلف عن الباقي. كانت الحوائط كلها بيضاء إلا أن الستائر تلونت بما يقارب لون الأثاث. مروا بالغرفة الأولى، كانت متوسطة الحجم، بالقرب من مصعد كهربائي صغير، سمح صالح لنفسه أن يفتح دولابًا فاخرًا كبير الحجم، لم يعلق أيوب، بل فتح ثلاجة مجاورة للدولاب، كانت ذات باب معدني كبير، في الرف العلوي تراصت عشرات التفاحات الحمراوات، أمسك أيوب بواحدة وقضمها بكل استهتار، ثم أغلق الباب وتابع مسيرته إلى باقي الغرف، شعر ساعتها أمير أنه يريد أن يلكمه في فمه ليذيقه بعضًا مما يستحق، ذلك المتعجرف الذي يظن أنه أذكى من الجميع.

في غرفة من الغرف لاحظ أمير كثيرًا من المقتنيات: صنارة صيد مع علبة خاصة بها، سلم قديم، وعدة نجارة موضوعة في علبة بلاستيكية زرقاء كبيرة للغاية، كأن من اشتراها جاء بها من محل فخم، بها كل شيء: مطرقة وشينيور ومسامير وبراغي وكل ما يلزم لعمل الصيانة لبناية كاملة.

سأل أمير:

. الأوضة دي بتاعة مين؟

توقف أيوب وصالح، وعاد أيوب ليتفحص الغرفة، كأنه يشاهدها لأول مرة. قطب حاجبيه ثم قال بدون اهتمام:

. أوضة كراكيب. كنت باسيب القطط بتوع «بولا» هنا بس بوظولي كام حاجة فغيرت مكانهم، معظم اللي هنا حاجات بطلت استخدمها، طقم الصيانة ده كنت جايبه معايا من لندن، أيام ما كنت بصحتي، كويس ها؟

تابع أمير التحرك إلى الغرفة المجاورة وخلفه أيوب. رد أمير في الطريق:

. أحسن من كويس.

قالها وتجمد في الطرقة للحظة، شعر أنه فعل خطأ كبيرًا، والأسوأ أنه لم يشعر بخطوات أيوب من ورائه، كأنه تجمد هو الآخر. كأنه تذكر شيئًا ما، لكن أمير آثر السير إلى الغرفة المجاورة خلف صالح، متظاهرًا بأن شيئًا لم يحدث.

تابع ثلاثتهم تفقد الدور الثاني، فتح صالح الغرفة الأخيرة، دلف أمير وخلفه أيوب. كانت البلكونة مفتوحة عن آخرها، يداعب الهواء البارد ستائرها. تقدم صالح قليلًا حتى أصبح خارج الغرفة، رمق الفيلا من الخارج

ولاحظ وجود الجراج، كان مغطى بحيث يخبئ ما بداخله. مال صالح برأسه صائحًا:

. شيك أوي الجراج!

. إحنا اتفقنا على خمس دقايق، بس.

. ما هو... لسه فاضل دقيقتين.

. أنا مش هافتحلك الجراج.

تابع صالح إدلاءه لرأسه من البلكونة، متفحصًا المكان بلامبالاة، ثم رد ساخرًا وهو يخرج جهاز لاسلكي من جيبه الواسع:

. جواب نهائي؟

صمت أيوب لثانيتين، ثم حرك رأسه مرتين متفهمًا قصد صالح. جز على سيجاره المستورد القصير، ثم قذف بباقي التفاحة إلى سلة المهملات.

خرج ثلاثتهم من الفيلا. أطبق أيوب حول خصره جنبات الروب المزركش بيده الواحدة، ثم قصدوا الجراج عن يسار الفيلا. كان كبيرًا إلى حد ما، كان خشبيًا، أزرق اللون، يشبه استراحات الجنود.

ضغط أيوب على زر الريموت ليرتفع باب الجراج، كان المكان معتمًا بالداخل، صفع بيمناه زرًا على يمين الحائط لتنير مصابيح بيضاء بالتتابع، كان المكان منظمًا لدرجة الهوس، جميلًا لدرجة البكاء، تراصت أربع سيارات، تنوعت بين سيارات رياضية فارهة وجيب، وأخيرًا.. المرسيدس الذهبية، تجلس بهدوء كأنها تختبئ.

تابع أمير مروره بجانب السيارات كأنه لا يبحث عن شيء محدد، وكذلك فعل صالح، الذي أشعل عود ثقاب في الحائط ليضيء، ثم دخن من سيجارته معلقًا:

- مفيش طيارات؟

أطلق أيوب قهقهة صغيرة ثم ألقاها:

- إنت جاي تهرج بقى يا صالح بيه؟

وتابع طريقه إلى نهاية الجراج معطيًا الجميع ظهره. بدا وكأنه يبحث عن زر كهرباء إضافي ليضيف مزيدًا من الإبهار البصري. انتهز صالح الفرصة وتوقف أمام الجانب الأيمن من المرسيدس. رمقه أمير وهو يمرر كف يده بنعومة فوق مرآة السيارة اليمنى المكتملة، التي لا خدش بها، قائلًا:

- لا خالص. ده أنا حتى ما باحبش المهرجين.

قالها ونظر في اتجاه أمير، الذي وقف في مكانه يرمق مرآة السيارة طويلًا، كأنه استيقظ لتوه من حلم ما. لقد كانت في أحسن حال!

وضع أيوب سبابته فوق أذنه كأنه يسمع شيئًا في السماعة المعلقة في أذنه، حينها استدرك صالح الموقف قائلًا:

. شكرًا يا أيوب بيه، هنكمل كلامنا بعدين عن لندن!

*

ابتسم صالح وهو يفتح باب سيارته مودعًا أيوب، الذي تلاشى خلف البوابات التي أغلقت أوتوماتيكيًا. نظر إلى أمير وتغيرت معالم وجهه، ظهر عليه بعض الغضب وهو يرمق ساعته.

أنزل زجاج سيارته الأمامي وأدار المحرك قائلًا:

. المرة دي عدت على خير، لو عرفت أو سمعت إنك جيت ناحية الراجل ده تاني... طبعًا إنت عارف هيحصلك إيه، صح؟

صمت أمير وظل يحملق بوجه صالح لبرهة، قبل أن يلقي جملته الأخيرة:

. هنخسر كتير!

لم يهتم صالح ليعلق، حك عود ثقاب ببنطاله ليضيء، أشعل سيجارته ونفخ منها مرتين، ألقى العود المحترق أمام حذائي أمير، واختفى من أمامه، تاركًا أمير في مواجهة الفيلا.

II

في صباح اليوم التالي، شركة «ريد فون».

- سألته وأنا لابس البدلة وقاعد على كرسي الأنتريه بمنتهى الانشكاح، من الآخر كده: إيه اللي يخليني أجوزك أختي يا أستاذ عمرو؟

ألقاها كرم بتلك الكاريزما الكوميدية التي لا تفارقه، كان يقف بجوار مبرد المياه البلاستيكي الكبير، وبجانبه فتاتان، إحداهما محجبة، بدا عليهما التأثر التام. تابع كرم:

- لقيت وشه احمر زي الطمطماية، وبعدين بص للسقف وقالي: «يا أستاذ كرم، أنا أكتر إنسان مناسب للآنسة منى، لأني لما قابلتها حسيت إن روحي اكتملت، عارف يعني إيه حضرتك اكتمال الروح؟».

مالت إحدى الفتاتين برأسها، حالمة، متأثرة برقة الجملة، قائلة:

- أووووه! حرام يا كرم، إوعى تكون رفضته!

رد كرم بكل ثقة:

- رفضته! أرفضه ازاي؟

تساءلت الأخرى بوجه مستبشر:

- يعني وافقت عليه؟

- واتجوزته طبعًا!

خبطته الأولى في كتفه، فيما انفجرت الثانية ضاحكة. تدخل أمير، الذي جاء من بعيد، ممسكًا بساعد كرم، جاذبًا إياه بعيدًا عن زميلتيه. بدا حانقًا وهو يجذب كرم بعيدًا. كان كرم مذهولًا مما يحدث، يتمتم بعبارات السخط على صديقه الذي أخرجه من «الوقفة الطرية» كما أسماها. قال أمير مفسرًا، بعدما استقرا في ركن هادئ:

- أنا محتاج منك تركّز مع كل اللي هاقوله، لو على البنات، هاخرجك مع أحسن منهم، بس تنفذ اللي أنا محتاجه منك!

- أنا مش فاهم أي حاجة.

- أيوب، الفيلا بتاعة المعادي.

- يا دي أم الفيلا!

- محتاج مساعدة، ليستة المكالمات.

- الضوي مش هيوافق، ولو عرف هيفرح جدًّا وهيقول للمستر عشان يرفدك!

- عشان كده أنا محتاجك.

- يا عم هو أنا «سوبر ماريو»، هافضل أتنطط فوق المواسير عشان أوصلك للأميرة اللي في القصر؟ مستحيل طبعًا!

- لو ما وصلناش لدليل مش هاعرف أحرك البوليس.

- «مان»، مين قال «بوليس»؟

ألقاها «آندي» بعدما تدخل بغتة في حوار ليس له. كان من الواضح أنه سيظل يقول كلمة «مان» في نهاية كل جملة حتى يموت، فهو يقولها بتضخيم يملأ لهجته الإنجليزية الثابتة كأنه يقول كلمة «مَن» بالعربية الفصحى، إلا أنه يضخمها كثيرًا بشكل مبالغ فيه لم تعتده أذن مستسيغي الإنجليزية ذات الصبغة الأمريكية.

رمقه الاثنان وغلبهما الصمت. شعر أمير أن المكان غير ملائم لأي حديث من هذا القبيل. كان أمير يعلم أن كلمة «بوليس» تصيب «آندي» بالأرتيكاريا المزمنة. فتاريخ «آندي» وأخيه السيِّئ في لندن، وفعلة أخيه التي فعلها وفر هاربًا من إنجلترا بعدها، ثم تبعه «آندي» درءًا

للمشاكل، كانت معلومة لأمير، إلا أنه كان من الواضح أن «آندي» لا زال يحمل الكره نفسه لكل ما ينتمي للشرطة، حتى وإن كانت تلك الشرطة في جنات عدن. دار أمير بعينيه حوله ثم قال لـ«آندي»:

- حوار مش مهم، ما تصدعش دماغك!

حاول كرم كتم السر، لكن «آندي» لم تعجبه الفكرة.

- آه احلقلي يا معلم براحتك خالص، بلاش «آندي» ده هيروح يسيحلنا. «كوول مان»!

قالها وهم بالرحيل غاضبًا، ساعتها لاحت الفكرة لأمير الذي استوقفه قائلًا:

- هتعرف كل حاجة بس بره الشغل، الكلام هنا هيودينا في داهية.

حك «آندي» رأسه مرتين وقال:

- أنا استأذنت ضوي عشان آخد «سموك مان»!

- بس إحنا ما بنشربش سجاير «مان».

قالها كرم ساخرًا، بطريقة «آندي» نفسها. قال أمير:

- بس بنصلي. السجاير جنب المصلى، «آندي»! خمس دقايق، تمام؟

- عسلية «مان»!

قالها «آندي» وهم بالرحيل بوجهه الثابت، ومشيته التي تشبه طريقة تجار المخدرات في أمريكا اللاتينية. التفت أمير إلى كرم الذي لم يبدُ عليه الاندهاش. علق كرم بطريقته:

- جاي من لندن البلد! ما تزعلش نفسك أنا كنت زيك في الأول، ولا أي حاجة!

ثم أطلق بحة صغيرة من حنجرته وتظاهر بالانشغال بالموظفين.

*

في المكان المخصص للتدخين، والذي جاور المصلى الصغير، كان الهواء المكتوم معبأ بشلالات من الدخان الذي فقد لونه، لكنه لم يفقد رائحته. وقف «آندي» مطأطئًا رأسه وهو يشرب سيجارته بشهوة، كانت أصابعه النحيفة والطويلة تحتوي السيجارة عند أطرافها بطريقة مميزة. اقترب الاثنان منه، فعلق «آندي» ساخراً:

- حرمًا، عسلية «مان»!

كانت ابتسامته ساحرة على الرغم من أنه لم يكن بالوسيم.

لم يعلق أمير وأصاب صلب الموضوع:

- الموضوع عن بنت، بنت صغيرة، سمعتها بتصرخ. كنت مع عميل، نسخة مطورة منك، بس هو العكس، نصه المصري أوضح شوية.

- بس أنا مش بخط... مش بخاطف... ما باخطفش بنات صغيرة «مان»! البنات هم بيخطفوني.

ألقاها «آندي» ضاحكًا، وغمز لكرم الذي رمقه بنظره حالمة، كنظرة السنجاب «سكارت» في سلسلة أفلام «أيس إدج» وهو يشاهد ثمرة الجوز الخاصة به. «آندي» كان الشخص الذي يتمنى كرم أن يتبادل الحياة معه إلى الأبد.

- وبالنسبة لياسمين، هيّ اللي خطفتك برضو؟

- أووووه، مسمار «مان»! أنا قلت برضو إنك مسمار ملاحظ كل حاجة. ياسمين «بيس أون سايد، مان»، مفيش بينا أي حاجة.

- مفيش في مصر حاجة اسمها «حاجة على الجنب»، ولو في، مش هتبقى ياسمين.

- أنا مش فاهم حاجة.

تدخل كرم معلقًا على جملة أمير الحادة، ليأتيه التوضيح:

- إنت لما تفتح التلاجة، بالليل وانت جعان، بتلاقي البيبسي وحتة لحمة على جنب عاينها عشان ظروف وزنقة «مان».

قالها «آندي» ضاغطًا على الكلمتين الأخيرتين، كأنه يستخرجهما من أسفل ضرسه.

- نصيحة يا «آندي»: ركز في الكباريهات و«البابات» اللي بتسهر فيها بالليل! افصل بينها وبين شغلك، المستر لو شم خبر هيعمل فيك نفس اللي نفسك تعمله في ياسمين.

- يا ابني ده المستر بيسهر معاه.

ألقاها كرم ككرة ثلج في وجهه. رمقه أمير بنظرة تقطر قرفًا، لم يعلق أو حتى يستفسر عن صحة ما قاله درءًا للحرج. حرك «آندي» حاجبه الأيسر، ومال برأسه وهو يرمقه بدوره بنظرة مغزاها «ما رأيك الآن؟»، ولكن أمير تابع كلامه عن موضوعه الأساسي. كان وجهه أقرب إلى وجه رجل على وشك التقيؤ:

- نرجع للمهم، بما إنك سمعت. الراجل ده فاهم كويس هوّ بيعمل إيه، يمكن إنت أكتر واحد ممكن يقرب منه ويعرف هو بيفكر إزاي. أنا صعب يحصل بيني وبينه كلام مباشر لأني وشي اتحرق بالنسبة له.

تساءل كرم:

- ما تقولش إنه جالك هنا...

- لأ، أنا اللي روحتله. المهم، ممكن تتصاحب عليه؟

- ممكن أحبه، «مان»!

- الراجل ده ممكن يكون قتال قُتله.

- مش... فاهم...

صحح كرم:

- أمير عايز يقول إنه «كريمينال»، مجرم محتمل.

- «كريمينال»؟! إنت لسه ما شُفتنيش وأنا لابس «الأندروير» الأبيض بتاعي «مان»!

قالها وابتلع نفسًا عميقًا من سيجارته، ثم نفخه في السقف بابتسامة ثعلب. نظر أمير نحو كرم ثم وزع

نظراته حوله مراقبًا المكان، تيقن أن لا أحد جديداً يسمعهم تلك المرة. وصمت الجميع.

١٢

أمام فيلا أيوب وقف «آندي» مهندمًا. تأكد من أن المستطيل المعدني المثبت على صدره بمغناطيس يختفي نصفه داخل القميص. سعل مرتين بصوت مكتوم، وعدل من وضع ذراع شنطته الجلدية على كتفه اليسرى، ثم ضغط زر «الأنتركم». جاءه بعد فترة بعض التشويش ثم صوت يسأل:

- مين إنت؟

بعد خمس دقائق كان «آندي» جالسًا مع أيوب يلقي بعض النكات بلكنة إنجليزية واضحة، وأمام أيوب عشرات المطبوعات الإعلانية عن رحلات «التايم شير»، وطبق كبير من المقبلات، يتناوب أيوب عليها بجانب خمره وسيجاره. سيطرت حالة من الضحك الهستيري على أيوب وهو يشاهد «آندي»، الذي شرع يصف له مغامرة جنسية عاشها في ملهى ليلي رديء بالقاهرة. يملأ فمه بالهواء كأنه يصف امرأة سمينة قد قابلها، ثم يقلب تعابير وجهه بتأفف معلقًا، بالعربية تلك المرة:

- بس لقيت تحت دراعها إسود مستر أيوب. تقرف الكلب يعني!

- «آندي»! ههههه، لازم تعرفني على اللي علمك عربي عشان أعمله تمثال.

قالها وقام إلى الثلاجة وفتحها مقهقهاً، ثم أمسك بعلبة بيرة مستوردة، وقذفها في اتجاه «آندي» الذي التقفها بحرفية وشكره بأدب لم يعتد أصدقاؤه على مشاهدته.

هم أيوب بقول شيء ما لكنه توقف كأنه يستمع إلى شيء، لقد كان صوت السماعة في أذنه، بدا أن زوجته قد أفاقت. أشار أيوب لأعلى قائلًا:

- «بولا» صحيت، لازم أطلع أجيبها.

ثم لوح بكفه في الهواء أسفاً:

- الخدامة سافرت أجازة في الفلبين.

ارتشف «آندي» من البيرة التي فتحها لتوه، ثم اعتدل واضعاً إياها على طاولة صغيرة بجانبه:

- أنا ممكن أساعدها.

- هاتعبك معايا؟

- ولا حاجة مستر أيوب.

- شاب محترم. هتخليني أفكر أشتري منكم رحلة.

ضحك «آندي»، ثم توجه إلى الدور الأعلى وراء أيوب، الذي تحدث بعفوية عن بعض ذكرياته في مدينة صغيرة بجانب اسكتلندا. كان يسهب عن شيء يشبه المولد، وممبار «الهاجيس» الذي يشتهر به ذلك الاحتفال.

في الدور الثاني كانت الغرفة الأخيرة تخص «بولا». ترك أيوب «آندي» يدخل أولًا. كان الظلام حالكًا بالداخل، ورائحة غريبة تتأرجح بين عطر وعفن. للحظة شعر «آندي» أن شيئًا ما ليس على ما يرام، شيئًا ما سيحدث، كأنه في بيت ساحر أو غول. حاول البحث عن مفتاح الكهرباء على الحائط مرة تلو الأخرى، حتى وجده، ثم ضغط عليه لينير. فزعه الأمر للحظة، حتى إنه عاد خطوة إلى الوراء عندما رآها تجلس فوق السرير بعدما ألقت كل الفُرش على الأرض، تجلس القرفصاء بينما استندت بيدها على السرير، تمد رقبتها تجاه الباب وعيناها واسعتان عن آخرهما، وكذلك فوها، لا تتحرك كالصنم، كأنها كانت تشاهد شبحًا عند الباب.

تقدم أيوب مستنكرًا ومرر يده فوق شعرها وربت على كتفها قائلًا إنه لم يتفق معها على هذا. قالها وحاول تعديل وضعها وشعرها ومسح شيئًا عالقًا بين عينيها، مضيفًا بالإنجليزية:

- «بولا» جميلة، أليس كذلك؟ «بولا» لن تخيف ضيوفنا.

- «شور... لافلي... لافلي».

قالتها بالإنجليزية، بمزيج من العته والسعادة المفرطة. غطاها برداء التقفه من على الأرض وساعده في ذلك «آندي»، الذي سارع معطيًا يديه الاثنتين لها. انحنى حتى يساعدها في القيام من فوق السرير قائلًا:

- تمام يا «بوص»!

ابتسم أيوب وتابع السير خلفهما مستمتعًا بسيجاره، إلى أن مروا جميعًا بمرآة في الطريق أمام الحجرات، كان عليها بعض العطور، وريموت كنترول أبيض غريب الشكل. اصطدم «آندي» بالحائط الحامل للمرآة، غير أنها لم تتحرك، أصدرت المفاتيح المعلقة في عنقه صوتًا معدنيًا قويًا عندما صدمت الحائط، كانت تتدلى من سلسلة حمراء اللون حصل عليها من «ريد فون». لفت نظره شيء ما خلف المرآة، لكنه تابع مساندة «بولا» في الطرقة، بعدما أمسك جهاز الريموت بخفة يد يحسد عليها، استوقفهما أيوب:

- «آندي»!

توقف «آندي» وحاول إخفاء الريموت تحت يد «بولا»، كانت هي مصدر الرائحة النتنة مع العطر، يتدلى الشحم من ذراعها كقطة أرهقها إرضاع صغارها فتدلى شحم بطنها، لقد كان النمش يغطي معظم ذراعيها.

ساعتها شعر «آندي» أنه ارتكب خطأ سيدفع ثمنه غاليًا. طغى على مسامعه صوت دقات قلبه المتسارعة، لكنه استدار، وابتسم على أي حال.

قال له بالإنجليزية:

- يجب أن نريك التمساح أولًا.

- تمساح؟

- «شور»، قولي له يا «بولا».

- نعم، تماسيح...

وتابعت:

- «لافلي»!

تقدم أيوب وفتح مقبض الباب منتظرًا «آندي». ترك «آندي» يدي «بولا» بعد أن تأكد من اتزانها، ثم خطا خطوتين نحو الغرفة. أضاء أيوب النور ليظهر له تمساحان، لونهما أبيض، أفزعاه لثانية، ثم اتضح له بعد ذلك أنهما مجرد محارم بيضاء كبيرة قد طوتها الخادمة على شكل تماسيح - هكذا قال أيوب ضاحكًا. كان طول كل منهما حوالي المتر تقريبًا، إلا أنها - أي الخادمة - قد وضعت شيئًا ما على أعينهما، ليبدوا كتمساحين حقيقيين للناظرين لبرهة أو اثنتين.

تنفس «آندي» الصعداء وعلا صدره، قبل أن يطلق ضحكة قوية كانت أقرب منها للخلاص من الضحك، ثم استدار موجهًا حديثه لأيوب بإنجليزيته:

- أوه! مستر أيوب.. كدت تضحك عليّ.

- أكيد يا «آندي».

قالها رافعًا حاجبيه، محركًا رأسه إيجابًا، ثم حصل على كرة جديدة من الدخان وأطلقها بانتشاء، وأشار إلى «بولا» متسائلًا عن التمساح، لتردد بروتينيتها المعهودة:

- «لافلي»!

عاد «آندي» ليؤدي دوره مع «بولا». نزل جميعهم إلى الدور الأدنى. لملم «آندي» أوراقه وهندم هيئته. شكره أيوب وألقى له بعلبة سيجار ثمنها لا يقل عن خمسمائة جنيه. كان ذلك بمثابة «عربون محبة» من رجل إنجليزي متصابٍ لشاب إنجليزي، لا يعرف فقط من أين تؤكل الكتف، بل من أين يمكن الحصول عليها أيضًا.

تبادلا أرقام الهاتف، وقام أيوب بتوصيله شخصيًا إلى البوابة، مطلقًا بعض النكات عن مؤخرة الخادمة الآسيوية التي تقرر قدومها في اليوم التالي. ثم اتفقا

على مقابله قريبة. عرف «آندي» عن طبيعة تلك المقابلة من دون أن يعطيه أيوب أي خيط.

*

بعد الفيلا بثلاث نواصٍ وقفت سيارة تويوتا عتيقة حمراء اللون. تفحص كرم ساعته ودلك أسفل ذقنه بهدوء وهو يمط شفته السفلى، ثم علق:

. واضح إن «آندي» فهم كلامنا غلط لما قلناله اتصاحب عليه.

رد أمير وهو يراقب المرآة الجانبية:

. حجته معاه.

كان الطريق مظلمًا وهادئًا للغاية.

. أمير، إحنا بقالنا ساعتين، «آندي» لو كان بيحاول يعلم الحاج أيوب ده يلعب ضغط بإيد واحدة كان زمانه عرف.

. مش كويس على فكرة إنك تتريق على إعاقة حد.

. لا مؤاخذة هو مش ده اللي خاطف بت ومعذبها؟ هوَّ انت انضميت لـ«جمعية حقوق المتحرشين» من إمتى؟

. هو أنا عشان باعلمك الصح... إيه الريحة الوسخة دي؟

قالها أمير ورمق كرم بوجه غاضب، ليرد كرم:

- مش عارف، ممكن عسر الهضم. أصل أنا ع...

- آآآه.. ارحمني!

أدار أمير بكرة الزجاج بسرعة رهيبة، وأخرج رأسه واستنشق كمًا كبيرًا من الهواء وتنفس أكثر من مرة بسرعة. تابع كرم:

- عندي قرحة في المعدة. في ناس بيقولوا إن في علاقة بالقرحة وال...

قالها ثم أطلق كحة صغيرة دارى بها إحراجه وتابع النظر في مرآة الجانب الخاصة به. بعد ثانيتين فُتح الباب الخلفي واستلقى «آندي» منهكًا، واضعًا بجانبه الشنطة الجلدية السوداء. لهث قليلًا ثم أخذ سيجارة وأشعلها وهو ينظر إلى سقف السيارة بانتشاء.

- حبيبي «مان»!

سلم «آندي» كرم الشنطة الخاصة بعمل أخيه، وأخرج القطعة المعدنية الخاصة بالاسم من قميصه، مسلمًا إياها كرم بعد إزاحة اسمه من فوقها بأظافره.

تساءل كرم:

- ظبطت الكلام؟

- «شور دارلنج»، الراجل ده عسلية، بقى تبعنا كرم «مان»!

قالها ثم نظر إلى أمير الذي عاد برأسه لتوه من الخارج، متسائلًا بسخرية:

- إيه؟ ضاعت منك حاجة في البحر بتبص عليها ولَّا إيه؟

قالها وقهقه لينفجر كرم ضاحكًا. رمقه أمير بحاجب مرتفع، وقال وهو لا يزال يرمق كرم:

- مناخيري.

أعاد «آندي» متعجبًا:

- مناخيري؟

ثم تساءل، بعدما سحب نفسًا عميقًا:

- في ريحة بنت خـ... «مان»! إنتو بتاكلوا إيه؟

قال أمير لكرم بوجه يملأه الغثيان:

- إنت عارف يعني إيه واحد بيشرب سجاير يشم ريحتك؟ إنت كده موهوب يا ابني!

بدأ كرم في إعادة حديثه السابق عن قرحة المعدة، لكن أمير تجاهله وعاد بالوجه المتأفف نفسه إلى «آندي» متسائلًا:

- عرفت نوعه؟

- آآآآ... الريموت؟

- أكيد مش باتكلم عن نوع كلب!

قهقه «آندي»، وأخرج من جيبه الخلفي جهاز ريموت أبيض غريب الشكل وألقاه لأمير الذي التقفه، قلّبه يمينًا ويسارًا، وعلّق:

- سرقته؟ إزاي سرقته؟! أنا ما طلبتش منك تسرقه!

- «ريلاكس مان! إيتس كريستماس»!

- «آندي»، الراجل ده زي التعبان، كان ممكن يشوفك وانت بتاخده وما يطلعكش من الفيلا. وبعدين هو دلوقت زمانه عرف وهياخد باله الفترة الجاية.

- لا لا. إنت بس متأثر بكتب «أجاثا كريستي» «مان»، هيعمل إيه يعني؟ هيستخبى في الحجرة السرية بتاعته؟

شرح كرم:

- أمير يقصد إنه ممكن ياخد باله من إن الريموت مش موجود، ممكن يغيره مثلًا.

- «بلودي هيل»! هيفتكر إنه ضاع منه في أي حتة في الفيلا، كل الناس اللي أعرفهم عندهم ريموت بيبقوا حاطين نسختين احتياطي أو تلاتة، الشركة بتسلمها ليهم.

- إنت قلت من ثانية واحدة: «الحجرة السرية»؟

- أيوه، إيه المشكلة «مان»؟

- عرفت إزاي إن عنده «سيف روم»؟

- استنجت... استج...

- استنتجت؟

- أيوه، استنتجت «مان»!

- إزاي؟

- خبطت الحيطة وأنا باوصل ميسز أيوب «مان»، كانت معدن، «ميتال»، «مان»، ليه حيطة «ميتال» مع بيت خشب؟ الأعمى يشوفها «مان»!

- الجهل عمى بعيد عنك.

قالها أمير وهمّ بطلب صالح على هاتفه، لكنه لم يتلقّ أي إجابة، حيث كان هاتف صالح مغلقًا. ألقى بسبة غاضبة وتابع وهو ينظر في هاتفه:

- «آندي»، الراجل ده صلح مراية عربيته في أقل من ٢٤ ساعة، ده لو صاحب التوكيل بتاع مرسيدس ما كانش عملها، الراجل ده سم، دماغه سم، إوعى تتصل بيه أو تتعامل معاه تاني.

- هوّ دماغه سم، أنا دماغي فيها كلاب جعانة «مان». ما تقلقش، الراجل ده عسلية مش مجرم زي ما إنت بتحلم.

- أنا مش باحلم!

قالها بصوت أكثر صرامة.

- «وات إيفر، بوص»، المهم إني عملت معاكو الصح. المفروض تشكرني «مان»!

- شكرًا يا «آندي».

قالها كرم بوجه مستبشر تفضحه براءة الأطفال، جعلت أمير يرمقه وهو يجز على أسنانه، لكنه لم يتفوه بأي شيء. رمق «آندي» كرم مبتسمًا وهو يرى كرم ينظر إليه بتلك الطريقة الحالمة. علق «آندي»:

- أحسن نمشي من المكان الضلمة ده، أنا مش في «المود» إني أبوس حد منكم إنتو الاتنين.

قالها وسيطر على قهقهة صغيرة، ثم ألقى بعقب سيجارته من النافذة. لم يعلم أمير ما كان يعني «آندي» بتلك «الكلاب الجعانة» التي تحدث عنها، لكنه أشار برأسه لكرم أن يدير المحرك ويتحرك.

١٣

كان الأمر ناعمًا وسلسًا كقطار كهربائي سريع، وبدا أمير كأنه يستمتع بالمنظر خارج القطار، وبجانبه والدته التي، لسبب ما، كانت نائمة. كانت الخضرة خارج النافذة جاذبة للعين، مريحة للروح، شيئًا من عدن.

إلا أن صرخة جاءت من بعيد، خرقت هذا الحاجز الرومانسي، صرخة شابة تقولها بإنجليزية صائبة:

- «هيلب»!

عاد ببصره ليجد أمه وقد اختفت تمامًا. تملّكه الهلع وركض نحو الباب الزجاجي محكم الغلق، حاول الخروج من عربة القطار لكن الباب لم يفتح، تتوالى الصرخات المرعبة، لكنه يحاول جاهدًا، ثم يصفع الباب مرارًا وتكرارًا، ليكسر الزجاج في النهاية وتدمى يده.

ركض كالمجنون إلى اليسار باتجاه الصوت، وسقط أرضًا، لأن شيئًا ما أمسك بقدمه، كانت يد تخرج من الأرض، يركلها وعيناه متسعتان عن آخرهما، لكن أصابعها الخشنة النحيفة المغطاة بالوحل أقسى من الفولاذ، فهي تسحبه إلى حفرة ما في باطن القطار، إلى العجلات التي ستقطعه إربًا.

في وسط هلعه ظهرت فتاة، صغيرة في السن، ذات شعر أسود طويل، غير مستقيم لكنه رائع، وعيناها غائرتان وواسعتان كالقمر، أمسكت بيده ومنعته من الانزلاق. تنفس بسرعة من كثرة الخوف، وهو يمسك بكف يدها اليسرى، مسحت العرق من فوق جبهته بباطن ذراعها، وقالت له وهي تريه إياها:

- ركّز.. مع النجمة الخضرا!

لقد رسم عرقه في ذراعها نجمة خضراء لامعة. تابعها حتى خفتت عيناه وراح في سبات عميق كالمحيط.

وقت الاستيقاظ. أفاق يلهث كأنه كان يركض، حبيبات العرق تتناثر فوق رأسه وصدره العاري، تتجمع ثم تسقط. كان المحيط العام مائلًا للظلمة، لكنه كان من الواضح أن الصباح قد شرع في تسلق نافذة غرفته.

صرخ «بوب مارلي»، وتراقصت فاتنات هاواي يمينًا ويسارًا ليفزع مرة أخرى ويصرخ لوهلة. تحرك بجذعه قليلًا إلى اليسار، وصفع المنبه ليصمت.

وقف أمام الثلاجة الفارغة، أخرج زجاجة مياه باردة نصف ممتلئة، تجرع منها حتى كاد أن يقطع نفسه، حصل على نفس عميق ثم رش قليلًا من المياه فوق رأسه، أغلق الثلاجة، ودخل ليرتدي زيه التقليدي. تأكد أن أمه نائمة ثم هم بالرحيل.

عند مدخل القرية الذكية أخرج هاتفه المحمول، حاول الوصول لرقم صالح، كان من المؤسف أن تنتهي علاقتهما بتلك الطريقة. دحر الفكرة وأغلق هاتفه وألقى به داخل شنطته. رأى فيها شيئًا حصل عليه ليلة البارحة بمعجزة، ذلك الجهاز السحري أبيض اللون، جني مغارة علي بابا الذي سيفتح له الأبواب بضغطة واحدة، من دون أن يتلفظ بـ«سمسم»: الريموت كنترول.

في مدخل المبنى ا اعترضت طريقه «بان»، كانت متوجهة لملء كوبها الحراري ببعض القهوة المحلاة، توقفت لثانية أمامه وأكملت طريقها، بعدما رمقته بنظرة كان بحاجة إلى حجر رشيد لتفسير محتواها.

دقائق وجلس أمام حاسبه، بعدما ألقى على الضوي السلام، لكن الأخير لم يرد عليه. أقنع أمير نفسه أن الضوي لم يسمع، ثم اعتدل وحصل على نفس طويل وهو مغمض العينين . طقس أقبل عليه مرارًا قبل أن تصب المكالمات فوق رأسه. سمع صوتًا جعله يفتح عينيه عن آخرهما فزعًا، كان كرم يمارس هوايته المفضلة مع عميلة:

. طيب بما إننا دخلنا الكود. حصل أي حاجة عند حضرتك؟

قالها مبتسمًا ابتسامة غير بريئة، كان صوت سماعاته عاليًا للغاية حتى إن أمير سمع صوت العميلة التي

تحدثه. شعر أن شيئًا ما ليس على ما يرام. تابع كرم بنبرة صوت لطيفة، مداعبًا أذنه:

- طيب ندخل الكود مع بعض مرة تانية.

هب أمير واقفًا، وتغير وجهه بطريقة هجومية، فهو يعلم الثمن الذي قد يدفعه كرم لو تم سماع تسجيل المكالمة. رسم الكلمات بفمه من دون أن ينطقها، وكان واضحًا على وجهه الانزعاج:

- الضوي هيرفدك، اقفل الخط!

لم يكن رد الفعل الذي ظهر من كرم أكثر من إيماءة رأس وهو مبتسم، كأنه فأر منوم مغناطيسيًا أمام قطعة جبن، فأر أقسم له صديقه أن شيئًا ما معدنيًا سيطبق عليه بمجرد التهامها.

جلس أمير مرة أخرى وأطلق زفيرًا حانقًا، فهو يعلم نهاية تصرفات صديقه المخبول، الذي هو صديقه الوحيد في هذه الغابة الموحشة من الأسلاك. لكن يبدو للأسف أن قدره دائمًا الاستمرار وحيدًا في كل شيء.

أخرج أمير من حقيبته شطيرة جبن صغيرة نسبيًا، زُرعت كمية كبيرة من «الشيتوس» بداخلها. قضم منها قضمتين ثم تناول زيتونة نحيفة كان قد وضعها في الكيس. سها عن الشطيرة بعد أن فكر في شيء ما،

وانكب على محرك البحث، يجرب كل الكلمات المتصلة بثلاث كلمات لا رابع لها: غرف، حماية، مصر.

كان يتأكد من حين إلى آخر أن أحداً لا يراقبه حينما يعود للحاسب ثم يكمل مهمته، استغرق الأمر ربع ساعة كاملًا حتى يحصل على إجابة نصف شافية: «وينرز تريد»، شركة استيراد تقع قرب المهندسين، من دون عنوانها. وعاد ليحصل على رشفته المؤلمة من الاتصالات، كان دوره، والأسوأ أن العميل كان مميزًا، ووقحًا.

لم يتمم أمير مكالمته الثانية حتى أتاه صوت من يمينه، شاب يرتدي قبعة كُتبت عليها كلمة «فيديكس» بالإنجليزية، وزيّا مميزًا يخص الشركة، يقرمش حلوى ما، سلمه ورقتين متطابقتين إحداهما حمراء وطلب منه التوقيع عليها بعدما تأكد من اسمه. كان يحمل صندوقًا متوسط الحجم، وكان من البديهي استنتاج أنه يخصه هو.

تساءل أمير:

- مين بعته؟

- واحد اسمه أحمد الريس.

قالها الشاب وهو يقرأها بصعوبة من ظهر الصندوق.

فكر ساعتها أمير في كل أقربائه، لكن عقله لم يستحضر سوى صورة قريبه المقيم في أقاصي الصعيد، لم يتذكر إن كان اسمه أحمد أم محمد. لماذا يرسله له أحد أقاربه، الذي لم يقابله سوى مرة من حوالي عشرين عامًا بالصدفة؟ هل يوجد «فيديكس» في قنا؟ هل هو تشابه أسماء؟ لكنه قرر قطع الأسئلة، وفتح الطرد.

وقّع أمير، وحمل الصندوق ووضعه أمامه، أي بينه وبين شاشة الحاسب فوق الطاولة. مسح بإبهامه قليلًا على ذقنه وداعب شعر رأسه لبرهة، ثم أخرج مفتاحًا من جيبه وشق الصندوق.

عندما فتحه احتاج لثانية حتى يدرك ما يحويه، كان بداخله صندوق يقاربه في الحجم تقريبًا، لونه مميز، بداخله كان عديد من دمى القطط جميلة الشكل، ملونة، تسبح في بحر من الكريات المطاطية والكريستالات اللامعة، كان سيفرح كثيرًا لو تذكر قريبه إرسال تلك الهدية من ربع قرن مضى، كذلك فكر أمير.

كان الصندوق ذا رائحة نفاذة، كأن من أرسله قصد ملأه بعطر مستفز، إلا أنه لاحظ شيئًا يبرز من وسط الصندوق، كأنه طرف شريط يخرج من جانب الصندوق في منتصف المسافة بين الركنين. أمسك بالشريط، تردد للحظة، لكن الفضول انتصر كعادته معه، جذبه، كان من الجلي أن تلك الدمى والكريات تخفي شيئًا

تحتها، جذب الشريط أكثر ليظهر سطح بلاستيكي يفصل بين نصفي الصندوق، العلوي والسفلي. ما إن تحرك السطح البلاستيكي حامل الدمى، حتى انفجرت الدماء فوق عشرات الرؤوس المقطوعة لقطط حقيقية.. تسكن الجزء السفلي، وعمت الفوضى.

كرسي ملقى على الأرضية وأمير بجانبه يستند على الأرض بيد واحدة، سماعة متصلة بميكروفون معلق تتحرك يمينًا ويسارًا كالبندول، الدماء تسقط من الصندوق، الملقى على جانبه، كالخيوط لتلطخ كل شيء، كريات ودمى ورؤوس قطط ملقاة في الأرض لطختها الدماء، وسطح بلاستيكي تمت إزالته، ظهرت تحته مقبرة تمتلئ برؤوس القطط البائسة، بعد أن شربت من الدماء حتى فاضت. كان من الواضح أن الشريط المتصل بالسطح الفاصل قد شد عنق كيس كبير به دماء مخبأ تحت السطح نفسه. وأخيرًا عشرات المذهولين تجمعوا بعد ربع دقيقة من الصدمة قضاها أمير بمفرده. ذلك كان كل شيء.. إضافة لصرخة أنثوية مدوية.

- ألو.

قالها أمير بوجه يقطر عرقًا، وعينين قلقتين تتحركان يمينًا ويسارًا، ورأس يدور في كل الاتجاهات.

- عجبتك القطة؟

كان صوت المتحدث غريبًا، معدنيًا، كأنه يستخدم جهازًا ما لتغيير الصوت. رمق أمير هاتفه ليتأكد من الرقم، لتصعقه حقيقة أنه لا يوجد رقم، بدلًا من الرقم كتبت كلمة بالإنجليزية معناها: «رقم خاص».

- هتدفع التمن غالي!

رد أمير بصوت حاد، وهو يرمق الطرد الغارق في الدماء أمامه، ليقابله هدوء من المتصل. لم يخفِ صوت تنفسه الحاد، إلا أن الصوت المعدني تابع قبل أن يغلق الخط:

- غريبة، كنت ناوي أقول نفس الجملة!

*

بعدها بساعة كان هناك أمين شرطة يعاني من «الثعلبة» يتحدث لأمير الواقف بجانب العمود، مربع اليدين، يحكي بصعوبة ما حدث، وضابط شاب يعاين الصندوق بقرف واضح. بجانبه باشر آخر تصوير الصندوق. ما إن مرت دقيقتان حتى قاطع الجميعَ صوتٌ متلعثم يتحدث بسرعة كبيرة:

- الرقم جنب الدليل يا جعفر! جنب الدليل، ما تجيبلناش الكلام من دكتورة «جاكلين»!

ألقاها صالح وتقدم ناحية أمين الشرطة وربت على كتفه ليتركه وحيداً مع أمير، الذي بدا عليه قليل من

البرود. تابع صالح وهو يناول أمير قطعة شوكولاتة كان قد التهم نصفها مسبقًا:

- إيه يا «كوتش»؟ هوَّ كل المشاكل منك انت؟!

- فرق كبير بين «منك» و«ليك» يا باشا، أنا ما عملتش حاجة، هي اللي بتحصلي!

قال صالح:

- كل دي صدف.

وأشاح ببصره ناحية الصندوق، وهو يلوك ما تبقى من قطعة الشوكولاتة.

اعترض أمير:

- تقصد إيه؟

- أقصد إن الموضوع كده زاد عن حده. أنا بقيت باقلق لما باشوف رقمك على التلفون!

تدخل شامل في الحديث من العدم، مناولًا صالح ظرفًا مغلقًا به بعض الأوراق، وعلَّق:

- أو يمكن يقصد إن كمية الحاجات «السايكو» اللي بتحصل مش صدفة، تهيؤات في التلفون، وعلب فيها

قطط، البيه من ساعة ما شرف والدنيا كلها ملبشة، لحد ما عملنا «سيرتش» صغير عنه وعرفنا إنه...

رمقه صالح بنظرته المميزة، مزيج معتاد من السخرية والاستهتار المغلف بالحنق، ثم جذب الظرف بعنف أدى لانكماشه في قبضة يده. بدأ في تحري الأوراق الموجودة فيه، كانت تخص مستشفى نفسيًا شهيرًا، وبها تقارير ظهرت صورة صغيرة لأمير في أحدها بالأبيض والأسود، وتحتها كُتب اسمه بالكامل. تحدث صالح وهو يتصفح التقارير، موجهًا كلماته لشامل:

- وانت مين بقى يا حمادتو؟

- أنا باشمهندس محمد شامل يا باشا، خالي اللوا عبد العزيز شامل.

- هوَّ انا لما أسألك عن اسمك بتقولي اسم خالك ليه؟ مش عارف اسمك الثلاثي؟

نظر شامل خلفه ليجد كرم و«بان» وآخرين، تعلو وجوههم ابتسامات شامتة رسموها خصيصًا له، إلا أنه تابع حديثه لصالح:

- لأ، أنا عارف كل حاجة كويس، أنا بس كنت عايز أعرف...

قاطعه صالح وهو يتصفح الأوراق:

- عارف كل حاجة كويس ومش عارف إن عمك هوّ اللي المفروض يشيل اسم أبوك مش خالك؟!

بلع شامل ريقه وحاول تفادي الإحراج بابتسامة قائلًا:

- أي حد ممكن يتلخبط عادي.

- هنحقق في الورق ونشوف صح ولّا غلط، شكرًا يا حمادتو، شوف شغلك انت، وتاني مرة ما تدخلش الداخلة دي على ظابط مباحث، محدش فينا بيكش لما بنسمع كلمة «لوا»!

- اسمي شامل على فكرة!

- حمادتو.. هتزعلني منك يا حمادتو! وبعدين أنا زعلي وحش!

قالها صالح رافعًا حاجبه بطريقة تحذيرية، بنغمة ساخرة تشبه نغمة أم تحذر ابنها الرضيع.

لم يتفوه شامل بأي شيء، حاول قول شيء وخذلته كلماته. قطب صالح حاجبيه منتظرًا أي جملة جديدة من شامل، لكنه - أي شامل - لم يتحدث، وهمّ بالرحيل والسخط واضح عليه، أخرجه في ركل سلة مهملات كانت في طريقه.

كان يبدو على صالح بعض الحنق وهو يفرغ من تفحص الظرف، قال بصوت هادئ مخاطبًا أمير:

- بعد ما تخلص الشيفت ألاقيك عندي في المكتب وتـ...

قاطعه صوت غاضب:

- أنا عايز أعرف إيه اللي بيحصل في المبنى بتاعي لو سمحت! مين اللي طلب البوليس؟ ومين حضرتك؟

استدار صالح ليقابل رجلًا قصيرًا أسمر اللون، كان «المستر»، أو «شيروكي» كما يلقب في الخفاء، جاء ليبدي حنقه على ما يحدث، لكنه لم يكن يعلم أن شخصًا ما ليس في أفضل مزاج اليوم:

- هوَّ انتو ما بتخلصوش؟!

- مين حضرتك معلش؟

- أنا اللي باسأل السؤال ده.

- لو حضرتك شرطة فأنا من حقي أشوف الكارنيه على فكرة.

تجمد صالح للحظة، وتغير وجهه ليرسم رد الفعل الأبله الكوميدي ذاك، ثم صمت لبضع ثوانٍ، ثم أخرج من جيبه

الخلفي حافظته الرياضية وصفع بها الطاولة الفاصلة بينه وبين المستر، وتابع بالوجه الأبله نفسه:

. نقي الكارنيه اللي يعجبك، في ٨٠٠ جنيه كاش، عايز لما أفتح ألاقيهم.

ثم عاد بحديثه لأمير:

. الساعة ٨ كويس؟ ولّا عندك مشوار؟

أومأ أمير برأسه موافقًا ثم اتجه إلى الطاولة، وحصل على الحافظة محاولًا درء الحرج عن مديره. رمق كارتًا أبيض اللون يظهر فيه وجه صالح، أقل وزنًا، وبجانبه بعض المعلومات عنه، ثم سلم الحافظة لصالح.

. صالح بيه، أعرفك على «مستر وجيه». «مستر وجيه»، «صالح بيه»، معاون مباحث.

. أنا عايز أفهم إيه اللي بيحصل في الشركة، وعايز أعرف حالًا!

أجاب صالح:

. لما احنا نعرف، إنت هتعرف.

ثم وجه حديثه للرجل الذي يصور الصندوق صائحًا:

ـ جنب أم الدليل يا جعفر!

صمت وجيه لثانيتين قبل أن يقول بنبرة أكثر هدوءاً:

ـ أنا عندي ٣٢٠ موظف يا أستاذ صالح، دقيقة الموظف بتقف على الشركة بـ١٥ جنيه تقريبًا، أرجوك تخلص اللي بتعمله ـ بغض النظر عن هو إيه ـ في أسرع وقت!

مسح صالح بلسانه صف أسنانه وهو يفكر في شيء ما، ثم تساءل بصوت أكثر ألفة بدوره:

ـ مستر...

ـ وجيه.

أكمل أمير.

ـ آه، مستر وجيه، هل حضرتك أو أي حد هنا بيستمتع بشكاوى العملا، أو بيفرح لما بيتسبله هو والشركة؟

أجابه وجيه:

ـ حضرتك جاي تتكلم على...

قاطعه صالح:

ـ جاوبني يا باشا!

صمت الاثنان للحظتين، وضع وجيه يديه حول خصره وقال بعدما نظر إلى السقف:

. لا طبعًا.

. نفس الكلام عندنا، لما بنتفرج على بوكس فيه روس قطط متقطعة ومتغرقة بالدم، ما بنستمتعش بالمنظر، ما بنحسش إننا جعنا، ريقنا ما بيجريش، وما بنروحش نحكي لولادنا بعد المدرسة: «حبيبي، حزر بابا شاف إيه النهارده؟»، كل الكلام ده ما بيحصلش. فتأكد تمامًا إننا ما هنصدق نخلص ونمشي، وهنسيبك تكمل الكنافة اللي بتعملها!

ثم تغيرت معالم وجهه للغضب، ومعها نبرة صوته، ليتابع:

. وبالنسبة لتمن الدقيقة بتاعة الموظفين، أنا ما منعتكش تمشيهم من قدام الحرز، بالعكس دول خانقيني، لأننا مش في فقرة الساحر. وصلت؟

كانت عينا صالح أكثر اتساعًا ووجهه أكثر امتعاضًا، زام وجيه لبرهة، ثم أطلق زفيرًا عميقًا، هز بعده رأسه إيجابًا.

. لا، قولها، قولي «وصلت»!

. تمام يا أستاذ صالح، وصلت!

حرك بعدها صالح رأسه إيجابًا، ورمقه بتلك النظرة البلهاء، وعاد بنظره لجعفر من جديد.

اختفى المستر، وظهر من خلفه الضوي، عاقداً ساعديه كعادته، يحلل الموقف، ينتظر اللحظة الحاسمة ليريح المبنى من ذلك الدخيل المثير للريبة، أو كما كان يعتقد شامل، أو كما أصبح يعتقد الجميع. لقد كان جليّا أن أيام أمير أصبحت معدودة في «ريد فون»، والمثير في الأمر، أن أمير كان قد اختفى من المبنى.

*

لقد كان الأمر مفزعًا في الحي الذي يقطنه، فكان يجري كالمجنون، أو كسارق وراءه جيل كامل من أمناء الشرطة الغاضبين. لم يفكر للحظة في «التاكس» الذي ينتظر مروره من الشارع الرئيسي مجدداً، والذي تجنبه في الفترة السابقة، لم يفكر في أي شيء سوى أمه. لقد قال إن أمير سيدفع الثمن مجدداً، وهي ـ أي أمه ـ كانت أغلى شيء يملكه.

في الطابق الخاص بشقته وقف أمير يلهث بعدما تذكر أنه لم يلتقط أنفاسه منذ أمد. هاتفها لا يزال مغلقًا. ماذا لو وصل إليها ذلك المجنون؟ لقد أرسل له صندوقًا به من المرض النفسي ما يطلعك على ما يدور في رأسه، على ما يستطيع عمله أو التفكير فيه.

صفع أمير الباب عدة مرات، لم يفتح أحد، أخرج مفاتيحه وتمالك أعصابه بأعجوبة، دس المفتاح في الباب ودفعه، لكن لا أثر لها. جرى في جنبات البيت كالمجنون، ينادي عليها، حتى وجدها أخيراً.

نائمة في الكرسي الكبير أمام التلفزيون المفتوح، لقد افترس المرض جسدها حتى نحلت وأصبحت غير ظاهرة في الكرسي الجلدي الكبير، كقطة صغيرة منزوية. القناة الأجنبية نفسها التي تتابعها دائماً. كانت نائمة بالفعل. استيقظت ونظرت إليه.

بنظرة طفل فزع.

جلس أمامها على الأرض، أمسك بيدها المرتعشة وقبّلها، ومزح معها.

١٤

لم يتمالك سالم نفسه، وانفجر ضاحكًا كالمجنون وهو يقلب كوب الشاي الخاص به، ذلك عندما أسدل صالح جفنيه بطريقة كوميدية رائعة، كأنه يقاوم النوم، مطلقًا شخيرًا خفيفًا وهو يستمع إلى رواية رجل في منتصف الأربعينيات، قصير، نحيف، أصلع الرأس باستثناء جانبين أشيبين، يتحدث عن اختفاء زوجته وهو يؤكد مرارًا وتكرارًا أنها خُطفت. يتكلم باحترام ويكرر جملته كثيرًا:

. حضرتك واخد بالك معايا؟

قاطعه سالم بعدما تمالك نصف جأشه بعد الضحك العميق:

. يا أستاذ غريب، يا أستاذ غريب، إحنا فاهمين وجهة نظرك كويس، إنها بتحبك وإن ولادكو خدوا كل اهتمامكو، وإنها لما كانت بتزعل كنت بتجيبها من عند عيلتها في مرسى مطروح. أنا وصالح بيه عملنا اللازم وبعتنا البيانات وتم توزيع الصور، يعني اتعمل أكتر من اللي بنعمله في حالة الخطف. بس ده مش هيغير كلامنا. وجهة نظرنا إنها يا هربت مع جاركو اللي

في التالت، يا مع ابن خالتها اللي في الكويت. و٩٠ في المية مع جاركو اللي اختفى في ظروف غامضة ده.

. يا سالم بيه، سميرة عمرها ما تعمل كده، لأن أبوها وأهلها ناس من أصل صعيدي . حضرتك واخد بالك معايا؟ . فأنا أقسملك بالله إن...

قاطعه صوت باب ينفتح، وصوت يقول:

. أمير الريس يا صالح بيه.

أخرج صالح رأسه من بين كفيه، وقال بوجه يصطنع العته المبالغ فيه:

. دخله حضرتك، واخد بالك معايا؟ دخله يا سعد!

انفجر سالم ضاحكًا مجدداً، ثم أمر الرجل الطيب بأن يتبعه إلى مكتب بعيد عن صالح، مصطحباً كوبه الساخن.

سمح أمير لنفسه بالجلوس، فيما أخرج صالح نصف شطيرة باردة من مكتبه، وتابع بحثه عن كيس «مايونيز» أقسم بينه وبين نفسه أنه وضعه في الدرج منذ قليل. تحدث بحنق وأطلق بعض السباب، ثم عاد ببصره إلى أمير قائلًا:

- في حاجات بتختفي في القسم. «المايونيز» اختفى. ما بقاش في أمان في البلد دي!

علق أمير:

- الستات بتختفي، يبقى «المايونيز» طبيعي يختفي.

قضم صالح من شطيرته ومضغ مرتين، قبل أن يرد:

- بس إحنا عارفين الست دي راحت فين. إنت متخيل يا حمادة، إنك تلاقي ست بقى أسهل من إنك تلاقي كيس «مايونيز»!

- وانا واقف بره حسيت الراجل متأكد.

- هتستغرب من كمية الناس المتأكدة اللي قابلناهم في المباحث، وفي كل مرة بتطلع نظرياتنا صح، ظابط المباحث عامل زي الميكانيكي، الزبون بيحكي اللي حصله كأنه معجزة، بس بالنسبة له هو، مش معجزة يا حمادة، لأنها عدت عليه ميت ألف مرة، ما بيحتاجش أكتر من خمس ثواني عشان يعرف المشكلة فين، قبل ما حتى صاحب العربية يكمل كلامه.

- مش يمكن يكون في جديد؟

قالها أمير وهو يرمق ساعته، التي أشارت إلى الثامنة وست دقائق.

- الجديد دايمًا بيكون في الزبون، مش في العربية. كلمني أكتر عن الورق اللي ورهولي باسل!

- شامل.

- آه، شامل.

- الورق اللي معاك صح.

- يعني إنت دخلت مصحة نفسية؟

- إنت شايف إيه؟

- الرد على قد السؤال!

- من سنين، بعد وفاة والدي وأختي.

- ماتوا في حادثة.

- كويس إنك عرفت كل حاجة.

- ما قلتليش ليه؟

- بتتكلم عن المصحة، ولّا عن الحادثة؟ أنا ما اعتقدش أي حد بيمر بمرض عضوي أو نفسي محتاج يعرّف نفسه بالمرض، ما ينفعش أقولك: «هاي»، أنا أمير الريس

باشتغل في «ريد فون»، واتعالجت في مصحة نفسية بعد حادثة، بس بقيت كويس.

- هههه، ما انت دمك خفيف أهو، أمال قامط ليه في نفسك؟

قالها وأعاد قضم قضمة جديدة من شطيرته، ثم هم بشرب قليل من كوب ماء بارد أمامه.

- أنا دمي مش خفيف، ما قلتش نكتة!

توقف صالح عن الشرب، قائلًا ببعض الحنق ظهر على قسمات وجهه، حتى تطايرت شظايا الشطيرة:

- فعلًا ما قلتش نكتة، بس زاولتني ووقعتني في راجل واصل، عطلت وقتي، جبتلي الكلام! وده كله عشان سيادتك سمعت صريخ وهمي في...

- أنا عارف أنا سمعت إيه!

قالها وهب واقفًا، وتغيّرت ملامح وجهه كأنه على وشك الهجوم، تابع وهو يشير بسبابته إلى المكتب، مكشرًا عن أنيابه:

- البيت ده فيه بنت، ولو ماتت إنت اللي مسؤول عنها!

. قصدك البنت اللي كانت في الفيلم؟ ولّا البنت اللي صوتها متسجل في الأرشيف؟

. أنا ما يهمنيش إنت بتفكر في إيه يا باشا.

. أمال يهم مين؟ مش عاوز تعرف عن تحرياتنا في «فيديكس»؟

جاءت كلمات صالح الأخيرة كالبرد على أمير، قال بعد ثانية من الصمت:

. لقيتوه؟

. قصدك اللي بعتلك الطرد؟ سألنا الموظف، فقالنا مواصفات اللي بعت الطرد: شاب طويل، في الثلاثينيات، شعره شبه شعرك، مناخيره مدببة، نفس لون بشرتك، نفس الفورمة بتاعة الدقن. يعني، حاجة تحير بصراحة!

. لا، ما يحيرش ولا حاجة. الموضوع واضح زي الشمس، راجل ذكي بيلعب مع أعداء متوسطي الذكاء!

. أو راجل مريض!

قالها صالح وقضم قضمة غلفها بنظرة غير مريحة، وظهرت لأول مرة عيناه في صورة حادة لم يلحظها أمير من قبل.

- لو عاوز تقبض عليّ أنا مش هاعترض!

- لا، أنا أفضلي إني أساعدك بدل ما أقبض عليك. مش يمكن أعصابك...

قاطعه أمير:

- أنا مش محتاج مساعدة منك!

- الموضوع تعدى مرحلة المساعدة يا حمادة. وصل لمرحلة إزعاج السلطات، من شخص غير موثوق في ثباته النفسي، ده اللي مكتوب في الشكوى.

- إنت عديت حدودك!

- ده كلام الشكوى اللي مقدمها أيوب، وأنا مليش حدود يا حمادتو! عمومًا، مراعاة لأنك متنرفز مش هادفّعك تمن كلامك، وهاسيبك تروح، بس نصيحة أخ: ابعد عن أي حاجة اليومين دول، هه، ابعد خالص. وابقى خلي بالك.

قاوم صالح رغبة في التجشؤ وأكمل:

- أنا لسه باعاملك معاملة الأخ الكبير، بس غلطة كمان والأخ الكبير هيسافر، وهيجي مكانه بابا، وبابا بيلسوع! روح وخدلك دش حلو كده، وريح أعصابك، عشان تعرف تركز في الشغل.

قالها صالح وغمز بعينه اليمنى.

كبح أمير كلمة أراد إلقاءها، حينما امتلكه شعور أن ما يفصله عن السجن أقل من سنتيمتر واحد. ثوانٍ واختفى تمامًا من أمام صالح، الذي أكمل التهامه لشطيرته.

*

أشارت الساعة إلى التاسعة والنصف صباحًا حينما ظهر أمير واقفًا في الأتوبيس المتجه إلى شارع جامعة الدول، كان وجهه صارمًا، وذراعه معلقة في دائرة بلاستيكية تمنعه من السقوط، لكنها لا تمنع عقله من الترنح.

حينما توقف الأتوبيس بدا وجه أمير جامدًا، حادًا وهادئًا. كان يرتدي سترة رياضية سوداء قطنية، يتدلى منها على ظهره غطاء للرأس، وتحتها قميص رياضي أبيض.

لم يكن في طريقه إلى العمل، أو حتى يحمل شنطته التي لا تفارقه. لقد كان هنا من أجل شيء ما.

نزل من الأتوبيس وهو يعلم أن الضوي كان ينتظر تلك الفرصة فوق جمرات ملتهبة، ليطيح به خارج الجنة الحمراء، التي لم يكن ليطيقها على أي حال.

أمام يافطة سوداء معدنية توقف أمير. كُتب عليها باللغتين العربية والإنجليزية: «وينرز تريد».

تنفس مرتين ثم رسم نصف ابتسامة في المرة الثالثة، كأنه سيغطس تحت الماء. لم يكن الغطس تحت الماء بعيداً عن الحدث، فبداخله كان يعلم أن أي خطأ بسيط أو وحيد عن السيناريو الذي رسمه عقله سيكلفه كثيراً. على الأقل سيكلفه حياة أمه التي لن تجد من يرعاها على الأرجح.

- اسمعني، اسمع! مستر هشام ما يفرقش معاه الكلام اللي بتقوله ده، لو هنشتغل بنظام «الكريديت» يبقى هتدفع ٢٥ في المية، لا طبعًا، أستاذ أمين، أستاذ أمين اديني فرصة للكلام ما ينفعش كده!

لم تبدُ السماء في أفضل حالاتها، السحب لم تكن بيضاء، الطيور لم تكن تزقزق، كانت هناك بعض الغيوم، والصورة التي كانت في رأسه ربيعية خالصة، لكنه تابع الدخول. الأمر الأكيد أن أمير قد أخذ عهداً على نفسه، أنه لن يتوقف حتى ينتهي به الأمر إلى المعرفة، أو تنتهي به المعرفة... الغريب فيما يحدث، أن أمير لم يستطع أن يمنع نفسه من الاستمرار، لم تأتِ له الفكرة من الأساس.

قالتها السكرتيرة وهي تكتم السماعة في كتفها اليمنى:

- أيوه، اتفضل حضرتك.

كانت صغيرة السن، عيناها خضراوان ضيقتان، نحيفة، لها سنان بارزتان.

تردد أمير عند الباب، لكنه سرعان ما رسم ابتسامة واثقة، وتقدم في اتجاهها كأنه بدأ في تنفيذ دور ما أتقنه جيداً.

ـ هاستناكِ تخلصي التلفون.

قالها ووزع نظراته على المكان بهدوء أعجبها، تابعت النظر إليه ولم تعُد لحديثها الملتهب مع العميل. أغلق أمير سحابة سترته الرياضية وخبأ كفيه في جيبيها.

ـ طيب يا مستر أمين، أنا هاخلي مستر هشام يكلم حضرتك. خمس دقايق وهنرجعلك تاني، لأ معلش، مع السلامة.

تساءل أمير وهو يعود إليها بعينيه:

ـ عميل صعب؟

ـ دماغه اتجاه واحد.

ـ الدنيا مليانة ناس تجيب أمراض مستعصية.

صمتت الفتاة ذات الجمال الهادئ وجاملته بابتسامة بسيطة. تحرك رأسها مراراً في موافقة واضحة على

وجهة نظره، في انتظار الجديد.

صمتت لوهلة، وهو يحرك رأسه مبتسماً بدوره، ثم تساءلت بعدما تابعت النظر إليه:

- إيه؟

- آه، آسف، كنت قربت أنسى.

- شكلك عاوز مستر هشام.

- لا بالعكس، إنت هتفيديني أكتر.

- عاوز تستورد؟

- لأ، كنت باسأل عن الـ... «سيف روم». واحد صاحبي اتعامل معاكم وشكر فيكم، وكمان قالي إن «وينرز تريد» هي الوحيدة اللي بتستورد المنتج ده.

- غريبة!

- إيه اللي غريب؟

- إنك تسمي غرفة الحماية «منتج».

اقترب أمير ومال بجذعه على المكتب الذي وقفت السكرتيرة من خلفه، ثم قال بنبرة صوت هادئة:

- مش عارف هتصدقيني ولّا لأ، لو قلتلك إن كل حاجة في الدنيا دي عبارة عن منتج ومستهلك، حتى المشاعر.

ابتسمت ابتسامة هادئة، وضغطت سماعة التلفون أكثر على كتفها حتى اعتصرتها من غير أن تشعر.

ردت بصوت هادئ وصل للهمس، في محاكاة لنبرة صوت أمير:

- إنت راجل عملي بقى!

- جداً، لدرجة إني قررت أقولك أنا جاي هنا ليه.

- هوَّ انت مش جاي هنا عشان تشتري غرفة حماية؟

- لأ، خالص. أنا جاي أعرف معلومات عن الناس اللي اشتروا.

- آه، طيب، ثانية واحدة. كده هاضطر أبلغ مستر هشام.

- لا لا لا، الموضوع سري، ولا يتحمل شخص تالت يا أخت...

قالها أمير وفتح حافظته ليظهر الكارنيه الشخصي له، نسخة من التي كانت في حافظة صالح، مع الاختلاف الوحيد أن صورته كانت تحل محل صورة الأخير. لقد كان الأمر سهلًا للغاية، فبمجرد بحثه عن الأمر في الإنترنت،

خرج بأكثر من أربع طرق مختلفة لتزوير «أي كارت تعريفي»، اختار أمير أسهلها. كانت الطريقة تعتمد على استخدام طابعة ليزر، وحاسب يحتوي على برنامج فوتوشوب، إضافة إلى جهاز تغليف المنتجات، وثلاثتهم توفروا في «هوت نت»، فبمجرد عرض أمير لسماعته المستوردة على «زيزو»، بادله الأخير بابتسامة واسعة أظهرت صفي أسنانه بأعجوبة. استغرق الأمر ساعتين فقط، فقدَ فيهما سماعته، وحصل على كارت شخصي مزور، حشره في المكان المخصص لإظهار بطاقته الشخصية في حافظته، إضافة إلى مائة جنيه يتيمة. لقد كان الاتفاق جائرًا نوعًا ما، لكنك لن تحصل على خدمة مثل تلك بالمجان، المخاطرة لها ثمن في بلد تشح فيه الأساسيات.

ردت السكرتيرة وهي تقلب عينيها في الكارنيه اللامع:

- نادين.

حرك رأسه مرتين وهو يتابع رد فعل السكرتيرة على خدعته الناجحة:

- يا نادين!

- واو! يعني أنا هاعمل خدمة للمباحث؟

حرك أمير رأسه نفيًا، ثم تابع وهو يعود بجذعه إلى الوراء، قائلًا بمزيج من السخرية والحزم:

. عشان خاطر مصر.

. للدرجة دي؟

حرك أمير رأسه بهدوء، ضامًّا شفتيه في إيجاب واضح، وشرح لها أنه يريد قائمة بكل من اشترى غرف الحماية منذ أن وُجد المكتب. لم تمانع نادين وطبعت قائمة العملاء، وعلى يسارها تكلفة كل غرفة، ونوعها. كان يبدو أن الأنواع تمتلك مسميات تدل على التجهيز، فمثلًا «ديلوكس أنتي إيرث كوايك» كانت تعني أن الغرفة مميزة وآمنة ضد الزلازل، وهكذا.

أحضرت له بالفعل قائمة من صفحتين. تابعت الحديث إليه وهو منكب عليها كأن بها سر حياته:

. إنت عارف إن دي أول مرة أقابل ظابط متخفي؟

لم يجبها أمير وقلب الورقة ليحصل على مراده في قلب الصفحة الثانية. كان الاسم يقبع في المنتصف، كأنه يتدارى، «أيوب محمود أبو النصر»، وبجانبه على أقصى يسار الورقة نوع الغرفة بالرموز «سوبر ديلوكس أي إكس».

بجانب رموز الغرف كُتبت التكلفة، كانت تتراوح بين ١٢٠ ألفًا و١٩٠ ألف جنيه مصري، إلا أن غرفتين قد تعدتا هذا الرقم.

علق أمير من دون أن يرد على جملتها الأخيرة، بدا هائمًا فيما يرى:

- طبعًا كل أوضة ليها الرقم السري بتاعها.

- مش كلها، في أوض ملهاش كود أصلًا، بتشتغل بالبصمة، بس اللي أنا عارفاه، إن الأوض اللي بكلمة سر، ليها كود موحد في حالة الطوارئ.

- حالة الطوارئ؟

- مثلًا حد نسي الرقم، بوليس حب يفتح الأوضة...

ابتسم أمير قائلًا:

- يعني لو بوليس متخفي، مثلًا يعني، حب يفتح الأوضة يدوس على رقم كام؟

- لو «السيف كود» ما اتغيرش، يبقى ١٨٠٠.

- اسمه «السيف كود»؟

- بالظبط.

- في حاجة تاني مشتركة بين الأوض غير «السيف كود»؟

صمتت لثانية، ثم نظرت إلى السقف كأنها تفكر، وقالت:

- ممم، إنت بتختبر «الترينينج» بتاعي يعني. لأ، مفيش.

ثم استدركت:

- أيوه صح، كنت هانسى: «السيف مينيتس».

- كملي من فضلك!

- لو حد فتح الأوضة، بتقفل أوتوماتيك بعد عشر دقايق.

صمت أمير لثانيتين فاغرًا فاه، رامقًا الفتاة ببعض التعجب، ثم ألقى سؤالًا دار في عقله:

- في أوضتين بس تمنهم أعلى من الأوض التانية.

- ما اعرفش التفاصيل بصراحة. ممكن أسألك مستر هشـ...

- مش مهم، ممكن تعملي من الورقة دي نسخة تانية؟

حركت رأسها مرتين، مطت يمين فمها وهي تطلق زفيرًا مرًّا غلفته بعد ذلك بابتسامة:

- ثواني يا أحمد!

أخطأت فيها عن قصد، لكنه لم يلاحظ الخطأ حتى، للمرة الثانية.

*

دخل رجل في منتصف الأربعينيات يرتدي زي شرطي، أشيب الشعر وله شارب غير منتظم.

بدت سعيدة عند رؤيته، وقالت بابتهاج واضح:

. عمو سمير!

التفت أمير بوجهه ليرى الرجل يتقدم ناحيته مبتسمًا وهو يلهث من التعب. ابتسم أمير وقال بدوره، وهو لا يصدق حظه العثر:

. عمو سمير!

. أنا حاسة إنكو تعرفوا بعض، بس مش هاقول منين، هاهاها!

قالتها وهي تحرك يديها في الهواء بطريقة دائرية كأنها تلمح لشيء ما. قذفها أمير بأعتى الألفاظ في نفسه لكنه حافظ على هدوئه. أخذت نادين الورقتين واتجهت إلى آلة التصوير في الغرفة الداخلية وهي تكمل:

. أنا مش هاعرفكوا ببعض بقى يا عمو. لما تخلصوا كلام ابقوا نادولي.

سلم الشرطي على أمير بفتور وهو يتساءل:

. إحنا اتقابلنا قبل كده يا باشا؟

بلع أمير ريقه.

ثم رسم ابتسامة.

ما إن عادت نادين من الغرفة الأخرى وهي تمسك بالنسخة الإضافية حتى تجمدت في نصف الطريق، حينما وجدت عمها سمير يقف متعجباً بمفرده.

. هوَّ راح فين؟

. سألته يعرفني منين، قالي إنه معد في برنامج الحقيقة، وإني طلعت معاه في الفيديو بتاع حلقة «العنف ضد الشرطة»، حاجة زي كده. وبعدين قالي ثواني أجيب ابني من العربية عشان لوحده!

تنهدت نادين ساخرة، ثم تركت الحرية لساعدها الممسك بالنسخة الورقية في السقوط.

١٥

شعر أمير، في طريقه إلى العمل، أنه لا يصدق نجاته مما حدث في «وينرز تريد»، ذلك عندما رأى فرشة كتب قريبة من محطة الحافلات، اقترب رويداً من صاحب الفرشة، كان رجلًا أشيب مع أنه لم يتعد الخمسين. سأله أمير وهو يقلب عينيه في الكتب:

- في كتب عندك بتتكلم عن الأحلام؟

- تفسير الأحلام تقصد؟

- لا، مش ده بالظبط اللي عايزه، أنا أقصد عن سبب الأحلام... يعني واحد ما بيحلمش، بقى فجأة، آآ... ولا حاجة، آسف. سلام!

هم بالرحيل، ليستوقفه الرجل:

- واحد ما بيحلمش بقى فجأة بيحلم، زي الراجل اللي عمره ما سمع راديو بس فضل يقلب المحطات لحد ما سمع محطة غيرت حياته.

توقف أمير ودار برأسه ليواجه الرجل مجدداً:

- كمِّل من فضلك!

- عندي كتاب بيتكلم عن الموضوع ده، بيفترض إن الواحد لما بيفكر في حاجة لدرجة كبيرة، بطريقة معينة مش عارف تفسيرها، بيتواصل معاها، أنا مش عارف الموضوع ده صح ولَّا لأ، بس إنت فكرتني بالكتاب ده.

- بكام الكتاب؟

*

في «ريد فون» المبنى ا. توقف أمير أمام مشهد لم يتوقعه: ياسمين يوسف تبكي كمن مات أبوها حرقًا، وهي تجلس على كرسي بعيد، و«آندي» يقف محتدًا يقسم ويحرك سيف يده الطويل للغاية في الهواء باعتراض، بنطاله يبدو ملطخًا، وهناك بعض الحمرة في وجهه كأنه احترق. بجانبه يقف الضوي يهدئ من روعه، واثنان آخران، وأخيرًا «بان»، تجلس أمام الحاسب الخاص بها تتابع عملها وهي تعطي الجميع ظهرها.

همس كرم في أذن أمير الذي حاول استيعاب الحدث:

- النهاية المتوقعة لأي «إكسلانس» بيقرب من المنطقة المحرمة.

تساءل أمير:

- «آندي» عاكس «بان»؟

- لاااا، أنا قلت «المنطقة المحرمة»، مش «جهنم الحمرا»! باتكلم عن ياسمين. وبعدين هو عدى مرحلة المعاكسة، قفل اللعبة!

نظر أمير بعينين زائغتين إلى كرم، الذي حرك رأسه إيجابًا بهدوء معلقًا:

- أيوه، هي الفكرة الوسخة دي.

- ودي قهوة صح؟

- بيعجبني فيك ذكاؤك، فخادك لسه ما نسيتش.

تنهد أمير وحرك رأسه يمينًا ويسارًا وهمس لكرم:

- مش ذنبه، ياسمين هي اللي كانت صيدة...

أشار الضوي لأمير أن يتجه إلى عمله، لكنه استوقفه في طريقه بنبرة غير بريئة:

- مش نلتزم في مواعيدنا بقى عشان نحقق «التارجت»؟ ولّا انت مش مبسوط معانا؟

- أنا آسف، هو في بس...

- في غلطات كتير، وفي كرسي فاضي في الصاروخ، وفي رحلة ببلاش طالعة القمر.

صمت أمير وطأطأ رأسه، ثم نظر جانبًا وقضم شفته السفلى، وتنهد طويلًا قائلًا:

ـ مستر ضوي، أنا محتاج الشغلانة دي، مهمة بالنسبة لي ولعيلتي!

ـ الفعل أهم من الكلام يا أمير، اثبتلي كلامك بالفعل.

حرك أمير رأسه تفهمًا، تمنى أن يكون الأمر بتلك البساطة، في رأسه كانت خاطرة واحدة، أن الأمر انتهى فعليًا، والاتفاق قد تم سلفًا بين الضوي ووجيه، وما يحدث الآن هو مجرد خطوات تمهيدية غير ضرورية، كالمظاهرات التي يحدثها الدكتاتور قبل أن يتنازل ويترشح مجددًا.

قصد حاسبه وهو يلعن اليوم الذي قرر فيه أن يعمل في هذا الجحيم. ما إن اقترب من حاسبه حتى رأى صورة طُبعت بالحاسب، معلقة بجانب الشاشة، عليها طفل يحتمي بغطاء سريره وعيناه دامعتان، وكُتب تحتها بالإنجليزية: «أسمع أناسًا ميتين»(****)!

كانت السخرية واضحة، قبض عليها أمير بعدما تشنجت عضلات وجهه، وظهرت عليه الرعشة. هرسها في قبضته وجال بنظره حوله، ضغط على فكيه من شدة الغضب، وفرت دمعة وهو يجاهد ليكتم ما في داخله،

تابع القبض على الصورة وجلس أخيرًا، مطلقًا زفيرًا عميقًا.

بجانبه، على بعد حاسبين، انكبت «بان» على حاسبها، منهمكة في محادثة ما، متظاهرة بأنها غير مهتمة بمصيرها، فهي ستحصل في أفضل الأحوال على خصم كبير وخطاب تحذيري، وفي ذلك رأفة كبيرة بها واستثناء، وفي أسوأ الأحوال ستحصل على مقعد مريح في الصاروخ الذي تحدث عنه الضوي، إلا أن الجميع هنا يعلم أنها الأفضل في هذا المبنى.. حتى هي.

حاول أمير القيام بعمله لكنه لم يستطع، خصوصًا بعد الخطاب التحذيري الذي بعث به الضوي له بابتسامة عريضة، فبعد أن تصاعد في عقله صوت دقات ساعة «العد التنازلي للانطلاق نحو القمر»، قرر الخروج.

في طريقه إلى خارج المبنى توقف أمير أمام «آندي» الذي غير بنطاله، بطريقة ما، ووضع بعض الثلج فوق وجهه.

- «آندي» محتاجين نتكلم.

- هوَّ أنا شكلي محتاج أتكلم مع حد؟ مش هاتكلم في الموضوع ده تاني «مان»!

التفت أمير حوله، قبل أن يتحدث بصوت أشبه للهمس لكنه لم يخلُ من الحدة، حتى إن عِرق رقبته كان

منتصباً وهو يتكلم:

- اسمعني يا بني آدم إنت! أنا عايزك في حاجة أهم من اللي حصل بينك وبين ياسمين، أهم من طريقتك في إقناعها إنها تجيلك الاستوديو، وأهم من كلامك عن عدد الأطفال اللي وعدتها إنكو تخلفوهم في إنجلترا، وتربوهم حياة جميلة مليانة مثالية و«هاف ستومك»، أهم من ده كله!

اقترب «آندي»، وهو ممسك بالكيس الذي به بعض الثلج، من أمير كأنه لا يستطيع أن يراه. فهم ما يقصد وقال بصوت خافت:

- أنا سمعت عن «الفيديكس»، لو ده اللي عايز تكلمني فيه، ممكن نتكلم في «السموكنج إريا»، «مان»!

- خمس دقايق.

قالها ليحرك «آندي» رأسه إيجاباً.

بعد خمس دقائق كان أمير في الأسفل، يقترب من «آندي» الذي انحنى ليشعل سيجارته من أخرى لم ترتق روحها بعد، كانت لا تزال مشتعلة فوق طفاية السجائر المعدنية الكبيرة، وكان وجهه لا يزال مغطى بالكيس البارد. ما إن عاد بجذعه للاستقامة حتى رأى أمير أمامه:

- «دام إت، مان»! إنت عايز تجيبلي سكتة قلبية ولّا إيه؟

- شُفت عفريت؟

- لا، شُفت واحد بيظهر فجأة أكننا بنمثل فيلم «سكريم»!

قاطعهما صوت كرم:

- كان فيه شوية نسوان عجب بصراحة. أموت في أفلام التسعينيات.

تساءل أمير:

- كرم، عرفت إزاي؟

- أنا عندي ودان أكبر من اللي عند «آندي» يا كبير.

- أنا سيبتك عشان كنت مشغول مع...

- ولا يهمك.

- إيه الجديد يا رايق؟

قالها «آندي»، ليرمق أمير كرم، الذي مط شفتيه بدوره. تابع أمير:

- نظريتك صح، أيوب اشترى غرفة سرية من شركة اسمها «وينرز تريد»، البنت جوه الأوضة بنسبة ١٠٠ في

المية.

- أمير، «مان»، لو كل واحد عنده «سيف روم» يبقى خاطف فيها بنت صغيرة، يبقى نص الناس اللي عايشة في إنجلترا دي مجانين!

- «آندي»، حتى لو احتمال واحد في المية، حتى لو هادفع التمن، البوليس لازم يوصلها.

تساءل كرم:

- هو صالح بيه ده هددك ولّا إيه؟

- هددني؟ يا ابني أنا لو كحيت بس جنب القسم هتسجن، صالح على آخره! مش بعيد يسجني احتياطي لحد ما يشوف الأوضة جواها مين.

تساءل «آندي» بعدما أطلق نفسًا جانبيًّا:

- إنت شايف إن في طريقة نعرف بيها قبل ما البوليس يروح؟

- لا، أنا بلغت خلاص، بعت لصالح على تلفونه رسالة، وقلتله إني باحمله المسؤولية الكاملة للبنت المختطفة.

تصلب «آندي» لحظتها، وأراد قول شيء بالإنجليزية لكن الكلمات ذابت، وظهرت في عينيه نظرات تعجب بائسة، ومثله كان كرم الذي، ولأول مرة في تاريخه، ظهرت على وجهه علامات غضب، حاول أن يكتمها لكنها ظهرت جلية على فمه الذي تقلص. أشاح بسبابته في الهواء لبضع ثوانٍ، ثم فاجأ الجميع بقوله:

- حمار وغبي!

صمت أمير لثانية، لكنه لم يتمالك نفسه وأمسك بياقة كرم، بدا على وجهه الحنق الشديد، كأن عينيه قاربتا على الانفجار. دفع كرم إلى الحائط وراءه حتى صفع به ظهره. لم يستمع لتوسلات كرم واعتذاره المتكرر. حاول «آندي» الفصل بينهما بكيس الثلج:

- هو خايف «مان». اهدا يا أمير، «إيزي براذر»!

- أنا آسف، بس حسيت إنك هتودي نفسك في داهية!

- نفس الإحساس اللي حاسه ناحيتك دلوقتِ.

قالها وعيناه تقطران شررًا، كأنه على وشك الهجوم.

- أمير، الناس ابتدت تبص، لو «شيروكي» أو الضوي عرفوا، مشكلة كبيرة «مان».

ـ مش مشكلة، ما انت ضربت الولا بتاع الأمن في الأسانسير وعدت.

ـ آه، عبودة قالك ولّا إيه؟ أنا كل اللي عملته إني قلتله واتس أب منوفي «مان»، ما اعرفش إيه اللي حصله بعد كده «مان»، ما أنا باقول لعبد اللّه إسكندراني «مان» وعادي يعني، فاهمني؟

أدار أمير وجهه لـ«آندي» لترتخي قبضته من فوق قميص كرم قليلًا وهو يتساءل:

ـ إنت قلتله منوفي «مان»؟

ـ إيه المشكلة؟ مفيش مشكلة يعني.

ـ «آندي»، لو عشت هنا كتير هتعرف حاجات عن مصر إنت ما تتخيلهاش، المنوفية احتلت مصر من حوالي ٨٠ سنة.

قالها كرم ليصفعه أمير في الحائط مجدداً، بالوجه الثائر نفسه:

ـ ما تتكلمش خالص!

اعتذر كرم بصوت خافت، وطلب من أمير أن يصفعه حتى ينتهي الإشكال.

حرره أمير ونظر إليه ببعض القرف، لينهال عليه كرم بسيل من الاعتذارات. أشار له أمير بسبابته محذراً:

- لو ما كنتش متأكد إنك أهبل وخايف عليَّ، كان زماني خليتك مدام كريمة.

- تعيش يا خويا.

قالها كرم ساخراً وهو يعدل من هندامه.

- أنا شايف إنك بقيت عصبي أمير، لازم تهدي أعصابك شوية.

- تقصد إيه؟

- أقصد إنك بتعمل مشكلة كبيرة مش صح «مان»! أيوب ده مسمار «مان»، بتاع نسوان. عزمني على خروجة في «فرايدايز» عشان نسكر ونغير جو، ملوش في الجو اللي انت بتقول عليه، هو عاوز سمكة كبير... كبيرة مش لسه صغيرة.

تساءل أمير باهتمام:

- إنت خرجت معاه؟

- لا، كنت مشغول يومها. بتسأل ليه؟

- لأنك لو خرجت معاه مرة واحدة هتبقى مشغول بقية حياتك!

- إنت بتقول... أنا مش فاهم!

- «آندي»، الراجل ده أخطر مما تتخيل، أكيد دور وراك وعرف إنك مش شغال في «التايم شير»، وأكيد عرف إنت شغال فين.

ثم قال بإنجليزية صحيحة:

- قابله مرة واحدة وسيقتلك!

حرك «آندي» رأسه نفيًا، وألقى بسيجارته بعيداً عن الطفاية، ثم أطلق دخانًا احتفظ به في صدره، وأشار بكيس الثلج في وجه أمير قائلًا:

- مفيش حد يقولي أعمل إيه وما اعملش إيه! من ساعة بالظبط «بيتش» رمت عليَّ قهوة مغلية، ودلوقتِ واحد عايش في مؤامرة وبيقولي أقابل مين وما اقابلش مين! لا بجد، «مان»! محدش هنا ليه حاجة عندي!

قالها وقصد المصعد. في تلك اللحظة، تمنى أمير لـ«آندي» الموت.

بدا الحنق على وجه أمير وهو يشاهد «آندي» في طريقه للاختفاء. بعدما صعد «آندي» توجه أمير إلى المصعد

المجاور له وضغط على زر الاستدعاء وهم بالصعود، ليستوقفه كرم:

- هتعمل إيه يا «بولت»؟

لم يرد، وترك عينيه تنوبان عنه في ذلك، وأغلق باب المصعد.

*

في طريقه للخروج فاجأته «بان» عند باب المبنى، أنهت محادثتها في هاتفها، بينما تجاهلها هو وهمّ بالرحيل، لكنها وقفت أمامه كأنها تعترض طريقه:

- عيب أوي تعمل نفسك مش شايفني!

- لو منك أدلق عليّ قهوة سخنة!

قالها لتبتسم، وتنهدت قائلة:

- للأسف بردت!

- خبر وحش أوي.

هم بالرحيل، لتمسك «بان» بذراعه:

- الضوي هيرفدك.

نظر أمير إلى يديها، ثم عدل من وضع شنطته على كتفه بعدما تركت ذراعه. لقد كانت في لمستها له حياة.

. عارف.

قالها وبلع ريقه وهو يرمق عينيها.

. رفد حسن، شامل دور على تلفونه على الشبكة لقاه كان بيتكلم من بيته مش من مستشفى.

علق أمير:

. مشترك جديد في «جمعية محبي شامل»!

. وبعتلي كمان «وارننج ليتر».

. قاسي أوي.

. بتتريق؟

. «شيروكي» والضوي مش طايقني من ساعة ما اتعينت، أنا عارف إن أيامي هنا قليلة.

. موضوع البنت اللي بتقول إنك سمعتها هو اللي كبر المشكل...

. باقول إني سمعتها؟ صح طبعًا! مش بعيد أكون باتخيل المحادثة دي كمان.

قالها وتحرك فعليًا، معلنًا الرحيل، لتمشي «بان» بجواره وهي تسترق النظر وراءها، كأنها تخشى أن يراها أحد:

. أمير، كرم قالي على كل حاجة، إنت هتودي نفسك في داهية!

. لحق يقول بالسرعة دي؟ ده انا متراقب بقى!

. فكر في أهلك، فكر في أي حاجة غير اللي بتعمله.

توقف وقال بوجه حاد لكن بنبرة هادئة:

. أفكر في أي حاجة؟ أقولك إيه الفكرة اللي مسيطرة عليَّ دلوقتِ؟ إني محظوظ جدًا يا «بان»، محظوظ إني أبويا وأختي ماتوا في حادثة واحدة، بس عشت معاهم خمستاشر سنة كاملة، عمري ما زعلت فيها. حتى لما بعت بيتنا عشان أصرف على مرض أمي، وعشت معاها في شقة معفنة، ريحتها قذرة، أنا عايش في شقة ريحتها قذرة، حرفيًا، بس برضو حظي حلو، عشان عايش معاها، كل يوم الصبح باشوفها قبل ما انزل الشغل. ومحظوظ إن أنا اللي سمعت البنت اللي، لو كل واحد قاعد في المبنى ده كان سمعها مكاني كان

هيكبر دماغه، كان هيعتبرها صرخة في فيلم، من غير حتى ما يتشرحله.

البنت دي صرخت وأنا موجود، صرخت للراجل الوحيد اللي عنده استعداد يسمعها. ده اللي بافكر فيه دلوقتِ!

بلع ما استطاع من ريقه، وقال بصوت أكثر هدوءاً:

- ده غير إني حبيت واحدة عمرها ما ارتاحت لحد غيري، كل دي أسباب تخليني أموت وأنا مستريح. شُفتي قد إيه أنا حياتي حلوة؟

- أنا البنت دي؟

- شكلها مختلف عنك.

- هي أنا، أنا عارفة! قول الحقيقة!

- مش هاقول الحقيقة!

صمتت لوهلة، ثم قالت بعينين ثابتتين:

- ليه بتكره الحاجة الوحيدة اللي انت مصدقها؟

صمت أمير بدوره لفترة أطول، يقلب عينيه بين جنبات وجه «بان»، التي ظهر عليها لأول مرة لهفة غريبة، ولان

صوتها لدرجة لم يعرفها من قبل. كانت تنتظر منه إجابة شافية، احتاج نصف دقيقة ليجيب.

. أميرا!

بلع أمير ريقه مجدداً قائلًا بصوت محتد، ولكنه أقرب إلى الهمس:

. باكرهها.. عشان.. عشان مش عارف هيَّ إيه، باكرهها عشان باستسلم ليها!

باكره إن كل حاجة لازم أفكر فيها هوَّ إنتِ!

باكره فكرة إني لازم أتعذب عشان أجمع جملة كاملة لما باكلمك!

فكرة إني باترعش وانا بافكر إني ممكن أخسرك!

ليه عندي استعداد أحبك، حتى لو قررتِ تنسيني ورا ضهرك وتمشي؟

ليه ما اقدرش أنا أمشي؟

ما باحسش بنفسي غير وانت واقفة جنبي!

إزاي هابقى على طبيعتي، وفي.. في حد بيخليني مش أنا؟

إزاي هاكون مختلف وفي واحدة بابقى معاها شخص عادي؟

باكره نفسي لو كرهتك! وباحب نفسي لما باحبك! لو عايز أعيش لازم ألاقيكِ، أكلمك، لو عايز أتنفس لازم أفكر فيكِ!

إيه اللي هيفضل ليَّ أنا دلوقتِ؟!

مجرد بقايا راجل كويس!

حتى لو إنتِ البنت دي، أنا باحب نفسي!

قالها وتحشرج صوته في الجملة الأخيرة، هبطت دمعة واضحة من عين «بان» اليمنى، وأمسكت «بان» بذراعه مرة أخرى حينما استدار راحلًا. تجمدت لثانية وهو ينظر إليها، ولكنها تركته يرحل. تركت ذراعه. عيناه أصرتا على ذلك.

*

تفحص «آندي» هاتفه ليجد رسالة جديدة من هاتف أيوب. فتحها وهو يجلس أمام حاسبه، فوجدها تقول بالإنجليزية ما معناه: «كيف حالك يا فتى الأوقات السعيدة؟ لديَّ ثلاجة محملة بالكحول، وغرفة مليئة بالحب، مباشرة من أوروبا. هل تريد أن تجرب عرض «التايم شير» الخاص بي؟».

ابتسم «آندي»، ثم ضحك كثيراً، تذكر ساعتها المضيفات الحسناوات اللاتي تحدث عنهن أيوب. شركة شهيرة لتوريد العاهرات الشقراوات، تتخذ من فندق شهير في القاهرة ـ قرب المطار ـ مقرًا لها. فكر «آندي» ساعتها أن ذلك الوغد المحظوظ يعي كيف يحصل على متعته.

ما إن ترك «آندي» حاسبه ورحل ليجلب بعض الماء، حتى توقفت فاطمة أمام حاسبه. أرادت أن تخبره أن هناك رجلًا إنجليزيًا اتصل وسأل عنه بالاسم منذ يومين، لكنها وجدت حاسبه فارغًا، فسألت من يجلس بجانبه في قسم الخدمة بالإنجليزية، فأخبرها الشاب بأنه قد رحل للتو، فأخبرته بدورها بما حدث، فعلق هو بأن «ذلك يحدث كثيراً، فمعظم الإنجليز أو الأستراليين يحبذون «آندي»، بل ويهاتفونه بعدما تنتهي مناوبته». تفهمت وجهة نظره ورحلت، لكنها لم تتجاهل ذلك الشعور بداخلها، بأن شيئًا ما ليس على ما يرام، فسؤال العميل عن «آندي» ورفضه تحويل الخط إليه كان شيئًا مريبًا، على الأقل بالنسبة إليها.

على الجانب الآخر، لم يجد أمير أي سيارة أجرة فارغة أو مواصلة تنقله من القرية الذكية إلى هدفه، إلا أن سيارة كان يعرفها وقفت أمامه، نزل زجاجها ومال سائقها برأسه ليظهر وجهه. كان صالح:

ـ إحنا قلنا ما ينفعش يعدي الحدث التاريخي ده من غير ما تكون موجود. خش يا حمادة!

بالطبع كان الحدث جليًا لأمير، وبالطبع كان السيناريو المتوقع واضحًا: لا فتاة في تلك الغرفة، يساوي وضعه في السجن لمدة بعيدة، وستدفع أمه جزءًا لا بأس به من الفاتورة.

لكن لسبب ما توقف صالح عند مكتبه مجددًا.

ـ مستني أهو! لا محدش كلمني، أيوه أهو يا سيدي معايا، الحوار كله هياخد ربع ساعة، آه قدامي أهو الأستاذ عاطف، لا ما تقلقش، هاكلمك بعد المشوار اللي رايحه في المعادي، سلام!

كانت تلك كلمات صالح في هاتفه، كان يتحدث مع صديق له، ضابط مثله لكن في الأمن المركزي، يعاني أخوه من رسائل تهديد تأتيه بصفة أسبوعية، تسبه هو وعائلته بأقذر الألفاظ، وتتوعده بالذبح وما شابه. كان الأمر وديًا، فالأخ لا يريد أي مشاكل إضافية مع جيرانه، لذلك أوصى أخاه الضابط أن يطلب من صالح ألا يؤذي جيرانه، وذلك بعد إلحاح صالح على استجوابهم على عكس إرادة المشتكي.

ـ تحت.. تحت أمر حضرتك يا افندم، أنا واللّه العظيم في منتهى الـ... الفرحة اللي في الدنيا إني في مكان زي ده

وباساعد شرطة بلدي في أي حاجة، حتى لو متهم حضرتك برضو مش مهم عندي إني...

. اتفضل يا أستاذ عاطف استريح.

قالها صالح بهدوء يحسد عليه، مشيراً إلى الكرسي المقابل لأمير. لقد كان أسلوب الرجل وانفعالات وجهه مبالغًا فيها كثيراً، طريقة انتصابه أمام صالح، ابتسامته العريضة، رأسه الأصلع، بنطاله المرتفع حتى اقترب من صدره، كان الرجل طويلًا للغاية، عيناه محاطتان بسواد قاتم، يقف بتحيته الميري كجندي على وشك الترقية.

تابع صالح:

. هناخد من حضرتك دقيقتين بالظبط، ولو مش عايز تشرفنا تقدر تمشي لأن دكتور هشام مصمم إن محدش يتم استجوابه بالغصب، الراجل مش متهم أي حد في العمارة.

انقض الرجل على الكرسي وقال بحماس طغى على وجهه:

. يا باشا ساعتين تلاتة أربعة، واللّه أنا لو أطول أتصل ببناتي وأقولهم ما تعملوش حسابي على العشا كنت...

قاطعه صالح مجدداً بوجه غير مستبشر:

- أستاذ عاطف! أنا عندي شغل.

- آ... آسف يا افندم، معلش أصلي...

- حماسي شوية.

- هههههه، لا خالص، أصلي بس باحب شرطة بلدي.

- وشرطة بلدك بتبوسك من بقك! استريح بقى دقيقة، وسيبني أنا كمان أستريح! تمام؟

- تمام سيادتك أنا قعدت أهو.

عاد ببصره لأمير وتوجه بحديثه إليه تلك المرة:

- فكر في اللي قلتهولك.

كان يقصد حديثًا دار بينهما في السيارة: حاول صالح إقناعه بالتراجع عن المحاولة الأخيرة، ولامه على الرسالة التي أرسلها له على هاتفه، والتي جعلته يفضل العند ليثبت وجهة نظره لأمير: أن لا شيء في تلك الفيلا الباردة.

أخرج من الدرج المقابل له علكتين حمراوين، جردهما وألقاهما في بلعومه، ما إن بدأ يلوكهما حتى انفجرتا بسائل أحمر حلو المذاق.

أخرج من الدرج نفسه ورقة بيضاء ناصعة وأخرى كُتب عليها شيء ما، ثم بدأ يقلب في ظهر مكتبه لثانيتين حتى عثر على قلم مستهلك، وصل حبره للحلقوم حتى طفح بلون أزرق قاتم.

. حضرتك هتكتب الجملة اللي في الورقة الصغيرة دي، في الورقة البيضا دي، وتتكرم...

قاطعه الرجل تلك المرة مبتسماً:

. إنت عارف يا باشا أنا ما باكلش غير النوع ده من اللبان بقالي خمس سنين بالظبط، يااه يا باشا، سبحان اللّه.. لا، سبحان اللّه بجد على التوافق.. حتى بنتي اتعودت وهي جاية من بره تشتريلي علبة كاملة منه، ده بطعم إيه ده يا باشا؟ موز ولّا مانجة؟

رمقه صالح بنظرته الشهيرة، مزيجه المميز من البلاهة والاستحقار. توقف عن المضغ لبرهة ثم قال بلهجة جادة:

. بطعم الخراولة!

تغيرت معالم الرجل المستبشر فجأة للصدمة، ثم رسم ابتسامة سريعة أخفت بعض الحرج، وتظاهر بالانشغال في الكتابة.

حاول أمير منع ضحكة كادت أن تتملكه، فأشاح بوجهه بعيداً كأنه يشاهد تفاصيل سقف المكتب.

غاب صالح لدقيقتين، ثم عاد بكوب ورقي به بعض القهوة، احتسى منه رشفتين ولم يعرض على أي منهما أي مشروب. انخرط في حوار جانبي مع أمير عن نوع من الكلاب يريد شراءه من الخارج. لقد استشعر صالح أن أمير يحب الحيوانات، خصوصًا بعدما قص عليه أمير ما حدث لـ«مارلي»، وكيف انتهى به الأمر وقد خسر نصف المال الذي جناه. المضحك في الأمر أن صالح كان يعلم ذلك الشيء المسمى بـ«التاكس». بل وحكى لأمير عن قصته، وكيف انتهى به إدمان المخدرات ليبيع التاكسي الخاص به ليصرف على مزاجه، وكيف طرده أبوه من بيته وتركته زوجته وسافرت لأهلها، إلا أنه وعد أمير بإرسال مخبر من مكتبه ليحذره من التعرض له مجددًا.

تساءل أمير:

- مجرد يحذره؟

- لو قبضت عليه حد من صحابه هيستناك وانت مروح وهيردهالك، هيوجعك وانت مش حمل خربشة يا أمير. الفلوس اللي اتاخدت منك اعتبرها وقعت منك خلاص، ربنا يعوض عليك. زمانها في جمجمة سيد «التاكس» حاليًا على شكل بودرة أو «ترامال».

ما إن انتهى الرجل من كتابة الجملتين، حتى سلم الورقة كأنه في لجنة امتحان، ثم انتصب مجددًا وهم

بالرحيل مبتسماً. سلم على صالح، فسأله صالح بطريقة ودية عن أي توقعات من جانبه عن مرسل تلك الرسائل لشقة الطبيب المسالم. لم يعلم الرجل شيئًا ليقوله، بل إنه أكد على أخلاق كل من يقطن تلك العمارة، ورحل.

سرح أمير لوهلة في باب المكتب بعدما أغلقه الرجل، لم يرتد إليه طرفه، كأنه يراقب شبحًا ما. قاطع صالح صمته:

. تعرفه؟

. نعم؟

. الراجل ده تعرفه؟

صمت أمير ورمق صالح بتلك النظرة التي رمق بها الرجل لتوه، ثم رد بعد برهة:

. لا، خالص، أول مرة أشوفه.

. أمال مالك بتبصله وهوَّ ماشي زي ما يكون عشماوي؟!

. لا أنا بس...

. بس إيه؟

ارتبك أمير لثانيتين، وأشار لرأسه كأنه يريد أن يبوح بشيء ما، لكن الكلمات تعثرت وخرجت نصف مكتملة:

- الـ... ساعات مخ الواحد، بعيد.

بلع ريقه وأردف وهو ينظر إلى صالح في عينيه:

- بيروح بعيد أقصد.

- وانت مخك راح فين بالظبط؟

- لا مفيش أي حاجة، مش يلّا بينا نلحق مشوارنا؟

- مخك.. راح.. فين؟

- مش مهم، أصله احتمال واحد في الـ١٠٠ يعني.

- قول! عشان دي آخر مرة هاطلبها منك قبل ما نقلب على قناة الدراما!

مرت نصف دقيقة كاملة لم يتحدث فيها أمير، ظل يرمق صالح في عينيه، وصالح لا يزال يرمقه بذلك الوجه الذي على وشك الثورة. ارتقى حاجب صالح الأيسر مندهشًا، وهمّ بقول شيء غير مريح حينما قفز أمير واقفًا، قال وهو يشير لبنطاله:

- حزام البنطلون.

- لا مؤاخذة؟

عاجله أمير بعرض تفصيلي لنظريته، محررًا حزامه من «التوكة» بيمناه مرتين.

- الشخص الأيمن، بيميل إن حزامه يكون ناحية اليمين، و«التوكة» ناحية الشمال، بيبقى أسهل في الفتح والقفل.

- بس ده مش فرض يعني.

- بالظبط، ٩٠ في المية أو أكتر بيعملوا كده، هوَّ ممكن يبقى من الـ١٠ في المية الباقيين!

- ده على أساس إنك شُفت «توكته» ناحية اليمين مش الشمال؟!

حرك أمير رأسه إيجابًا، ليرمقه صالح بتلك النظرة المتعجبة، التي لا تخلو من بعض الكبر:

- ممكن يكون من الناس اللي ما بيفرقش معاهم الـ...

- هوَّ كتب بأنهي إيد؟

أجابه صالح:

- اليمين.

حصل صالح على نفس عميق أطلقه معبأ ببعض الضيق، ثم همّ بتجميع بعض متعلقاته من الدرج: ساعته، علبة سجائره، مفاتيح سيارته. ثم قام رافعًا بنطاله ليلامس كرشه. قال مستنكرًا:

- كتب بيها حلاوة يا باشا.

- نسبة كبيرة من الشول بيكتبوا بإيديهم اليمين كويس.

- ودي قريتها في رواية، ولّا شُفتها في فيلم؟

صمت أمير وأشاح ببصره، ثم رد مفسرًا، ملوحًا بيمناه:

- أختي، كانت شولة.

انشغل صالح في مكتبه مجددًا، محاولًا تجنب النظر في وجه أمير لاستشعاره بعض الحرج، ثم أخرج الورقة التي خطها الرجل قائلًا وهو يقرأها:

- بس خطه شغال أهو باليمين، لو كان أشول كان هيـ...

أكمل أمير:

- كان هيحتاج وقت أطول يا باشا، بالنسبة لراجل خد دقيقتين في كتابة جملة تحتاج عشرين ثانية، فأكيد خطه هيطلع كويس.

- ولو طلعت غلط؟

كانت الجملة دليلًا على نضوج الفكرة في رأس صالح، لكنه رفض إبداء إعجابه مثل أي ضابط مصري أصيل.

- ١ في المية يا باشا، يعني في احتمال ٩٩ في المية أطلع غلط.

- لا، مش ١ في المية.

أمسك صالح بهاتفه واتصل بمخبر يدعى عادل، طلب منه أن يتحرى عن الرجل الذي كان هنا للتو. كانت المهمة محددة: هل الرجل أيمن أم أيسر؟

في طريقهما للخروج من المبنى، تساءل صالح:

- بالنسبة للمشوار اللي احنا رايحينه، كل اللي قلتهولك ما حركش شعرة من صدرك؟

- مش هاكذب يا باشا، أنا خايف طبعًا، خصوصًا إن أمي ملهاش غيري!

- أمال بترمي نفسك في التهلكة ليه؟

- مش عارف، الاتصال ده قلب حياتي!

- في حد يسجن نفسه عشان احتمال؟!

ـ احتمال؟

ـ لما المباحث تقولك احتمال يبقى احتمال، اللي في بالك غالبًا ما تمش.

هز أمير رأسه مرتين، واقترب من باب سيارة صالح متسائلًا:

ـ غالبًا دي يعني ٩٠ في المية يا باشا؟

رمقه صالح بتلك النظرة الحادة، وابتسم نصف ابتسامة، وركب سيارته. ركب أمير بدوره، ثم انطلقا.

١٦

أمام الفيلا تواجدت سيارة بوكس داكنة تعاني من بعض الصدأ عند اليسار، تدور أضواؤها الصامتة بلا كلل، وخارجها يوجد أحد الضباط يتحدث في جهاز لاسلكي أسود يخرج منه سلك يتصل بها، بالإضافة إلى شاب صغير السن يرتدي زيًّا أسود خالصًا وغطاء رأس داكنًا، وبيده كلب متوسط الحجم ببطنه بقعة ذهبية كبيرة، محاط فمه بكمامة. حينها استقرت «الميني كوبر» الخاصة بصالح. فتح صالح الزجاج محاولًا إزالة بعض من «الطفية» المتدلية من سيجارته، إلا أن الرياح القوية ألقت بها داخل سيارته ليقذف صالح أم سيجارته بأعتى السباب.

قال أمير ببعض صعوبة تنم عن قلق حاول إخفاءه:

- إيه اللي هيحصل لو قتلها؟

رد صالح بنبرة واثقة، وهو يبحث عن بقايا سيجارته فوق بنطاله بتأفف:

- هنلاقي الجثة، هتروح فين الشمس من قفا الفلاح، هتجيبه هتجيبه!

- هنعرف إزاي هو دفنها فين؟ الجنينة بتاعته زي الفدان.

. وانت متخيل إننا جايبين الكلب ده عشان مسابقة أجمل «شيواوا»؟

. مش...

بلع ريقه وتابع:

. يمكن دفنها بعيد عن الفيلا؟

. بدراع واحدة؟ حاول تدعي إنه ما يكونش بالبراعة دي!

. ليه؟

توقف صالح عن الحديث، وقال ببعض الأسف:

. عشان ماما هتوحشك!

*

رمقة باردة يغلفها بعض التأفف، ثم رشفة من عنق زجاجة بيده، كان هذا هو رد فعل أيوب بعدما فتحت خادمته الآسيوية الباب ليرى صالح وأمير.

. هندردش شوية كمان.

قالها صالح من دون أن ينتظر رد فعل أيوب، الذي ظل صامتًا لوهلة يفكر في شيء يناسب الموقف، لكنه أمر

الخادمة أن تفسح الطريق في النهاية، محركًا حاجبه الأيسر ممتعضًا، لكنه استدرك قائلًا:

- لو على الباب هناخد ساعة، لو جوه البيت مع الشاي، خمس دقايق.

علق صالح:

- برافو يا باشا!

ثم نظر إلى زميله ذي لباس الشرطة الأسود ومعه الكلب، كان من الواضح أن أيوب يرفض دخوله، وحاول إغلاق الباب، إلا أن صالح تابع حديثه:

- «دودج» بيحب الشاي برضو.

ارتشف أيوب من زجاجته مجددًا وأشار للخادمة برأسه إيجابًا.

عن يساره وجد أمير «بولا» جالسة في الصالة الذهبية الواسعة، تحرك رأسها برعشتها المستمرة، توزع ابتساماتها على الحضور وعلى وجهها الذهول نفسه. كانت أمامها طاولة خشبية رقيقة وضع فوقها بعض الأطباق وحساء خرج منه بخار هادئ. تقدمت الخادمة في اتجاه «بولا» مجددًا كأن الجمع قد قاطعها، جلست بجوارها، ثم بدأت في إطعامها بملعقة فضية لامعة

بعضًا من الحساء. أبدت «بولا» بعض الامتعاض ولكنها استسلمت في النهاية وشربت الحساء.

. خلينا نتكلم في «الريسيبشن» أحسن. «بولا» بتخاف من الضيوف.

قالها أيوب ليحرك أمير رأسه إيجابًا ويتبعه. كان صالح يتحدث مع فتاه المتشح بالسواد عن السيناريو المفترض اتباعه في البحث، لكن أمير أشار له باتجاه اليمين، حرك صالح رأسه تفهمًا، وأكمل حديثه مع الشاب الذي تابع حديثه معه وهو يحرر فم كلبه من الكمامة.

في الصالة ذات الطابع الحديث، توقف أمير أمام صورته الكبيرة وهو يطعم نمره في فمه.

. دي في ألمانيا. كنت لسه صغير، القط ده اسمه رسلان، كان أعز أصحابي.

رد أمير بصوت خافت كأنه يحدث نفسه:

. أنا ما باحتفظش بصور أعز أصحابي على الحيطة اللي في بيتنا.

. طبيعي، إلا إذا صاحبك ساب علامة مميزة في تاريخك.

قالها ضاحكًا وضغط على السيجار بضرسه، محركًا ربع ذراعه المقطوعة في الهواء ليظهر من تحت ردائه الملون وتابع:

. أنا عارف إنه ما كانش يقصد، القطط فيها غرايز أكبر منها، الغريزة بتنتصر في النهاية.

قاطعه صالح:

. لو دي قطة، يبقى أنا «جودزيلا».

قهقه أيوب مضيفًا:

. بس الأسود والنمور من فصيلة القطط يا صالح بيه، في حالة إنك ما تعرفش.

. عارف، بس هنا في مصر، ما بنقولش عنهم قطط.

. كويس إنك عارف. أنا بقى اللي مش عارف سبب الزيارة المفاجئة.

صمت صالح لبرهة ثم قال، رامقًا أيوب بنظرته الساخرة:

. ما وحشناكش؟

. إنت بتهرج؟!

- والعياذ بالله، إحنا نقدر نهرج مع الإنجليز؟! إحنا هنفتش الفيلا سيادتك.

- آآه.. أنا برضو باقول إيه اللي جاب كلب الصيد الجعان في بيتي؟!

بلع صالح تلك التورية ولم يرد، لكن أيوب تابع:

- ويا ترى بقى الكلب معاه تصريح؟

رد صالح وهو يرمق جسد أيوب نصف العاري بنظرة متحرشة:

- ما تقلقش، إحنا مدربينه يعض بس.

قالها وناول أيوب ورقة فتحها الأخير وشرع في قراءتها.

كانت أمر تفتيش، كُتب فيه أنه تمت الموافقة على تفتيش المنزل من النيابة، بناء على ما تقدم به أمير من معلومات تفيد بوجود طفلة مختطفة قسرًا في المنزل.

بينما كان أيوب يقرأ الورقة، عاد ببصره ورمق أمير بنظرة غلفتها ابتسامة لم يفهم مغزاها أمير نفسه، إلا أن أيوب أعاد الورقة مرة أخرى لصالح وأمسك سيجاره قائلًا:

- التفتيش هيمشي إزاي؟

رد صالح، بصوت رجل قرر أن يكشف أوراقه لأول مرة فوق الطاولة:

ـ لا سهلة، هتحكيلنا عن المكالمة الصغيرة اللي حصلت مع «ريد فون»، و«مينوايل»، زي ما بتقولوا، هنمشّي «دودج» في الفيلا شوية، وبعدين في الجنينة، لو شم ريحة مش حلوة هنستنى، لو ما شمش هنروح، ومع الشكر يا باشا.

ـ عايز أقولك إن لحد ربع ساعة بس كانت ريحة الفيلا زي الفل.

اقترب صالح مبتسمًا، رامقًا أرضية الفيلا الخشبية، مقلبًا الفكرة في رأسه، كأنه يقاوم رغبة قوية في قول شيء سيئ، إلا أنه تساءل:

ـ فعلًا؟

ـ أنا هاوافق على أمر التفتيش، بس دي هتبقى المرة الأخيرة اللي هتدخل بيتي، لو حاجة اتكسرت أو اتوسخت إنت المسؤول، لو وردة تحركت من مكانها في الجنينة برضو إنت المسؤول!

تابع صالح ابتسامته الهادئة ليتابع أيوب:

ـ بكرة الصبح هيجيلكوا وفد من السفارة يتكلم معاكو، عشان نعرف آخرة الموضوع ده إيه!

نظر صالح إلى أمير قائلًا:

- خلينا نأجل الفاتورة لحد ما العشا يخلص يا أيوب بيه.

ساعتها تمنى أمير أن يكون العشاء مجانيًّا.

بدأ أيوب في قص ما حدث، بداية من محادثته لأمير، ليستوقفه صالح:

- سيادتك بتقول إنك كلمت أمير عشان مشكلة في الإنترنت.

- حصل.

- كنت فين ساعتها؟

- يعني إيه فين؟ في الفيلا طبعًا.

- عبقري أوي الرد ده يا باشا، أنا أقصد كنت فين في الفيلا؟

- الدور التاني، كنت بانيم «بولا»، كنت قاعد في الكرسي اللي جنب سريرها، عشان كده صوتي كان...

قاطعه أمير:

- كان بيقطع. أنا فاكر المكالمة.

ـ إيه لازمة إننا نعيد كلام إنتو قلتوه لبعض وعارفينه، وبعدين مش الباشا الصغير كان المساعد برضو؟

تجمد أمير ورمقه صالح بنظرة طويلة، قبل أن يرد:

ـ ما هو إحنا عملنا اتفاقية تعاون مع «ريد فون» سيادتك، إحنا نقبضلهم على الناس، وهما يحولولنا باقة نت!

ـ أنا مش في «مود» إني أهرج دلوقتِ يا صالح بيه بالمناسبة.

ـ ولا إحنا! كمل يا باشا، سامعك، كنت جنب المدام...

توقف أيوب عن الحديث، وتابع رمق صالح بنظرة حادة، ثم كسر حدته بنصف ابتسامة وحرر يمين فمه من السيجار وتابع:

ـ ولا حاجة، كنت باتفرج على فيلم في الموبايل التاني، والصوت يظهر إنه علِي شوية، وبعدين كملت المكالمة عادي والمشكلة اتحلت والموبايل اشتغل.

ـ كل ده حصل وانت فوق؟

ـ أيوه، أنا ما اتحركتش من الأوضة.

ـ بس كده؟

- أيوه بس كده، إلا إذا في كلام تاني وصلك.

تابع الكلب وصاحبه الطواف في البيت الكبير بهدوء يحسدان عليه، لم يصدرا صوتًا سوى لهاث الكلب، كأن الكلب يخشى أن يزعج أحداً ما، إلا أنهما توقفا في مكان ما قريب من «كونسول» مذهب راقٍ في الدور الثاني، لسبب ما توقف الكلب هناك ولم يتحرك، أخذ يلصق أنفه في الأرض ويحركه يمينًا ويساراً، لم يكن من الواضح إن كان صاحب الكلب قد قصد تلك النقطة، أم إن كان الكلب هو من اختارها بإرادته.

- صالح بيه!

صاح بها مدرب الكلب من الدور الثاني، ليهرع صالح في الحال، أمام المرآة المذهبة توقف صالح، أخرج سيجارة وأشعلها، وتمتم ببضع كلمات مع الشاب.

في اللحظة نفسها كانت الساعة قد أشارت إلى تمام السابعة. تحرك أمير بهدوء في اتجاه الصالة الغربية، كأن شيئًا ما يناديه. كان الأمر أشبه بالأطفال الذين مشوا وراء مزمار الرجل الغامض خارج القرية. صوت تذكره أمير جيداً جذبه إلى الصالة، صوت الساعة المميز وهي تعلن تمام السابعة. حينما اقترب من الصالة وجد «بولا» تجلس وقد انتهت من وجبتها للتو، تكرر كلمتها مجدداً:

- شوربة «لافلي... لافلي»!

توقف أمير عند باب الصالة، مستنداً بيده إلى الباب، يرمق الساعة بعينين هادئتين. جاءه صوت أيوب من خلفه:

- الصوت ده بيفكرك بحاجة؟

قالها مقتربًا من سيخ أسود دفن في المدفأة الساكنة، ثم تابع:

- مكالمة مثلًا؟

رمقه أمير بنظرة ذعر، ثم تراجع قائلًا، كأنه يخشى أن يفعل أيوب شيئًا ما جنونيًا:

- إنت كنت عارف من الأول...

- أنا سيبتك تعمل كل اللي انت عايزه. يمكن تفهم إنك غلطان.

تراجع أمير خطوتين، فيما أطبق أيوب أصابعه على السيخ. تظاهر أمير أنه لا يرى يد أيوب ورد:

- مين قال إني غلطان؟

هم أيوب أن يتحرك في اتجاه أمير ممسكًا بالسيخ، في حين توقف أمير عن الحركة، وتعالت ضربات قلبه، لكن شيئًا ما طرأ على الموقف:

. أيوب بيه!

صاح بها صالح، ليتوقف أيوب عن التقدم، أراح السيخ بجانب الحائط، واتجه إلى صالح. في تلك اللحظة، تنفس أمير الصعداء، وبلع ريقه.

*

في الدور الثاني، أمام المرآة، توقف أيوب قائلًا بنبرة ساخرة درامية:

. إيه الجديد يا سعادة الباشا؟

. لا مفيش سيادتك، ده «دودج» بس.

قالها وخبط بكفه مرتين على الحائط ليصدر صوت معدنيّ، وتابع:

. عاوز يخش جوه.

بلع أيوب ريقه وأمسك بسيجاره، ثم خلع غطاء رأسه ليظهر رأس قبيح، أصلع، باستثناء بضع شعيرات بيضاء

ملتوية ظهرت على الجانبين. تساءل أيوب بوجه متجهم:

- أنا مش فاهم إنت بتتكلم عن إيه؟!

توقف صالح عن الكلام ومص شفته السفلى لتصدر صوتًا، ثم قاوم رغبة جامحة في قول سبة سافرة، لكنه تماسك وقال:

- البيت كله خشب في طوب، الحيطة دي معدن. عندك تفسير يا باشا؟

- صالح بيه، خلص الشغل بتاعك وامشي، ما تخليش الموضوع يوصل لمرحلة ما نعرفش نلمها!

لم يكن رد صالح على نبرة تهديدية، إلا أنه أخرج سلاحه لأول مرة، واضعًا إياه بجانبه، ليظهر أمير من العدم، ويتوسط المساحة بين صالح وأيوب، مشيرًا بيده بطريقة دفاعية لأيوب:

- افتح الغرفة اللعينة، لقد علمنا كل شيء.

قالها أمير لاهثًا، بإنجليزية صلبة. لم يرد أيوب بأي شيء، بل ارتدى قبعته الصغيرة مجددًا، وتمتم بكلمة غير مكتملة، كأنه يحدث نفسه. قال أخيرًا:

- الأوضة دي للحماية من السرقة، مش هتلاقي فيها حاجة تهمك.

ثم تبعها ببلع ريقه، ليتابع صالح بحدة لم تظهر على وجهه من قبل:

- افتح الأوضة يا أيوب بيه! لآخر مرة باقولك: افتح.. الأوضة!

تردد أيوب لثانيتين، ثم وضع سيجاره أمام المرآة، وداس على شيء خلف المرآة ودفعها لتتحرك إلى الأمام. ظهر من خلفها شيء أشبه بأرقام الخزنة، ضغط على أربعة أزرار بسرعة رهيبة تجعل ملاحظة الأرقام أمراً شبه مستحيل، لتنفتح الغرفة، ويتحرك الحائط بأكمله. كانت أشبه بخزنة معدنية كبيرة، بداخلها مروحة «شفاط» وتكييف غير واضح، إلا أن الهواء كان يدخل من فتحة في أقصى يسار الغرفة. كانت الغرفة بيضاء ناصعة، حتى الإضاءة كانت كذلك. كانت الأرضية من الخشب المشابه لخشب الفيلا، والحوائط مغطاة بطبقة ما من شيء يشبه القماش المبطن بطبقة من الإسفنج. كانت الغرفة خاوية تماماً سوى من تلفزيون معلق أمام كرسي صغير الحجم، وقد احتلا مؤخرة الغرفة الطويلة الضيقة، بالإضافة إلى جهاز «إنتركم» معلق في جانب الغرفة يبدو أنه وضع للتواصل مع العالم الخارجي، وبضع قطط تمرح بعدما سكبت الحليب أرضاً.

كان أوضح ما لفت نظر الجميع تلك الرائحة المقززة التي فاحت من الغرفة، حتى إن صالح غطى أنفه بظهر يده، وكذلك فعل أمير بباطن يده، ونبح «دودج».

عدل أيوب من وضع القماشة المزركشة حول رقبته، قائلًا بنبرة واثقة للغاية:

- قلتلك مش هتلاقي حاجة تهمك!

تحول وجه صالح إلى وجه أقرب إلى التشنج، وهو يشير إلى الغرفة بسبابته ثلاث مرات بعصبية، قبل أن يستجمع قواه متسائلًا:

- الريحة، إيه؟ التفسير العلمي الهولندي إيه؟

- القطط، معلش!

- بتربي قطط جوه أوضة الحماية يا باشا؟!

- لا، القطط أنا مربيها في أوضة مخصوصة، إنت شُفتها بنفسك، بس الأوضة كانت بتتبيض وكان فيها شوية صيانة، ما كانش ينفع أوسخ الأوض التانية، «ليما» الشغالة اقترحت نحطهم هنا لحد ما نخلص الصيانة، بس للأسف، الريحة لسه موجودة بعد ما نضفت الأوضة، بس الخبر الكويس إن خلال أيام الريحة هتختفي، «ليما» هتغسلها.

- اقفل الباب ابن الو... ده قبل ما أخفيك أنا!

كانت المرة الأولى التي يفقد فيها صالح أعصابه لهذه الدرجة، لكن كان من الواضح أن تأثير سوء الرائحة عليه كبير، لقد كانت تشبه رائحة البول النتن المختلط بالعفن، لدرجة أضرمت النيران في أعصاب صالح.

تدخل أمير غير آبه بما يحدث، وسمح لنفسه باختراق الغرفة، متجهًا إلى جهاز معلق في الحائط الإسفنجي الكاتم للصوت. حاول أيوب التدخل لمنعه، لكن صالح أشاح له بيده أن يتركه يفعل ما يريد. كانت عينا صالح بها كثير من الحدة، وهما تتابعان ما يفعله أمير، منتظرًا الجديد منه.

تخلى أمير عن حماية أنفه من الرائحة، وسمح لرئتيه باستنشاق قدر لا بأس به من العفن، ثم توقف أمام الجهاز المعلق كأنه يقاوم فكرة ما تدور في رأسه، تأكد أنه لم يدهس أيًّا من القطط، ثم ضغط على زر به، وأطلق كلمة واحدة بالإنجليزية، قالها بنبرة هادئة كأنه يعلم ما سيحدث لاحقًا:

- «هيلب»!

انتظر أمير أن ترج الكلمة الدور العلوي بالتتابع، وتنتشر عن طريق السماعات المعلقة في أعلى الحائط الخارجي،

فيما حاول صالح أن يركز مع صوت أمير، متجاهلًا نباح «دودج»، إلا أن شيئًا لم يحدث.

ابتسم أمير بوجه ظهر عليه بعض البؤس قائلًا:

- أنا قلت مش هتفوتك، برافو!

ساد الصمت بعد بضع ثوانٍ، سيطر الشاب المتشح بالسواد على تحركات كلبه الهائج، وعلق أيوب، محاولًا إخفاء نظرة تَشفٍّ واضحة:

- الميكروفون ده استلمته بايظ من الشركة اللي باعتلي الأوضة، لسه محتفظ برقمها، ما باحبش أتخلص من الكروت اللي في محفظتي.

عاد أمير ببصره إلى صالح، وعلى وجهه تلك النظرة المذعورة، كأن أحدًا ما قد قطع عنه الأكسجين. رمقه صالح بدوره، ثم حرك رأسه إيجابًا، وكانت تلك المرة الأولى التي يشعر فيها أمير أن صالح بدأ يشعر ببعض من الجحيم القابع بداخله، كأنه أراد أن يقول له: «لا بأس!».

ما إن خرج أمير حتى صاح أيوب بنبرة صوت مغايرة:

- أنا مش هاقبل المسرحيات السخيفة دي في بيتي بعد كده، لو سمحتوا، من غير مطرود!

لكن أمير أخرج من جيبه هاتفه المحمول، وقام بإخراج رقم كرم. ضغط على زر الاتصال، ثم تحرك باتجاه السلم المؤدي إلى الدور السفلي. إلا أن أيوب تابع، محدثًا صالح:

- إنت مش قلت هتقبض عليه!

رمق صالح أيوب بنظرته الغاثية، مزيج القرف والاستهانة، ثم أشار بيده لأمير ليمنعه عن المشي. رمق أمير يد صالح، ورد بصوت هادئ يفضي بكثير من التسليم بالمصير:

- تلفون أخير لصاحبي عشان أمي، أرجوك!

ثانية من التفكير احتاجها صالح قبل أن يخفض يديه ويومئ برأسه إيجابًا. لقد كانت المرة الأولى التي يظهر فيها صالح بعض الشفقة تجاهه، وبعض الامتعاض من الإمساك به.

- كرم، أنا محتاج منك خدمة كبيرة، مفيش وقت أشرحلك، بس عايزك تكلمني عن البنت اللي انت عايز تتجوزها تاني، لا مش شارب حاجة، هافهمك كل حاجة!

قالها أمير لكرم وهو يتجه نحو السلم بخطوات متثاقلة، كأنه لا يريد أن ينزل، إلا أنه تابع الاستماع إلى كرم باهتمام بالغ، ونزل من على السلم بالفعل، ثم توقف عن النزول في الدرجة قبل الأخيرة، واتسعت

عيناه وهو ينظر إلى شاشة هاتفه، لقد كانت الإشارة الخاصة بالهاتف تقارب الصفر في هذا المكان، مما جعل صوت كرم يتحشرج حتى اختفى تماماً. تابع أمير مشيه حتى وصل إلى الساعة، تجاهل «بولا» المبتسمة، ووقف أمام الساعة مباشرة، ليعود الصوت مجدداً:

- ألو، ألو يا ابني، الصوت قطع شوية، إنت سمعتني ولّا كنت باكلم نفسي؟

تمهل أمير قبل أن يرد:

- الشعر الأحمر على العيون الزرقا، دي آخر حاجة سمعتها لما الصوت قطع.

رد كرم:

- لا، أنا قلت حاجات بعدها، ما تطلع في حتة فيها شبكة!

- كرم، أنا بعد خمس دقايق بالظبط مش هيبقى معايا موبايل، هاتحبس في القسم، أنا محتاج إنك تاخد بالك من أمي. عايزك توصل لجارتنا وتقولها إني هابعتلها شوية فلوس، هتخلي بالها منها كام يوم لحد ما أطلع!

- إنت بتشتغلني يا عم انت! أمير باقولك إيه أنا مش فايقلك! إزاي يعني تقولي كلمني على الوزة اللي عايزها وبعدين تقولي هاتسجن؟! أنا مش فاهمك!

. أنا في الفيلا، صالح بيه هيقبض عليّ دلوقتِ، لازم تصدقني!

. عملت اللي في دماغك برضو؟!

. الوقت اتأخر أوي للعتاب يا كرم، أنا ما اعرفش حد ممكن يساعدني غيرك.

. تمام يا باشا؟

تساءل صالح الذي ظهر من العدم بجانب أمير، وعلى بُعد مترين كان أيوب والكلب ومدربه. أبعد أمير الهاتف عن أذنه ورمق صالح بنظرة لم تعهدها عيناه، ثم رمق أقفال «الكلابشات» اللامعة تتدلى من يد صالح وبها بعض الصدأ. عاد بالهاتف لأذنه وقال لكرم:

. أي حاجة هتعملها مش هانساهالك!

ثم أغلق الخط. مد صالح يده ليضع فيها أمير هاتفه. وضعه صالح في جيبه الخلفي، ثم فتح الأقفال ليضم أمير يديه أمامه. وضع صالح الأقفال ومط أيمن فمه بتأفف، ولسبب ما تذكر أول محادثة هاتفية بينهما، ثم تحرك بأمير خارج الفيلا، ومنها إلى سيارة البوكس. لم يكن يتخيل، وقت مكالمتهم الأولى، أن ينتهي الأمر بنهاية مثل تلك.

١٧

توجه كرم إلى باب الخروج وهو يتحدث في هاتفه مع أمه، يشرح لها سبب استئذانه من عمله، ويشرح لها أيضًا سبب تأخره عن العشاء، إلا أنه استأذن عندما رأى «بان» تعترض طريقه وبيدها سلاحها المفضل، القهوة الساخنة. ابتسم كرم قائلًا:

- إزيك يا «بان»؟

صمتت «بان»، وفتحت غطاء الكوب الحراري بهدوء، ليتوتر كرم متسائلًا:

- إيه يا «بان»؟ في إيه؟

- لا مفيش، سمعت عن الراجل اللي بيبعت رسايل للبنات اللي في السنتر؟

- «بان»، آه سمعت، بس أنا إيه علاقتي يعني؟

- تفتكر لو لقيناه نعمل فيه إيه؟

ابتلع كرم ريقه على مرحلتين، وقال بصوت غير مهتز، ووجه حاد:

- «بان»، بعد إذنك، أنا عندي حاجات أهم دلوقتِ من مشكلتك مع الواتساب.

قالها وهم بالذهاب، لتستوقفه «بان»:

- عرفت إزاي إنه الواتساب؟

رد كرم بكل هدوء:

- الكل عارف، وصدقيني، حاليًا عندي حاجات أخاف منها أكتر من الرفد، و...

ثم رمق كوبها الحراري قائلًا:

- والقهوة السخنة بتاعتك!

وكانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها «بان» في عيني كرم هذا الكم من الهدوء والثقة.

على الجانب الآخر، في القسم، توقف عسكري في منتصف الأربعينيات يعاني من بعض السمنة، قصير، لفمه رائحة سيئة تشبه رائحة العرق القديم، توقف أمام دفتر الأسماء، في حين انشغل صالح في هاتفه.

- امضي هنا يله!

قالها العسكري لأمير، المكبل.

- اسمي أمير.

- وأنا شذى.

قالها مبتسمًا بطريقة مبالغ فيها، ثم تغيرت معالم وجهه ١٨٠ درجة ليعنفه:

- هاتعرف عليك أنا يا روح أمك؟ امضي ياض بدل ما أفشخك!

أجابه أمير بوجه يقطر قرفًا:

- اللي بيتكلم كتير ما بيعملش حاجة.

صفعه العسكري في كتفه صارخًا:

- ما تبجحش معايا ياض بدل ما... بص! هاخبطك بكف إيدي على عينيك أعميك!

توقف أمير عن الكلام، لكنه ضم شفتيه بتشنج كأنه يريد أن يبصق، وقال بعينين ثاقبتين:

- اطمن، ريحة بقك قامت بالمهمة دي!

انفجر أحد أصدقاء صالح ضاحكًا وهو يتابع التلفزيون، ليرمقه العسكري بكثير من الغبطة، ثم حاول التهجم

عليه منفجرًا في وجهه، تراجع أمير مدافعًا عن نفسه، ليقطع صالح هاتفه:

. ثواني يا حسام خليك معايا.

ثم أشار للعسكري بالهاتف صارخًا:

. أقسم باللّه يا معوض لو لمسته ما أنا سايبك!

توقف معوض عن هجومه بغتة، كهاتف نزعت بطاريته، ليصيح صالح مجدداً:

. مش كل ما عيل ييجي القسم ألاقيك بتجري وراه يا معوض، حضانة هي؟

اعتذر معوض بوجه معترض، ثم عاد لأمير ليجده قد فرغ من كتابة اسمه في الدفتر بالفعل. ترك أمير القلم. كان غريبًا أن ينشغل أمير بالكتابة في وسط العراك، لكنه كان قد استغل العراك ليرسم شيئًا ما، في ورقة بيضاء تخص أجندة كبيرة الحجم، بجانب الدفتر.

بعدها بنصف ساعة اكتشف صالح رسمًا ما في الأجندة، كان ساعتها يتابع شيئًا ما في التلفزيون حتى رآه.

كان الرسم يظهر تخيلًا مبدئيًا للدورين الأول والثاني، وغرفة الحماية، ومسار أيوب ما بين الغرفة التي نامت بها زوجته، مرورًا بغرفة الحماية، نهاية بالصالة

الكلاسيكية والساعة ذات صوت العصفور. الرسم كان مصحوبًا بالتوقيت، مكتوبًا بالثانية. في أسفل الرسم كتب أمير جملة صغيرة، وضعها بين قوسين: «أنا ما اتحركتش من الأوضة».

تخلص أمير من بعض متعلقاته، ودفعه العسكري إلى الزنزانة. كانت الرائحة العفنة تملأ كل شيء، رائحة أسوأ من فم معوض، وهدوء مخيف تمنى أمير أن يكسره شيء ما، وظلمة من النوع الذي لا ينقشع بالضوء.

ما إن اقتربا من الزنزانة حتى وقف عسكري آخر، نحيف له وجه متجهم، إلا أنه ابتسم ساخرًا وهو يفتح باب الزنزانة:

- «فول بورد» يا باشا؟

رد معوض وهو يفك قيد أمير:

- لأ، سرير وفطار.

ثم دفعه الأول ببعض العنف، وأغلق الباب بسرعة يحسد عليها.

في الزنزانة كان الجو حارًا، خانقًا لدرجة تجعلك تشعر أنهم يتنفسون ثاني أكسيد الكربون فقط. كان هناك مزيج من دخان السجائر والعفن، ضحكات متقطعة، وشهقات نابية، وأخرى تخرج من شاب نحيل ينام على

جانبه الأيسر، موجهًا منخاره إلى عقب الباب، لعله يظفر ببعض الأكسجين الذي ينعم به الحراس.

بلع أمير ما تيسر من ريقه، وحاول أن يهندم قميصه، كانت حركة لاإرادية، فعلها كأنه يحاول أن يقول إن كل شيء بالنسبة إليه على ما يرام، وإن نظرات عينيه المضطربة الحادة لا تعكس رعبه الداخلي.

- كام بلاطة يا زميل؟

كان صوته هادئًا، منخفضًا، مختلفًا، كأنه ألدغ في جميع الحروف، أو كأنه يتحدث بلكنة غير مصرية.

- بتكلمني أنا؟

- مش شايف حد غيرك دخل الأوتيل!

تصاعدت ضحكات بعض الجمع، لكن الظلام كان يخبئ وجوههم جميعًا، إلا أن أحدهم كان يدخن سيجارته بشراهة، تصاعد الدخان منه كشلال ماء أبيض في أرض اللاجاذبية.

- ما هو يا تشتري بلاطة، يا تركب طيارة. مفيش حد هنا بيعيش ببلاش يا زميل.

- أنا مش فاهم أي حاجة.

ـ بص على يمينك!

نظر إلى يمينه ليجد شابًا يتدلى من أعلى الحائط، تحديداً من الشباك الحديدي، ينام على سرير قماشي لافت للنظر، شيء يشبه السرير الذي يراه الرجل في إعلانات القرى السياحية، إلا أنه في التلفزيون يتدلى بين شجرتين، ولم يكن أبيض اللون.

تابع الصوت:

ـ دي الطيارة، بس دي غالية. تحت رجلك بقى ده النوم الشعبي، تشتري البلاط وتنام عليه زي ما انت عايز، إن شالله تشتري بلاطة وتنام على رجل واحدة واقف.

ـ أنا مش هاشتري الهبل ده!

قالها أمير ليصمت الجميع فجأة، صمتًا جعله يراجع جملته الأخيرة مجدداً.

ظهر من العتمة المقابلة له شاب نحيف للغاية يتقدم نحوه، أسمر البشرة، تناقصت منحنيات خصره بشكل غريب كأنها اقتربت من عموده الفقري، له شعر كثيف. ما إن اقترب من أمير حتى تسارعت خطاه، وأخفض رأسه حتى صدم به أمير في أسفل فكه كالقطار. سقط أمير أرضًا ليصطدم رأسه بباب الزنزانة. أطلق حارس الزنزانة سبة جماعية نابية ثم صمت مجدداً.

أمسك أمير رأسه وفكه وتألم لبضع ثوانٍ، ثم قام من عفرة الأرض، دهس ذراع أحد النائمين على البلاط ثم اعتذر له، ولحسن الحظ لم يحصل على عدو جديد. ترنح لبضع ثوانٍ، ثم أخرج حافظته وقام بفتحها. اعتذر للشاب النحيف، وحاول التركيز في حافظته رغم العتمة المسيطرة على المكان.

- معلش يا باشا ما اعرفش القوانين. ٥٠ جنيه كويس؟ خد يا باشا!

قالها وهو يخرج شيئًا ما من حافظته، ليقترب منه الشاب قليلًا.

صفعه أمير بقبضة تحمل كثيرًا من الغل بين طياتها.

تأوه الشاب الأسمر النحيف وطار بعيداً إثر الصدمة، لكنه أطلق شهيقًا نابيًا طويلًا، ونادى على أحد أصحابه ليساعده. بالفعل، تلقى أمير قبضة قوية في يمين فكه، وباغته شيء ما يلتف حول ظهره، لم يكن سوى ساعدي الشاب الذي نادى عليه أولًا. شعر أمير بأنفاسه المتسارعة خلف أذنه تمتزج بأنفاسه هو. شل أمير تمامًا، وأصبح في وضع مهيأ لتلقي الضربات. وبالفعل، أطعمه النحيف قبضة قوية في أمعائه. تأوه أمير ونطق اسم «صالح» لكن لم يستجب أحد، حتى الحارس، لأنه كان غير موجود، كان قد ذهب للحصول على بعض الراحة في دورة المياه.

أخرج النحيف من جيبه فرشاة معجون قد تم تعديلها ونحت مؤخرتها لتصبح سلاحًا طاعنًا فعالًا بنسبة ١٠٠ في المية.

رمق أمير السلاح على الرغم من الرؤية الضحلة، فاتسعت عيناه عن آخرهما وأراد أن يصرخ، لكنه شعر أن الوقت قصير للغاية للصراخ.

- خرّم ميتين أمه يا عساف! أنا ماسكه ما تقلقش!

ابتسم النحيف قائلًا:

- ما دام سخنت، يبقى كمل دكر!

ثم انقض على أمير ليطعنه، شيء ما أعاده إلى الخلف كالجاذبية. كانت يدًا بيضاء، ساعد أبيض أمسك برقبته وعاد بها إلى الوراء ليختنق النحيف، ويصدر صوتًا كالغرغرة، وتسقط الفرشاة المدببة من يده المرتعشة على الأرض.

- هوّ الأوتيل ده ملوش كبير ولّا إيه؟

قالها الرجل ذو اليد البيضاء وشلال الدخان يتسلل من بين أسنانه. كان النحيف حرفيًا ينازع الموت حينما أكد الرجل الذي يخنقه:

- تحب تكمل معانا في الأوتيل، ولّا نلغي الحجز يا عساف؟

حاول أمير الإفلات هو أيضًا، لكنه لم يستطع. ربت أحد النزلاء على كتف الرجل الذي يخنق النحيف، كأنه يقول له: «اتركه يا صديقي!». أكد الرجل على كلماته:

- أنا باقول تكمل معانا.

قالها واعتصر رقبة عساف قبل أن يدفعه تجاه اليمين ليسقط أرضًا، يسعل بشدة ويتحسس رقبته، يزحف على أربع لأنه لا يستطيع أن يقف مجدداً.

بعد مقاومة، ونظرة عنيدة في عيني الرجل الذي اعتصر عساف، دفع الشاب الآخر أمير أرضًا، فسقط أمير بدوره يعاني من بعض الآلام المبرحة، يتحسس الجرح الذي تسبب فيه عساف، يحبو قليلًا، يتحسس الجرح مجدداً، ثم استقر على مشطي قدميه، كأنه يصلي.

- شكراً.

قالها للأصلع ذي الساعد الحديدي، الذي رد عليه بالفتور نفسه:

- سيطر على لسانك. المرة الجاية، أنا اللي هاخرّمك!

تحسس عساف رقبته، وظل يسعل وهو يقاوم رغبة في البكاء. قال بنبرة حادة:

. واللّه لتدفع. هادفّعك التمن غالي!

ساعتها ترك أمير فكه، وتجمد وجهه. لم يرتد إليه طرفه، وظل ينظر إلى عساف، الذي رمقه بنظرة ذئب جريح، وأقسم على انتهاز فرصته الثانية.

في تلك اللحظة الطويلة، كان أمير يتذكر مقابلته مع فتاة «وينرز تريد»، يتذكر كل تفاصيل الورقة، حتى أرقام الغرف وأنواعها وأثمانها. كلمة «ثمن» كانت كل شيء.

انحنى الرجل ذو الصلعة والطول الفارع، وأمسك بالفرشاة، ومشى في اتجاه شباك السجن الحديدي، وألقى بالفرشاة منه. تابع أمير بالذهول نفسه الذي سيطر عليه وهو ينظر إلى عساف:

. شكراً ليك!

تساءل الرجل الطويل وهو ينفض يده من تراب الفرشاة:

. كام مرة لازم تقول شكراً؟

رد أمير:

. ما كنتش باكلمك المرة دي.

فالتف الرجل الأصلع برأسه، غير مصدق لما سمع، وكذلك رمقه عساف. أخرج أمير من حافظته بعض الورقات النقدية، وناولها لعساف وهو ينحني صوبه:

- من دقيقة كنت هتقتل روح. من ثانية واحدة أنقذت روح غيرها!

تردد عساف قبل أن يخطف النقود، لم يكن أحد يفهم ما يحدث، لكن أمير تابع:

- هاشتري خمس بلاطات، الباقي ليك.

*

لم ينم أمير طوال الليل، ظل جالسًا يستند بظهره إلى الحائط، يرمقهم نيامًا بعينين زائغتين، ينتظر شيئًا قد يخرج من الظلام ليجهز عليه، لربما قد يشعر عساف بأن النقود لم تكن كافية لترد له كرامته، لربما أقنعه صديقه بأن نظرية «تخريمه» قابلة للتنفيذ حينما يغفل العملاق الأصلع، كل شيء كان أمام عينيه، لكن شيئًا واحدًا كان بداخله: الكلمة التي قالها عساف: «الثمن».

تأخر عليه الفجر كثيرًا، لكن شعاعًا نحيفًا ظهر من العدم أخيرًا، لمس قدميه، منع جفنيه المرهقين من السقوط.

بعد ساعة كان النهار قد اشتد، لكن الغرفة ظلت نصف معتمة. سمع أمير صوت ضجيج وحديثًا خارج الزنزانة، ثم رأى عينين تلتصقان بالشباك الحديدي.

ثم فُتح الباب.

- تعال!

قالها عسكري نحيف لأمير، الذي لم يستوعب الأمر، ليظهر صالح من خلف العسكري وهو يلتهم فطيرة قام بثنيها.

- شكلك حبيت الأوتيل بتاعنا!

حاول أمير النهوض لكنه تعثر، ربما لم تسعفه قواه، فليلتان من دون نوم، من دون طعام، قادرتان على الفتك بأي جسد.

رد وهو ينفض عن قميصه بعض العفرة:

- بفضل «الجاردن فيو».

ثم تقدم نحوه. تابع صالح طريقه خارج ممر الزنزانة، ملتهماً ما تبقى من الفطيرة، ثم ناوله أحد العساكر كوب شاي بلاستيكيًا. قال صالح:

- سمعت إنك عملت شوية شقلبة حلوين إمبارح.

- كنت فاكر إن الموضوع على الضيق.

- مفيش حاجة بتستخبى في قسم متر في متر.

ما إن دخلا مكتب صالح، حتى جلس صالح على كرسيه الجلدي الكبير، ثم تجرع مجدداً من كوبه البلاستيكي. أخرج العسكري أصفاده المعدنية وتقدم في اتجاه أمير، لكن صالح أشاح له بيده ألا يفعل.

نظر إليه أمير متعجبًا، غير متفهم لما يحدث، ثم رمق مجدداً صالح، الذي أضاف:

- عملت دوشة انت امبارح وكنت عايز تقابلني، حد يسخن عيل مسجل خطر زي عساف، من أولها كده «نوتي».

رمق أمير المكتب من دون أن يتكلم، ثم مسح بكمه عن فكه محاولًا إزالة بعض الدماء المتجلطة. كان في حالة يرثى لها، عيناه محاطتان بالسواد، لكنهما حادتان، رأسه مطأطأ كأنه غير مهتم، ثيابه رثة بها بعض البقع والعفرة، ياقته داكنة.

- النتيجة دي ناقصة ورقة. يوم الأربع.

قالها أمير بصوت محشرج، اتضح منه حاجته إلى النوم. صمت صالح للحظات وقال أخيراً:

- باحب أخش بسرعة عالويك إند، ها. كنت عايزني ليه؟

- إنت اللي عايزني، إنت اللي عايز تطلعني بره.

- بالعكس، ده انت هتطوّل معانا هنا. خصوصًا بعد ما الماضي الطبي بتاعك نط من العلبة زي العفريت.

- اللي نط من العلبة زي العفريت إنت شُفته في السنتر.

همهم صالح ونظر عن يمينه وهو يقول:

- الاتجاه الماشي دلوقتِ، إننا نحولك على دكتور تبعنا، وبعدين نبت في أمرك، والاختيارات كلها مش هتعجبك، بس أنا عندي اقتراح أحلى بكتير، مش هيخلي اسمك ينزل في الجرنال، ولا هيرفدك من شغلك، ولا حتى هيخلي حاجة شمال تتكتب في الفيش بتاعك.

- أنتحر مثلًا؟

عاد صالح برأسه ليواجه أمير وهو يرسم نصف ابتسامة قائلًا:

- مش انت الراجل اللي يعمل غلطة زي دي… اقعد استريح!

- مريض الاكتئاب أول عارض بيمر بيه هو الرغبة في الانتحار، نسيت ولّا إيه يا باشا؟ ده انا مريض سابق.

- برضو، مش انت الراجل ده.

- الحل؟

- دكتور بفيزيتا.

- بس أي دكتور خاص ممكن يضربلي تقرير إني سليم.

- مش هيحتاج يزور.

قالها بصوت هادئ للغاية، ثم أضاف:

- إنت مش «سايكو».

ابتسم أمير نصف ابتسامة وهو ينظر عن يمينه، ثم قال بنبرة ساخرة:

- من يومين بالظبط كنت بافطر مع روس قطط ودباديب، مفيش «سايكو» أكتر من كده!

حرك صالح رأسه إيجابًا مرتين، كأنه يجهز ردًا ما، ثم ضحك وأكمل:

- التقرير ده يكون عندي خلال يومين تلاتة بالكتير.

- عملت إيه بالورقة؟

تجاهل صالح كلماته وتابع:

- هتجيبلي التقرير هنا، هامضي على ضمانتي. هتتشال المراقبة اللي عليك، وتكمل حياتك عادي، أي كنافة هتحصل إنت هتلبسها. أنا حذرتك أهو!

أخرج من درجه بعض الفول السوداني، ألقى بعضًا منه في فمه قائلًا، وهو يلتهم الكتلة التي رماها للتو:

- أنا اللي اتصلت بصاحبك بالمناسبة، هيضمنك وهتروح. أمير، أي حد تاني في مكاني ما كانش هيفرق معاه إنت مين ولا إيه حكايتك، ولا ظروف الحاجة والدتك، كان هينضف ودانه من أي خرا هيسمعه من مديره، وهيمنع عن نفسه أي خرا هيحصله من السفارة، كان هيفسخك في الحجز ١٥ يوم لحد ما تورم، وبعدين تتعرض على النيابة، ومن هناك على العباسية. لكن أنا...

لكن أنا حاسس...

قاطعه أمير:

- حاسس بظروفي؟

ابتسم صالح، وتوقف عن مضغ السوداني لثانيتين، ثم هم بقول شيء، لكن طرقتين على الباب أوقفتاه:

. في واحد اسمه كرم عبد اللّه بيقول إنه كلم سيادتك في التلفون، وبيقول...

لوح صالح بيده:

. هاته يا حسن.

ثم عاد ليلقي بعض السوداني في فمه مجدداً، مصدراً بعض الصوت، كان أشبه بصوت طقطقة الحديد والعظام تحت جنازير الدبابات بالنسبة إلى أمير، بينما كان الضوء أشد تأثيراً من الحريق بالنسبة إلى عينيه. كان أمير يشعر أنه نصف حي في تلك اللحظة، وبداخله إحساس سيئ كالموت.

. سعادة الباشا، أهلًا!

انحنى كرم بطريقة مبالغ فيها وهو يصافح صالح، الذي نفض يديه وسلم عليه من دون أن يقف. أغلق الدرج أمامه وقلب يديه بعضهما في بعض، ثم صفعهما وقال:

. طيب، هتمضي يا كرم وهتاخد أمير وتخليه يريح أعصابه يومين كده، وهتجيبهولي تاني بعد يومين

نطمن عليه. أمير اتفق معايا على كل حاجة، صح يا أمير؟

قام أمير من فوق كرسيه بصعوبة، متكئًا على ذراعه اليمنى، كأنه يدفع الكرسي إلى الأسفل. ظهر عليه إعياء لم يره عليه كرم من قبل، ولكن الأخير فضل ألا يسأل عما حدث لأمير، حتى لا يتم الشرح له عمليّا.

- حصل.

قالها أمير بعدما استقر أمام المكتب، ثم أكمل مادّا يديه:

- الورقة بعد إذنك.

- ورقة إيه؟

- إنت عارف.

- مفيش ورق.

- أنا محتاجها.

- رميتها في الزبالة.

رمق أمير سلة القمامة ليجدها فارغة. قال:

- فاضية.

- عوض رمى الزبالة، واتفضل بدل ما أرجع في كلامي، أنا فاضلي ثانية بالظبط وأعقل.

عاد أمير بيده مرة أخرى جانبه وهم بالرحيل متعكزًا على كرم، قبل أن يمر من الباب أوقفه صوت صالح:

- أميرا!

توقف أمير واستدار برأسه.

- المفروض تشكرني!

حرك أمير رأسه إيجابًا وقال بصوت متحشرج:

- ألف شكرا!

١٨

ـ وبعدين، ممكن أفهم جايبنا هنا ليه؟

قالها وهو يشير لتاكسي أن يتوقف، لكنه تابع طريقه.

رد عليه ـ أي على كرم ـ صمت مجحف، فلم يكن أمير يفعل أي شيء سوى أن يرمق الفيلا من على الشارع المقابل. كانت عيناه لا تطرفان، ممسكًا بإحدى ذراعي شنطة ظهره الداكنة، إلى أن تركها تسقط بجانب بنطاله الموحل، وحذائه المغطى بالعفرة والطين.

ـ لو عندك شك ١ في المية إني هاسمحلك تخبط عليه، مجرد تخبط عليه، مرة تانية تبقى غلطان، الموضوع دلوقتِ عدى مرحلة المخاطرة و«الريسك» يا صديق، دخل في مرحلة تدمير.. شغلك، مستقبلك، أمك! عمرك ما فكرت فيهم للحظة واحدة؟! ودلوقتِ أنا كمان ماضي تعهد، هتاخدني في سكتك أنا كمان! لأ عادي. كله عشان خاطر واحدة محدش...

رمقه أمير ساعتها بنظرة باردة، أظهرت جفنيه العلويين مطليين بزرقة واضحة، يشع من عينيه الناعستين إجهاد رجل عاش لألف سنة من دون أن ينام، وسواد باهت أحاط عينيه جعل وجهه أقرب لوجه باندا.

عدل كرم من نهاية الجملة الأخيرة:

- لو الموضوع وصل لإني أوقفك بالدراع هاعمل كده، وربنا يستر بقى.

قالها وبلع ريقه وهو ينظر إلى أمير. رفض عقله ساعتها تخيل المصير لو تورط في عراك مع أمير، على الرغم من الفروق الجسدية بينهما، فهو يعلم أن الأمر سينتهي به ملقى على الأرض في بضع ثوانٍ، بغض النظر عن حالة إنهاك أمير أو إعيائه.

انتظر أمير أي رد فعل، لكن الصمت استمر، صوت السيارات المسرعة وإضاءة الظهر الحادة، مع بعض الرياح المضطربة، وشغفه بالنظر إلى الفيلا.

مسح أمير بظهر كم قميصه فوق عينيه، ثم فوق يمين فمه، وقال بصوت متحشرج، كأنه يفكر بصوت عالٍ:

- البنت لسه جوه.

فرد كرم ذراعيه ومشى بضع خطوات معطيًا ظهره لأمير، كأنه يناجي اللّه بخيبة أمل، ثم استدار حول نفسه محدثًا نفسه بنبرة غضب، وركل الهواء صارخًا:

- باكلم نفسي! أنا عارف إني باكلم نفسي. أنا هتصل بصالح باشا!

في تلك اللحظة أدار أمير رأسه، وألقى عليه نظرة أخافته كثيرًا، لكنه سرعان ما عاد إلى مشاهدة الفيلا مجددًا، بدون كلل.

ـ طبعًا، لو قلتلك إنها لسه جوه ونبدأ الدايرة من أول وجديد، أبقى تمام، لكن لو فوّقتك أبقى كخة! أنا ما باحبش طريقة تفكيرك! إنت عنيد زي الحيطة! طيب افرض إنها جوه، هتخش ازاي أصلًا؟ تقدر تقولي هتقنع صالح...

عندها أخرج أمير شيئًا بلاستيكيًا أبيض من جيبه، كان يخفيه بين طيات كفه اليمنى، ثم فتح يده ليتوقف كرم عن الحديث. كان الريموت الذي سرقه «آندي». ساعتها، رمقه أمير بنظرة مدمن أخفى في جيبه بعض المورفين لوقت الحاجة، نظرة علم بعدها كرم أنه لن يثنيه عن قراره بسهولة.

ـ هات البتاع ده!

قالها كرم بوجه غاضب لم يره أمير من قبل.

تهجم كرم ـ للمرة الأولى ـ على أمير، الذي قاوم ولكمه في كتفه مرتين، لكنه لم يستطع تمالك اتزانه إثر اندفاع كرم الزائد، وسقط معه أرضًا. تحامل كرم على نفسه وتقبّل لكمات أمير، كان كرم فوق أمير، يحارب ليصل لقبضته، ويد أمير اليمنى تغوص في وجه كرم،

كأنه قارب على غرس أظافره الطويلة في لحمه، يسبه ويتوعده بموت قريب، إلى أن أمسك كرم بساعد أمير وخبطه مرتين فوق الرصيف ليسقط الريموت من يده اليسرى في الشارع، وتدهسه سيارة مسرعة.

تحول إلى أشلاء في جزء من الثانية.

توقف الاثنان عن العراك متجمدين، يرمقان بقايا جهاز التحكم الذي تحول إلى جزيئات صغيرة. توتر كرم وقال كلمات متسارعة لم يسمعها أمير، الذي زام بغضب بالغ، ثم أمسك برقبة كرم حتى أطبق عليها أصابعه، وبدل الوضع حتى أصبح هو من فوقه. أطبق على أسنانه وصرخ صرخة قصيرة.

- هنكلم آآ... نكلم «آندي» يجيبلك واحد م... مكانه. هكلمه والله... تـ... تـ...

أمسك أمير بصخرة كانت بجانبه وصرخ مجدداً، ليعاود كرم حديثه المتقطع المرتعب:

- والله هاكلمه، إديني فرصة بس! أميرا اعقل أرجوك! هاكلمه أول ما يفتح موبايله... آآ...

ساعتها هوى أمير بالصخرة فوق رأس كرم، لكن كلمته الأخيرة أوقفت يد أمير قبل الارتطام بسنتيمترات قليلة.

- موبايله مقفول من إمتى؟

قالها أمير وهو يلهث، ثم بلع ريقه.

ـ غايب بقاله تلات أيام، الضوي هيفشخه لما يرجع! على طول مغلق أو غير متاح.

ارتخت يد أمير بجانبه على مرحلتين، وأشاح بوجهه بعيداً غير مصدق. كانت عيناه متسعتين لا تغلقان، وفمه فاغراً، ألقى بالصخرة بجانبه، ثم تنحى من فوق كرم الذي تنفس الصعداء.

اعتدل كرم على الرصيف ينظف ثيابه من العفرة والطين وهو يلعن بصوت خافت، بينما عاجله أمير:

ـ قصدك ميت أو غير متاح.. «آندي» راح خلاص!

ـ آآه، دلوقتِ بقى فقرة البحث عن «آندي»، صح؟

ـ الغبي، حذرته!

تمتم بها أمير متجاهلًا كرم، ثم وقف مترنحًا، أضاف وهو ينفض كفيه:

ـ في اللحظة اللي بتستهتر فيها بذكاء عدوك، بتخسر كل حاجة!

ثم مد يده لكرم، الذي وقف وهو يتأوه من بعض الآلام في ظهره:

- عدو إيه وحرب إيه؟ أنا عندي انزلاق غضروفي على فكرة.

أشار أمير لرأسه وتابع بنبرة عصبية:

- الانزلاق اللي عندك هنا مش في ضهرك، هنا! في بنت ممكن تكون خسرت آخر فرصة ليها في الحياة، بسبب غبائك... إنت تصلي ركعتين شكر إني مش هاقتلك!

- ليه لأ؟

- ليه لأ إيه؟

- ليه مش هتقتلني؟

- الريموت اللي انت كسرته كان هو الطريق الوحيد اللي هيعرفني لو كانت عايشة ولّا لأ. افرض قتلتك وطلعت ما ماتتش!

قالها أمير وتحسس على شفته التي بدت تنزف لسبب ما.

- لا أصيل يا برنس بصراحة!

عدل كرم من بنطاله ثم تابع:

- إنت مجنون رسمي، إنت عارف إيه عقوبة إنك تقتحم بيت مش بتاعك؟ حد قالك قبل كده إنه لو قتلك وانت

جوه البيت، البوليس هيعتبره بطل شعبي قتل مجرم اقتحم بيته؟

. وانا باعتبرك بطل عبيط قتل بنت بغبائه!

. مفيش بنت، صدقني! مفيش... بنت. تاكسي!

قالها وعاد ليشير إلى الشارع مجدداً.

. طيب، سؤال واحد: فين «آندي»؟

همس بها أمير لكرم الذي رمقه لثانية، ثم رفض أن يجيب.

مال كرم بوجهه، ثم رد ساخراً وذراعه لا تزال معلقة:

. عند البنت.

كانت المفاجأة أن أتوبيساً توقف تلك المرة وليس سيارة تاكسي، أشار السائق له أن يسرع.

استقر كرم وأمير في الأتوبيس، بالتحديد في الجزء الخلفي منه، أمام الباب الذي يغلق ويفتح أوتوماتيكيّاً. كان أمير يعاني من شرود واضح، وقف مواجهاً بوابة الفيلا، فاغراً فاه الصغير، وجفناه الزرقاوان لا يتلامسان.

- أنا مش خط سيري المعادي أصلًا، بس وقفتلك عشان مش هتلاقي تاكسيات هنا.

قالها السائق بصوت عالٍ أقرب للصريخ، ليشير له كرم بترحاب ويقدم له كثيراً من عبارات المدح.

كان بابا الأتوبيس قد قاربا على الإغلاق مجدداً، حينما فُتح باب الجراج الأبيض للأعلى بهدوء يُحسد عليه.

ساعتها ظهرت سيارة أيوب المرسيدس الطويلة، تخرج مختالة كالطاووس. ولسبب ما، لمعت عينا أمير، وتوقف عن التنفس.

- ادفعله عشان معييش فكة.

قالها أمير بنبرة هادئة، أخافت كرم، كان يقصد السواق، وكانت عيناه لا تزالان على سيارة أيوب، التي خرجت بالكامل خارج الجراج.

- إنت تستنى هنا، ما تتحركش!

قالها كرم محذراً بسبابته، واتجه إلى السائق.

ساعتها حرك أمير رأسه إيجابًا، وأصدر باب الأتوبيس الأوتوماتيكي صوتًا أشبه بالصفير، وبدأ بالإغلاق، بينما تحركت المرسيدس مبتعدة بسرعة كبيرة، وبدأ باب الجراج في النزول مجدداً.

بعد مرور ثانيتين صاح أمير مخاطبًا كرم، بعد أن علا صدره وانخفض نتاج لهاث سريع:

- كرم، ركّز على المرسيدس!

كأنه قرر أن يقفز من فوق جبل، كأنه أراد أن يقفز من طائرة داخل محيط.

قفز من باب الأتوبيس قبل أن يغلق، تاركًا شنطته بداخله. بدل بقدميه في الهواء إثر قفزته الكبيرة، وما إن لامست أطراف قدميه الأسفلت، حتى انطلق كالسهم. شق طريقه في الشارع لدرجة جعلته يشعر بجسده يشق الهواء نصفين. مرت سيارة مسرعة حاد سائقها قبل أن يصدمه، مصدرًا نفيرًا حادًّا. كان باب الجراج قد قارب ساعتها على الإغلاق، بدا الأمر مستحيلًا، فبين الباب الأبيض والأرض ما يقرب من متر واحد فقط ويتناقص بسرعة كبيرة ومخيفة. كان الباب صامتًا، كأنه يغريه أن يحاول، فيطبق عليه وينهيه، إلا أنه تابع الركض كأنه في أفضل حالاته. ساعتها تقلصت المسافة لنصف المتر فقط، بدا عرض الشارع في تزايد وباب الجراج في تناقص، إلا أنه ضغط على كل مفاصله وعضلاته ليسرع قليلًا، ثم قفز في الهواء، ومال بجذعه إلى الخلف، كأنه يحاول أن يمنع الباب بقدميه، ثم نزل على الأرض، وانزلق تجاه الباب. بالفعل عبرت ساقه أولًا، ثم زجت بباقي جسده قوة الدفع لينزلق باقي جسده، وأخيرًا مر رأسه لكنه ارتطم بالباب.

فتح عينيه ليجد نفسه في مكان مظلم. لقد فعلها، لقد أصبح في الداخل.

لم تكن إصابة رأسه هي الوحيدة، فهبوطه على كتفه كلفه شرخًا، إصابتان جعلتاه يتأوه، لدرجة أنه خبط أربع مرات بيده على الأرضية وهو يكتم صرخاته، لقد كان الأمر أكثر ألمًا من كوابيسه.

أخرج هاتفه بيده اليمنى السليمة، وضغط بسرعة على زر الاتصال السريع، رد كرم بصوت يملأه الهلع:

- يا ابن المجنونة! إزاي؟!

- ركِّز على المرسيدس بسرعة، لو هدى السرعة أو وقف قولي!

جرى كرم وأخرج رأسه من الشباك، متابعًا المرسيدس التي تابعت طريقها، ثم حادت إلى اليمين واختفت.

- لا، كمِّل طريقه. أمير، إنت قضيت على نفسك بكل بساطة!

- مفيش وقت، خلي «بان» تكلمني، قولها مسألة حياة أو موت.

قالها وأغلق الخط.

ضبط هاتفه على الوضع الهزّاز، ثم ضغط على زر فيه جعل فلاش الكاميرا يعمل دائمًا كالمصباح الكهربائي، وبدأ في استكشاف المكان.

كان الجراج داكنًا، يعتريه الصمت، باستثناء صوت عقارب ساعة لا يعلم مصدره. هناك رائحة مكتومة تبدو كالعفن، كأنها نوع من الأزهار لم تتم تهويتها منذ سنين حتى ماتت. صدم سيارة فولفو، وصرخ لثانية صرخة ذعر، وتجمد منتظرًا أي إنذار محتمل لكن السيارة كانت متواطئة لدرجة مرضية. تنفس الصعداء، وأطلق زفيرًا طويلًا ومرر يده فوقها شكرًا، ثم تابع توجيه ضوئه يمينًا ويسارًا، ثم وضع أصابعه على مصدر الضوء ليكتمه، كأنه يريد قليلًا من الضوء فقط، حتى لا يتطور الأمر إلى نهاية مأساوية.

اقترب من الباب الداخلي للجراج، يلهث بحثًا عن الهواء، يجر جسده المنهك، واضعًا يده فوق كتفه المصابة بعدما مسح بعض الدماء من كدمة رأسه. صداع مرير لا يريد أن يتركه وشأنه، كتم صرخة ألم وضغط على عينيه وأغلقهما حتى اعتصرهما. ثم أخيرًا ألصق أذنه بالباب.

لا صوت بالخارج، الأمر هادئ. لا بد أن الحظ قد وقف بجانبه تلك المرة.

لم تمر ثانيتان هادئتان في الحديقة الخارجية، حتى سقطت ورقة من تكعيبة العنب الخضراء الطويلة في الممر الواصل بين الجراج وباب الفيلا المغلق، وفتح باب الجراج على مرتين: المرة الأولى نظرت عين أمير اليمنى، لقد كان الأمر سهلًا لينًا، فتح الباب عن آخره، وانطلق يجري ناحية باب الفيلا الداخلي، لم ينظر إلى الكاميرا وهو يركض، كأنها لن تراه لو لم يرَها.

كان الباب مغلقًا، لم يحتج أمير أكثر من بضع ثوانٍ حتى يوقن أن دخوله من هذا الباب مستحيل. ركض حول الفيلا لعل الباب الخلفي متاح. بالفعل، لم تخيب الخادمة ظنه، فقد تركته نصف مغلق، وما إن دفعه حتى أصبح داخل المنزل فعليًّا.

كان هناك تلفزيون صغير في المطبخ الجانبي، به لقطات لإعلان عن فيلم السهرة، شيء عن مصاصي الدماء، ورجل يشرح بصوت خشن قصة الفيلم الدموي.

وأمير يمشي الهوينا ممسكًا بذراعه، كانت هناك بضع أوانٍ مغطاة يخرج منها بعض البخار، لا بد أنها قد فرغت من الطهي للتو، أو أنها على مقربة، كذلك فكر أمير.

ما إن فتح باب المطبخ الداخلي، ووطأت قدماه الفيلا حتى تحرك شيء ما، شيء مزعج أفزعه كالموت، لم يكن سوى هاتفه المحمول يتحرك بعدما اتصلت به «بان». تنهد وأخرج الهاتف من جيبه وسماعاته السلكية

من الآخر، ثم وصّل السماعة بالهاتف وداس على زر الرد، ساعتها توقف الهاتف عن الاهتزاز، ولكن قناة الأفلام لم تتوقف عن الإعلانات.

- إنت رايح في ستين ألف داهية!

اتجه أمير إلى زاوية التلفزيون وهو يهمس:

- تقدري تنقذيني، محتاج وقت، بأي تمن.

- ومين قالك إني بابيعه؟

- كمبيوتر شامل، برنامج «النتورك»، لازم تعرفي مكان أيوب قبل ما يوصل لي!

- إنت عايش في «اللالا لاند» يا أمير، مستحيل أقدر أوصل هناك أصلًا، ولو وصلت شامل مش هيساعدني، بالعكس.

- مش مهم شامل، أنا عارف إنه علمك مرة إزاي تستخدميه.

- مش باقولك إنك مش عايش معانا؟ أولًا الكلام ده من سنين وعملتله «دليت» من دماغي في ساعتها، ثانيًا.. إنت مجنون، ترمي نفسك في البحر وبعدين تفكر في الـ...

- هتتخلي عني؟

- إنت اللي اتخليت عن نفسك!

قالتها وأنهت المكالمة، ثم حركت قدمها مرارًا وتكرارًا وهي تنظر إلى شاشة الحاسب أمامها. ما إن مرت ثانيتان أخريان حتى جزت على أسنانها، وطفقت تصفع هاتفها على سطح المكتب وهي تصرخ، حتى شرخت شاشته.

ظهرت رؤوس أقرانها من خلف الحواسب الأخرى، كلٌّ يرتقي برأسه ويرمقها فاغرًا فاه، كلٌّ طلب من عميله أن يعطيه ثانية، لكن «بان» كانت قد اختفت للتو، تاركة سماعتها السلكية تتدلى فوق المكتب، متصلة بالحاسب.

كانت تمشي بسرعة كبيرة، تداريها تنورتها الطويلة. ألصقت بأذنها سماعتها اللاسلكية، وعلى وجهها نظرة لم تخفِ غضبها المنفجر.

*

بالعودة إلى الفيلا، كانت خطوات أمير بطيئة كأنه يمشي فوق زجاجٍ مكسور، إلا أن خشب الأرضية كان لا يزال يطلق صريرًا، كان أمير يشعر به كأنه يخرق كل خلايا جسده. ما إن اقترب من السلم الفاصل بين صالتي

المعيشة واستقبال الضيوف، حتى رأى بابًا مغلقًا بجانب المطبخ، بدا له أنه مكان نوم الخادمة. اقترب منه رويداً، ثم مال لينظر من ثقب المفتاح. لقد كانت غرفة الخادمة بالفعل، وهي نائمة ومغطاة بملاءة فاتحة اللون، وبجانبها اشتعل بخور يخرج منه خيط رفيع متقطع.

تراجع أمير مسرعًا في اتجاه المطبخ، وحصل على كرسي مناسب للفكرة التي دارت في رأسه، حمله وتوجه إلى باب الغرفة، ووضعه في وضع مائل، وترس رأسه في مقبض الباب كي يستحيل فتحه بعد ذلك، ثم توجه إلى السلم. ساعتها أصدرت الساعة صوتها المميت، صوت العصفور.

ما إن وصل إلى الدور الثاني، حتى سمع صوتًا واضحًا للزوجة «بولا»، تتمتم بكلمات غير مفهومة بالإنجليزية، كأنها تغني. كان يعلم أنها قد تصرخ لو رأته، فركض حتى اختفى في غرفة المعدات.

انتظر حتى نزلت من على السلم، حركتها الوجلة المتثاقلة المبالغ فيها، كأنها تحتاج إلى عام. تستند بذراعها ذات الشحم المتدلي على السلم الخشبي، وتحرك رأسها مراراً وتكراراً. تختفي رويداً. للحظة ما تذكر أمير أمه، إلا أنه فكر أنها ليست خرقاء مثلها.

بعد دقيقتين، اختفت تمامًا، وأمير يراقبها من داخل الغرفة، فقط عينه لم يخفها الظلام.

عند بوابات مبنى «ريد فون ا»، خرجت «بان» مسرعة وهي تلعن وتسب بتعبيرات وجهها المتجهم، وليس بلسانها.

ما إن خرجت من المبنى حتى رأت ذلك المخبول مجدداً، يمر من أمام المبنى، لم يكد يراها حتى هدأ من سرعته، كان ينتظر أن تمر حتى يبدأ لعبته المعتادة، لكنها وقفت، ولملمت قبضتها، كأنها تريد أن تطعمه بلكمة تخترق معدته. لم يكن هناك وقت، أخذت قرارها ومرت، إلا أنه أخذ قراره ليثبت جديته بدوره، فثارت السيارة كالثور ليخيفها، ولكنها لم تتوقف. صدمها، وطارت في الهواء، وسقطت بعيداً.

أطلقت إطارات سيارته صريراً مفزعاً جعل الجميع يركضون نحوها، إلا أن منظر زجاج سيارته المهشم، و«بان» الملقاة على الأسفلت، جعل بعض الشباب يشتبكون معه لفظيّاً. واتجه رجلان نحو «بان» ليتفحصاها، لم يتطور الأمر مع الشاب المخبول حتى حصلت المفاجأة: وقفت «بان» على قدميها بصعوبة، والرجلان يسألانها باهتمام واضح عن حالتها، لكن أذنيها كان بهما شيء من الصمم. قامت كأنها مصنوعة من الفولاذ، كأنها بطل أسطوري في سلسلة قصص مصورة. كانت عظام فخذها اليمنى وركبتها تؤلمها كالجحيم، لكنها نظفت قميصها وتنورتها الرصاصية من غبار الأسفلت، ثم بدأت تتضح لها كلمات الرجلين، فقاطعتهما وهي تشير إليه:

- حاول يخبطني مرتين.

ثم التقطت المج الحراري من الأرض وتابعت:

- دي المرة التالتة!

قالتها وصمت الشباب المشتبك مع المخبول، إلا أن أحدهما أمسك به من ياقته، وناوله الآخر قبضة ألقت بنظارته بعيداً.

المثير في الأمر أن «بان» تابعت مشيها للمبنى ٢، والأكثر إثارة أنها حاولت أن تخفي الإصابة بكل ما أوتيت من قوة، فأصبحت مشيتها أبطأ ولكن اختفى جزء كبير من علامات الإصابة، فهي الآن تتعكز بنسبة ٣٠ في المائة فقط، تحتاج أن يراقبها شخص ما ليعلم أنها قد نجت للتو من حادث مميت مزق رجلها اليمنى.

تجاهلت صريخ الرجلين بأنها يجب أن تنتظر الإسعاف وتابعت مشيها. طلبت رقم أمير على الهاتف ووقفت أمام البوابة الزجاجية للمبنى. مسحت بإصبعها دمعة خانتها من عينها اليسرى، حاولت أن تمنعها من أن تُسيل كحلها. ما إن رد أمير حتى فتحت البوابة أمامها:

- أنا جاهزة.

قالتها ليتنفس أمير الصعداء. لقد كان قريبًا من غرفة الحماية في تلك اللحظة.

- كنت عارف.

رد وبلع ريقه وهو يقف أمام المرآة، في اللحظة التي انتصب كثير من شباب المبنى ٢، يتهامسون فيما بينهم عن الأسطورة التي أمست حقيقة، «بان إمام» تدخل المبنى ٢، بكامل قواها العقلية، تتجه صوب مكتب شامل الذي ظهر من العدم وتقدم نحوها، مبتسماً ابتسامة المنتصر وقت التتويج.

اقتربت منه فتاة تحمل في يديها ملفًا ما، فأشار لها أن تبتعد، ووقف في انتظار «بان» التي قاومت رغبة كبيرة في الصراخ، من ألمها الجسدي الذي تخبئه، ورغبتها الدفينة في لكمه في فمه لتمحو ابتسامته.

- أخيراً؟!

ابتسمت «بان» ووقفت لأنها لم تستطع أن تجر قدميها لمتر آخر من دون أن تنكشف، ثم مدت يدها بكوبها الحراري قائلة:

- هاحتاج قهوة عشان أعرف أتخانق معاك براحتي، هاستناك في المكتب.

سيطرت ابتسامة عريضة على وجه شامل الذي أومأ برأسه طربًا، ثم مال وأمسك بالكوب الحراري قائلًا:

- نورتي مكانك!

- عارف أنا باحبها إزاي؟

قالتها تقصد القهوة.

- ما اقدرش أنسى. استريحي في المكتب.

*

اتجه شامل في طريقه كالبرق، وتابعته «بان» بابتسامة حانية، ثم شرعت في جر قدمها حتى دخلت المكتب، وأغلقت الباب وأدارت مفتاحه المعلق ليصبح موصداً.

كان كل ما يحدث على مسمع من أمير، الذي حرك المرآة، وتجمد أمام لوحة الأزرار. لم يتجمد لأنه نسي رقم المرور، بل لأنه كان يستمع إلى ما تقوله. أراد أن يمد يده في تلك السماعة فيمسك برقبة شامل تلك المرة، لكنه يعلم أن حياته قد تعتمد على ما تفعله «بان». وما الجديد في ذلك؟

ألقى بالأرقام التي حفظها عن ظهر قلب عندما كان هنا آخر مرة، ٦٨٩٤. كانت ملاحظة الأرقام أمراً شبه مستحيل لأي شخص، بسبب حركة أصابع أيوب السريعة, لكنه ليس مستحيلًا بالنسبة لشخص مثل أمير.. الذي تمنى ألا يكون أيوب بالحرص الكافي ليغير كود المرور.

بالفعل أصدر الباب المعدني ذلك الصوت. أمسك بيده اليمنى، غير المعطلة، مقبض الباب قائلًا:

ـ أنا في الأوضة. الوقت بيجري. ألو... الصوت بيقطع!

في اللحظة نفسها كانت أنامل «بان» تنساب فوق لوحة مفاتيح حاسب شامل المتاح أمامها، في حين توقف أحد المارة من خلف زجاج الباب ـ أوقفه منظر غير تقليدي لفتاة تعبث بأهم حاسب في المبنى.

ـ باحاول، باحاول!

ما إن أدار أمير مقبض الباب حتى شعر أن شيئًا ما ليس على ما يرام. تملكه إحساس غريب بالندم لا يعلم مصدره، لكنه تقدم إلى الداخل.

كانت الغرفة معبأة بالرائحة المقززة نفسها، وعديد من القطط في الزاوية اليسرى منها تجمعت فوق جرائد مفرودة بشكل عشوائي، ربما ألقي ببعض الطعام فوقها. لم يحاول أن يتحقق، وتابع طريقه في الغرفة الفارغة ـ كأن فراغها لم يصدمه ـ إلا من بضع قطط اعترضت قدميه، فتأكد أنه لن يدهسها.

قال وهو يغطي وجهه بذراعه اليمنى من أثر الرائحة:

ـ «بان»! لو هتعرفي مكانه لازم يبقى دلوقتِ، أيوب ممكن يقتلني بكل بساطة.

قالها واختلس النظر خلفه، ففكرة أن ظهره معرض لطعنة مثلًا من أيوب، تؤلمه أكثر من الطعنة نفسها.

. في خطوة ناقصة، مش عارفة، أمير سيب الفيلا بسرعة! مفيش حاجة تستاهل إنك تعرض حياتك لخطر!

ردت ونظرت عن يمينها لتجد أن الشخص قد أصبح خمسة أشخاص، وسادسهم كان شرطي الأمن مشهرًا سلاحه، يصفع زجاج الباب حتى اهتز، وأخيرًا حضر شامل ممسكًا بالقهوة، وفي عينيه نظرة تتحدث عن الخيانة.

اقترب أمير من شاشة التلفزيون التي تصور ما يحدث في الخارج، ثم أمسك طرف الشاشة بيمناه، وسكن لثانية، ثم أغمض عينيه، وعصف بها مطلقًا زئيرًا ينم عن جهد وألم، فسقطت الشاشة أرضًا، محدثة بعض الشرز الكهربائي، وفي مخيلته ما حدث في السجن:

«هادفّعك التمن غالي!».

«من ثانية واحدة أنقذت روح».

«فتاة «وينرز تريد»».

«في أوضتين بس تمنهم أعلى من الأوض التانية».

«سوبر ديلوكس أي إكس».

«إكس هو اختصار لـ«إكستنشن»»!

هناك غرفة أخرى...

داخل الغرفة!

بالفعل ظهرت أمامه لوحة مفاتيح جديدة، ظهرت من خلف شاشة التلفزيون التي ألقاها أمير أرضًا. وقف أمير يقاوم دمعاته المتساقطة في صمت، بذراع يسرى نصف معطلة، وجرح في رأسه يؤلمه بلا كلل، وبجواره قطط تلهو فوق بعض الجرائد، تلعق شيئًا ما، ومن حوله هواء نتن.

قال وهو يجفف وجهه:

- «بان»!

ردت «بان» وهي تلهث، وأصابعها تتسابق فوق لوحة المفاتيح:

- أنا عرفت المشكلة فين. بادخل رقمه خلاص!

نظرت إلى يمينها لتجد الشرطي قد توقف عن صفع الزجاج، فيما عاد شامل بمطفأة حريق، وبعينيه نظرة شر لم ترها من قبل.

- «بان»! كنا غلط من الأول، ما كانتش أوضة واحدة. «بان»، سامعاني؟

قالها أمير وضغط ببطء على رقم الدخول الخاص بالغرفة الرئيسية، لكن الباب لم يصدر صوتًا ينم عن أنه قد فُتح، لا بد أن الرقم خاطئ. تذكر أمير الرقم الأساسي للغرف، الذي تحدثت عنه الفتاة في «وينرز تريد»، وأدخله، ١٨٠٠، فشعر بشيء يتحرك عن يساره تلك المرة، وتجمدت ملامحه.

كانت «بان» تنتظر أن يُحمَّل شريط البحث عن موقع الهاتف، تصفع المكتب بقبضتها مرارًا، كأنها تحثه على أن يسرع، وقد قارب الشريط على الانتهاء، ولكن صوتًا ما صدر عن يمينها أخافها حتى الموت، صوت زجاج الباب ينكسر، فقد هشمه شامل تمامًا ومد يده، محاولًا الوصول إلى المفتاح. وبالفعل أمسكه، وفتح الباب.

لم يكن أمير يعلم بما يشعر عندما وجد أن الجرائد التي تقف فوقها القطط تتحرك، لكنه شعر أن قلبه توقف، وأن هناك قشعريرة مفزعة في كل خلايا جسده بدأت من ظهره، إلا أنه، بعدما أدار وجهه نحو الجرائد، قرر أن يقترب منها ويرى ما تحتها.

دفع بقدمه بضع قطط تلعق من الأرض، تبين أنه من لون الأرضية الحمراء القاتمة نفسه، كأنه دماء، أو شيء ما متجلط على الأرض، واتضح أن هناك شيئًا ما تحت

تلك الصفحات. رفع بضع صفحات بغتة، وكان الأمر صعبًا...

. «آندي»!

صاح بها أمير وهو يرى جسد «آندي» ممددًا، فمه الفاغر ظهر من تحت الجرائد التي غطت وجهه، ويغطي جسده كثير من الدماء، سالت منه حتى خرجت من أسفل ساقيه وذراعيه، التي ثُقبت (حرفيًا) بمسامير طويلة امتدت من فوق جسده حتى غرزت في خشب الأرضية الداكن. لقد كان مثبتًا في «آندي» ما يقرب من خمسين مسمارًا، من ذراعيه الاثنتين حتى لحم فخذيه وقدميه، كان قد فقد كثيرًا من الدماء، حتى تجلطت. إلا أن قدمه اليمنى كانت ترتعش بطريقة متكررة.

*

قبلها بستين ساعة.

تقدّم «آندي» داخل الطرقة الطويلة، تظلله تكعيبة العنب التي تركت أشكالًا من الضوء والظل على الأرض. لقد كلفه الأمر استئذانًا مبكرًا من عمله، ربما يؤثر ذلك على عدد الساعات المستهدفة، ولكن الضوي كان منبهرًا به جدًا، فهو يتعجب من نمط حياته الشخصي، لكنه سعيد بتأثيره على العملاء الإنجليز والأستراليين، ومن حبه لعمله. وحتى قبل أن يعلم ذلك، كان قد

أعطاه ما يقارب ضعف ما يحصل عليه زملاؤه في خدمة العملاء بالإنجليزية، فاستئذانه مبكراً للظفر بيوم ساخن مثل ذلك، لن يكلفه كثيراً.

توقف عند باب الفيلا المزخرف، ثم رمق الحديقة التي حوله، ودار برأسه حتى رمق باب الجراج. حصل على نفس عميق من سيجارته، فارداً أصابعه النحيفة كعادته. فُتح الباب، وابتسمت الخادمة الفلبينية. كانت جميلة إلى حد كبير.

ـ أهلًا مستر آندي! مستر أيوب مستنيك جوه.

ابتسم «آندي» وأمسك بالسيجارة ونظر حوله حينما دخل الفيلا. أراد إطفاءها تهذيباً، إلا أنها ـ أي الخادمة ـ مدت يدها وطالبته بإعطائها إياها بكل ترحاب. أومأت له، فأعطاها عقب السيجارة المشتعل، وأشارت له أن يدخل غرفة كبيرة متصلة بغرفة المعيشة، ثم رحلت هي إلى المطبخ.

بالفعل توجه إلى غرفة المعيشة، وفتح بابها الزجاجي الكبير. كانت الإضاءة شبه معدومة، وعلى الرغم من ذلك رمق المدفأة الكبيرة، وتابع طريقه إلى الغرفة السرية الداخلية. فكر «آندي» ساعتها أن أيوب يعرف كيف يحتفل، فهو يخصص غرفة كاملة لملذاته. بالفعل بدأ صوت الموسيقى الصاخب يتصاعد من باب الغرفة، وبعض الأضواء أيضاً كانت تظهر من فتحة الباب.

تلك الصفحات. رفع بضع صفحات بغتة، وكان الأمر صعبًا...

. «آندي»!

صاح بها أمير وهو يرى جسد «آندي» ممددًا، فمه الفاغر ظهر من تحت الجرائد التي غطت وجهه، ويغطي جسده كثير من الدماء، سالت منه حتى خرجت من أسفل ساقيه وذراعيه، التي ثُقبت (حرفيًّا) بمسامير طويلة امتدت من فوق جسده حتى غرزت في خشب الأرضية الداكن. لقد كان مثبتًا في «آندي» ما يقرب من خمسين مسمارًا، من ذراعيه الاثنتين حتى لحم فخذيه وقدميه، كان قد فقد كثيرًا من الدماء، حتى تجلطت. إلا أن قدمه اليمنى كانت ترتعش بطريقة متكررة.

*

قبلها بستين ساعة.

تقدَّم «آندي» داخل الطرقة الطويلة، تظلله تكعيبة العنب التي تركت أشكالًا من الضوء والظل على الأرض. لقد كلفه الأمر استئذانًا مبكرًا من عمله، ربما يؤثر ذلك على عدد الساعات المستهدفة، ولكن الضوي كان منبهرًا به جدًّا، فهو يتعجب من نمط حياته الشخصي، لكنه سعيد بتأثيره على العملاء الإنجليز والأستراليين، ومن حبه لعمله. وحتى قبل أن يعلم ذلك، كان قد

أعطاه ما يقارب ضعف ما يحصل عليه زملاؤه في خدمة العملاء بالإنجليزية، فاستئذانه مبكراً للظفر بيوم ساخن مثل ذلك، لن يكلفه كثيراً.

توقف عند باب الفيلا المزخرف، ثم رمق الحديقة التي حوله، ودار برأسه حتى رمق باب الجراج. حصل على نفس عميق من سيجارته، فارداً أصابعه النحيفة كعادته. فُتح الباب، وابتسمت الخادمة الفلبينية. كانت جميلة إلى حد كبير.

ـ أهلًا مستر آندي! مستر أيوب مستنيك جوه.

ابتسم «آندي» وأمسك بالسيجارة ونظر حوله حينما دخل الفيلا. أراد إطفاءها تهذيباً، إلا أنها ـ أي الخادمة ـ مدت يدها وطالبته بإعطائها إياها بكل ترحاب. أومأت له، فأعطاها عقب السيجارة المشتعل، وأشارت له أن يدخل غرفة كبيرة متصلة بغرفة المعيشة، ثم رحلت هي إلى المطبخ.

بالفعل توجه إلى غرفة المعيشة، وفتح بابها الزجاجي الكبير. كانت الإضاءة شبه معدومة، وعلى الرغم من ذلك رمق المدفأة الكبيرة، وتابع طريقه إلى الغرفة السرية الداخلية. فكر «آندي» ساعتها أن أيوب يعرف كيف يحتفل، فهو يخصص غرفة كاملة لملذاته. بالفعل بدأ صوت الموسيقى الصاخب يتصاعد من باب الغرفة، وبعض الأضواء أيضاً كانت تظهر من فتحة الباب.

تقدم «آندي» وفتح الباب، لكن الإضاءة كانت صاخبة أكثر مما كانت عليه الموسيقى. غطى «آندي» عينيه بحركة تلقائية، وقال بالإنجليزية:

. سيد أيوب، الإضاءة قوية للغاية هنا، بالكاد أرى أي شيء.

قالها ضاحكًا، ومشى خطوتين إلى الأمام.

لم يرد عليه أحد، ولكن بعد بضع ثوانٍ توقفت الموسيقى والإضاءة فجأة.

. مستر أيوب!

لم يرد أحد، كان المكان مظلمًا، لكنه شعر بشيء ما.. شيء ما يتحرك أمامه.

حاول أن يرى ما يحدث، ولكن حدقتيه لم تكونا قد اتسعتا بعد، فكان الأمر أشبه بشخص حصل على فلاش كهربائي في عمق الظلام، عمى مؤقت.

كان من الواضح أن أحدًا يقف أمامه.

تساءل «آندي» بالإنجليزية:

. هل هذا نوع ما من المفاجأة؟ لأني لست منبهرًا بعد!

عندما بدأت الصورة في الاتضاح أمامه، وجد شخصًا واحدًا، لا مجموعة كما توقع. ومع ذلك كانت الصورة مهتزة للغاية في عينيه.

- ششششش.. «لافلي... لافلي»!

همست بها «بولا» لتتغير تعابير وجه «آندي» للصدمة، ويظهر عليه بعض الخوف.

- مسز بولا!

قالها بنبرة تعجب، إلا أن صوتًا ما باغته من خلفه، بإنجليزية بريطانية مماثلة:

- ماذا عن الآن؟

لكن بمجرد أن دارت رقبته في اتجاه الصوت، باغتته صفعة قوية بيد «هون» أمسك به أيوب، صوت ارتطام أقرب إلى صوت سيارة اصطدمت بشيء فهشمته. صفع «آندي» الأرض مغشيًا عليه في الحال، ومن رأسه سال خيط أحمر ليس برفيع، وصل إلى فمه.

الغرفة الآن.

- «بان»، «آندي» في...

قالها محررًا رأس «آندي» من ورقة جرائد التصقت به، ليظهر وجهه مفتقدًا جزءًا من لحمه. حرفيًّا هناك جزء تم قطعه من وجهه قارب النصف، ناهيك عن الجرح الغائر في رأسه.

- «بان»!

لم يستطع أمير أن يستجمع قواه ليقولها كاملة، لكن في المبنى ٢، كانت «بان» مشغولة بشيء آخر.

لم يكد شامل يكسر قفل الباب ويندفع هو والحارس تجاهها، حتى لكمت شامل، ليسقط أرضًا وتسقط القهوة منه. تدخل الحارس وفض بينهما وحاول حماية «بان» من شامل الذي حاول ضربها، لكن الحاسب أعطى نتيجة إيجابية تلك اللحظة، معلنًا عن العثور على مكان هاتف أيوب.

ما إن رأته «بان» حتى صرخت في سماعة هاتفها، متجاهلة الحارس الذي انكب يكبل معصميها وهي تقاومه:

- وراك يا أميرا وراااك!

ساعتها توقف أمير عن محاولته الغريزية في تحرير يد «آندي» من المسامير، وتوقفت الدموع عن السقوط من عينيه. نظر عن يساره، في اتجاه باب غرفة الحماية

الرئيسية، ليجده يقف ساكنًا كالتمثال، بنطاله القماشي الحريري، وكرشه المتدلية، وسيجاره الملتهب، وقبعته الغريبة ذات الريشة، وذراعه الوحيدة ممسكة بشيء ما في حجم الشينيور الكهربائي.

- دي حركة لاإرادية مش معناها إنه عايش، الواحد لما يموت بالراحة والدم ينزل منه على مراحل، الجهاز العصبي بيفضل فيه شوية حركة، ده ما يتعارضش مع فكرة إنه خلاص مات! آه، بالنسبة للـ...

قالها وأشار إلى وجه «آندي»:

- آسف! دي حاجة بتعملها القطط لو ما لقيتش أكل، حتى لو كان صاحبها بالمناسبة، القطة ما بتقدرش تمسك نفسها أكتر من تلات أيام، الكلب سبعة.

ثم تابع:

- أنا و«آندي» كان بينا سوء تفاهم، حاولنا نمسمره.

ثم تابع بالإنجليزية:

- المنظر غير لطيف، أنا متأكد، لكن كان حتمًا عليَّ التأكد أن ذلك القرد الإنجليزي لن يذهب إلى أي مكان.

- ليه؟

تساءل أمير بنبرة أقرب إلى البكاء انتصرت على صلابته، لتسمع «بان» آخر كلمة قالها أمير قبل أن تسقط السماعة من أذنه.

كانت متجمدة، على الرغم من هجومهم عليها بعدما كُسر الباب، وعلى الرغم من صريخهم. كانت صامتة، تقريبًا لا تتنفس، تنظر إلى الشاشة التي أمامها بعينين واسعتين لا تطرفان، تريد أن تستمع إلى ما يحدث لأمير. كان الأمر بالنسبة إليها كأن كل شيء يحدث بالتصوير البطيء: صراخهم، تهجم الحارس عليها ومحاولة إمساك معصميها وتكبيلها، وأمير الذي انقطع الاتصال معه أخيرًا.

تابع أيوب:

- حاول يخدعني، كذب! كان بيستغفلني، يمكن إنت تستحق موتة أسرع منه، لأنك كنت واضح من البداية!

قالها وأطلق سهمًا من الدخان الأبيض الكثيف.

- لو الموضوع هيوصل للموت، ليه ما حذرتنيش؟

- هههههه، إنت بتتكلم جد؟ أنا ما حذرتكش؟ والقطط اللي في البوكس ما كانتش تحذير؟!

- أنا ما فهمتش حاجة من القطط الميتة!

قالها أمير وحاول أن يقف على قدميه بهدوء.

- استريح يا أميرا

أطلق مسمارًا مما يحمله بيده، فاستقر بفخذ أمير اليسرى. صرخ أمير، وخبط ثلاث مرات على الحائط الإسفنجي الأبيض، فيما خرجت بعض الدماء جعلت بنطاله الأزرق يميل للون الأسود. ألقى أمير بجسده أرضًا بجانب جثة «آندي»، هربت بعض القطط، تسارعت أنفاسه، أمسك بفخذه وصرخ للسماء حتى ظهرت عروق رقبته.

كان الأمر جليًّا، أن ما كان في يد أيوب لم يكن سوى مطلق مسامير كهربائي، يستخدم دائمًا في الخارج، ولا أحد يستعين به في مصر، إلا أن أيوب قد فطن لاستخدامه كسلاح، لا يعاقب عليه القانون لو تم العثور عليه.

- عشان غبي! إنت عارف إزاي أنا كنت بامسك القطط دي؟ الخدامة كانت بتحط علبة فاضية، وكل مرة قطة مختلفة كانت بتخش فيها، من غير ما أعمل أي حاجة. التطفل يا أميرا القطط كلها عندها المشكلة نفسها، حاملة للمرض. لو كتبت كتاب عن كيفية قتل القطة، هاتكلم عن الفضول!

ثم تصاعدت منه ضحكة طويلة، وأكمل:

- صدق أو ما تصدقش، بس انت برضو المرض جواك، هل أنا جبتك هنا تلات مرات؟ لا. هل أنا اللي خليتك تنام وتقوم تفكر في الصرخة اللي بتقول إنك سمعتها؟ لا. هل أجبرتك إنك تجند صاحبك عشان يشتغلني؟ لا. يمكن ده الجزء المضحك في الحقيقة، إنك تكتشف إنك قط برضو!

بصق شيئًا من فمه جانبًا، ثم حصل على نفس عميق من سيجاره وأطلقه بارتياح بالغ، وتابع:

- كان ممكن تكون في أي مكان دلوقتِ غير هنا، في ملعب كورة، في بلد تانية، مع أهلك، بتتعشى مع أصحابك، أو صاحبتك. كان في مليون اختيار غير إنك تيجي هنا، لكنك شُفت العلبة المقفولة، ورميت نفسك جواها، زيك زيهم، وآدي يا سيدي العلبة، مش مفرحة!

ضغط أمير على الجرح، وظهر عليه الألم وهو يقول:

- أكبر غلط هتقع فيه، لو كنت فاكر إنك هتقتلني ومحدش هيوصلك!

نطقها بصعوبة، وبدأ باقي القطط في الخروج من بين أرجل أيوب، إلى خارج الغرفة.

ساعتها تقدم أيوب خطوتين ليظهر وجهه للنور مغطى بتلك الابتسامة المرعبة، ثم قال:

- الغلط أطعم شيء دُقته يا أمير! فاكر يوم المكالمة؟ ما كنتش أعرف إني باحكم عليك بالإعدام لما دُست رقم «١».

قالها وأطلق مما يحمل طلقة اخترقت كتف أمير المصابة ليصرخ مجدداً، وتنفجر كتفه بالدماء.

- عمرك ما هتعرف إحساس إنك تخش بار ويكون نفسك في إزازة بيرة، ليك لوحدك بس، وتكتشف إن كل الأزايز مستعملة، ريالتهم الوسخة فوق كل بق إزازة، وحتى الأزايز المقفولة شاكك فيها. كان نفسي ألاقي بنت نضيفة تكون ليّ لوحدي، واحدة أنا متأكد إن عمرها حتى ما لمس راجل شفايفها، أنا راجل مش مؤذي يا أمير، أنا قررت آذي نفسي شخصيّا، مش حد تاني. «آنجيلا» حفيدتي، يعني محدش له حاجة عندي!

ثم صمت للحظة، ونظر إلى السقف محركًا ذراعيه بطريقه استعراضية، أو بمعنى أدق ذراعه اليمنى وربع ذراعه اليسرى:

- من إنتاج مزارعنا الخاصة، لما خبيتها في الأوضة دي اكتشفت إني عملت غلطة كبيرة.

قالها وأطلق دخانًا كثيفًا من جانب فمه، وهو يتعرق بغزارة، وتابع:

- بس صلحتها بعد كده.

تساءل أمير وهو ينزف:

- هوَّ الميكروفون فعلًا بايظ من الأول؟

رمق أيوب الميكروفون ببعض الاستغراب، ثم عاد ببصره لأمير قائلًا:

- هتصدقني لو قلتلك أيوه؟

ثم تابع بوجه يملأه التعجب:

- هوَّ انت فعلًا سمعت الصرخة دي يا أمير؟

نظر أمير وراءه وتراجع بكثير من الفزع، كأنه يريد أن يخترق الحائط. تلون الحائط الذي عن يمينه بكثير من دماء كتفه، التي لا يزال يطبق عليها بيمناه. وتساءل:

- قتلتها؟!

تغيرت معالم وجه أيوب، ليتجهم قائلًا:

- أنا زيي زي رسلان بالظبط، أكل دراعي عشان يدوق طعم مدربه، وزيك انت كمان، الراجل اللي خسر كل حياته عشان يدوق طعم الحقيقة. الفضول خطيئتي. أنا

كمان كنت عايز أدوق طعم لحمي، أنا وانت زي بعض. أنا مش زعلان منك!

ثم أطلق مسمارًا جديداً عليه، اخترق رقبته ومر منها لتنفجر الدماء. حاول أمير أن يمسك برقبته المنفجرة بالدماء بحركة غريزية، كأنه يريد أن يمنع الدماء أن تخرج منه، لكنه بدأ يشعر بجسده يغطى بسائل دافئ، كان دماءه، وبدأ صوته يتحشرج. أصدر خوارًا كأنه ذبح، لقد كان محظوظًا أن المسمار لم يخترق الشريان السباتي الرئيسي لرقبته.

في تلك اللحظة، سمع أيوب أصداء أقدام تقترب، وصوتًا يقول:

ـ أيوب بيه؟

كان صالح ممسكًا بسلاحه، يمشي في طرقات الدور العلوي، يحاول ألا يدهس القطط المسرعة. لقد انتصر إحساس بداخله على سلبيته، بعدما أزعجه كرم بمحادثة مخيفة، لم يكن يتوقع أن يعيرها أي اهتمام.

ـ آه، صالح بيه، زيارة عزيزة، أنا في الأوضة هنا باصلح التلفزيون. تعال اتفضل!

شعر صالح بالحرج، ودخل الغرفة بالفعل وهو يحاول إخفاء سلاحه في ظهر بنطاله، إلا أنه ما إن دخل حتى

شاهد المنظر الدامي. حاول استرجاع مسدسه من بنطاله ليباغته أيوب بكل ثقة، بالإنجليزية:

ـ أوه! أنت لن تكون في حاجة إلى ذلك!

أطلق عليه ثلاثة مسامير، استقر واحد منها في كتفه، واثنان في رئته اليسرى، وسقط ممسكًا بصدره السمين المنفجر بالدماء، وسقط أيضًا مسدسه بعيدًا عن يده، قريبًا من قدمه، فأصبح من المستحيل أن يصل إليه، وحتى لو استطاع، فلن يملك القوة ليرفع أي شيء ويطلق النار. استسلم صالح للموقف، وبدأ في محاولة مستميتة للشهيق، كأنه لا يستطيع أن يتنفس، فهو يشهق بكل ما أوتي من قوة، ويبدو في الوقت نفسه أنه لا يتنفس، لكن عينيه المفتوحتين لم تفارقا أمير.

كان أمير مستلقيًا على الأرض بدوره، يستند إلى الحائط الإسفنجي، ويمدد قدميه، تفر بعض الدماء من رقبته، فيحاول أن يمنعها، ويتدلى رأسه في إعياء واضح، وبجانبه «آندي»، مثبت في الأرض.

ـ تصدق إني لما جبت الشاكوش ده من لندن، أقنعت الظابط في المطار إنه الشينيور بتاعي؟ تخيل كمية الجهل اللي في مصر! إنت نفسك ما علقتش عليه لما شُفته قبل كده، ها؟ مع إنه سلاح قوي جدًّا!

قالها وهو يشد بعض الأجزاء من قاذف المسامير، الذي وضعه بين قدميه للحظة.

فتح أمير قبضة يده اليمنى ليظهر بها مسماران طويلان داميان، كان قد أخرجهما من «آندي». رمقه صالح، إلا أن أمير رمق المسدس البعيد عنه. نظر صالح إلى المسدس، ثم إلى أمير مجدداً، وهو يجاهد ليتنفس مجدداً بشهيقه المتقطع العالي، وكأنه قد فهم مراده.

حرك أمير رأسه إيجابًا مرة واحدة، بينما انشغل أيوب في إعادة تركيب قاذف المسامير الكهربائي الخاص به. أخذ يلعنه بأقذر الكلمات بالإنجليزية، ولم يلاحظ أن أمير قد وضع المسمارين بين إبهامه وسبابته اللتين استخدمهما كمقلاع، وألقى بالمسمارين خارج الغرفة ليصدرا صوتًا معدنيًا لافتًا.

- حد تاني معاك؟

قالها أيوب لصالح، وتحرك خطوتين في اتجاه باب الغرفة ليرى مصدر الصوت، فيما جاهد صالح واستجمع كل قواه وحرك جذعه بصعوبة، وركل المسدس في اتجاه أمير.

انزلق المسدس فوق الخشب في اتجاه يد أمير اليمنى، لكنه حاد عن الطريق، لينحني أمير جانبًا ويلتقطه،

مصوبًا فوهته إلى أيوب، الذي رأى ما حدث وصوب سلاحه بدوره إلى وجه أمير.

ـ أنا!

أجابه أمير، وأطلق ست رصاصات دوى صوتها المزعج في الغرفة، اخترقت جميعها جسد أيوب، فسقط أمام الغرفة.

*

مرت بضع ثوانٍ، وأمير لا يزال على وضع التصويب، وصوت الرصاص أشبه بالمطرقة بالنسبة إلى أذنه.

ألقى المسدس، وأمسك مجددًا برقبته المنفجرة، ثم ارتطم رأسه بالأرض، مغشيًا عليه.

ولم يستمر سوى صوت شهيق صالح المتقطع، جنبًا إلى جنب مع الصمت.

مر نصف دقيقة لا جديد فيه، سوى أن صوتًا خرج من الباب، كأنه بداية لشيء ما سيحدث. بالفعل بدأ الباب في الإغلاق أوتوماتيكيًا، ودفع في طريقه مطلق المسامير الكهربائي ويد أيوب، وأوشك على الإغلاق. تحرك أمير زاحفًا، يمسح بدمائه خشب الأرضية، متعكزًا على ذراعه غير المصابة، وقد جاهد لجر جسده في محاولة يائسة. كانت دماؤه ترسم خطوطًا طويلة

متوازية أسفله. طفق يضرب الأرض، يتألم ويجز على أسنانه، يصرخ في الباب ألا يغلق، يحدثه كأنه يعقل ما يقول. يعلم أنه لو أغلق ذلك الباب، فسينتهي أمره تمامًا حتى لو صرخ لمائة سنة، حتى لو مر من أمام الباب شخص ما جاء من أجله، فلا أحد يعلم بوجود تلك الغرفة سوى أمير، وصالح، والوغد الميت.

لكن الباب كان أسرع من محاولة أمير.

- لاااا!

بكى من الألم، وقاوم ليصل، مد يده بأقصى ما يستطيع، وصرخ صرخة خرجت من قلبه، لكن الأمر كان مستحيلًا. ها هو الباب بينه وبين الإغلاق سنتيمترات قليلة، وهو يبعد عنه مسافة المتر تقريبًا. سيغلق الباب عليهم، لن يسمع أحد عنهم بعد الآن، سيتعفنون هنا، جميعهم.

لم يعلم أمير كيف، أو من، ولكنها ظهرت من العدم، قفزت من فوقه، كأنها إحدى القطط التي كانت بالداخل، مدت يدها النحيفة بين الباب والحائط، ليتوقف الباب قبل الإغلاق أوتوماتيكيًّا.

رمقها أمير بفم فاغر، كانت هي: فتاة نحيفة، مصابة بكثير من الوهن، في الحادية عشرة من عمرها، تناثرت البثور فوق وجهها المستدير، وأغلقت عينيها من قلة

الضوء، تعاني من جفاف واضح، وتحتاج المستشفى بقدر احتياجهم له. ما إن رأت الدماء المتناثرة والأجساد الأربعة حتى صرخت باكية، همت لتهرب، ولكنها توقفت خارج غرفة الحماية، ثم تراجعت واقتربت من أمير لسبب ما، وجلست بجانبه.

في تلك الأثناء أمسك بالهاتف، فصل السماعة البيضاء الملطخة بالدماء، وضرب الرقم ١٢٢، لكنه استسلم لرغبة ملحة في الوقوع مغشيًا عليه. لمس بوجهه الأرض الباردة، وأغلق عينيه. أمسكت بالهاتف وهي على شفير الانهيار.

أخذت تبكي وتتحدث بعربية غير صلبة، ثم طلبت من المتحدث أن يوصلها بالإسعاف. ساعتها، شرحت الفتاة الأمر في الهاتف للمسعف، فطمأنها على حالة صالح، وطلب منها أن تمنع أمير من فقدان المزيد من الدماء، وأن تحافظ عليه من أن يفقد وعيه حتى تصل السيارة.

كان أمير فاقداً للاتصال بالعالم الخارجي حينما صرخت فيه، تترجاه ألا يموت الآن:

- «بليز»، خلي عينيك مفتوحة!

استجاب أمير أخيراً، وجاهد ليبقي عينيه نصف مفتوحتين، لكن الأمر كان أقوى منه. كانت صورتها قد بدأت تتلاشى، وشعر برغبة قوية في النوم، أو الموت،

أيهما أقرب، ولم تمنعه توسلاتها وصفعاتها في جسده من السقوط مغشيًا عليه مجددًا، لكن عبارة واحدة هي ما غيَّر كل شيء:

- بصلي كويس! ما تنامش! أنا حاسة إني شُفتك قبل كده! بص! دراعي فيها وشم، نجمة خضرا، بتجيبلي الحظ!

ثم قالت باكية:

- ركِّز.. مع النجمة الخضرا!

كان ذلك آخر ما سمع، وتلاشت أصواتها مع ظلمة أحاطت بعالمه. لم يستطع أن يجزم أن ما سمعه كان حقيقيًّا، لقد كان كل شيء كالحلم.

ظهرت الخادمة الآسيوية، بعدما استطاعت تحرير نفسها من الغرفة، وهي ممسكة بسكين طويل لامع، تتحرك مسرعة في اتجاه الغرفة، لترى الأجساد الأربعة في كل مكان، والبنت التي انشغلت بأمير لا تراها. تقدمت في اتجاهها، ولكن البنت لم تلتف لتشعر بها. اقتربت منها، إلا أن طلقتين صدرتا في الهواء من مسدس ميري:

- تعورك القصافة دي يا «أوشين»!

قالها ضابط متوسط الطول، لامع الشعر، صوته ساخر لكنه يحمل كثيراً من الثقة.

تجمدت الخادمة في مكانها، فيما اعتدلت الفتاة وصرخت مرتعبة. سقط السكين من يد الخادمة، ثم استدارت رافعة يديها في الهواء.

- برافو! نصدر باطاتنا. محدش يتعور، هو ده اللي باقوله دايماً.

اقترب منها الشرطي وظهر بجانبه شرطي آخر، يعاني من بعض الزيادة في الوزن. قال الأول بعدما صفع وجهها مرتين:

- جدعة! جدعة يا بت يا «أوشين»!

قالها مبتسماً، ثم دفعها في اتجاه صديقه وركلها بطريقة جعلتها تصرخ من الألم، مضيفاً:

- استلم يا باشا!

ثم اتكأ على ركبته اليمنى، ووضع يده على رقبة صالح ليتأكد من وجود نبض، ونظر إلى الفتاة الجالسة أمام أمير، الذي أغلقت عيناه. وقال للفتاة:

- تمام ما تقلقيش!

ثم غلف كلمته بابتسامة مطمئنة.

- تم التعامل سيادتك، خلي الإسعاف يخش.

قالها في اللاسلكي ليرد الطرف الآخر:

- عُلم، وتم الإرسال، مع الشكر يا بحيري بيه.

١٩

بعد شهرين.

وقفت فاطمة، وبعدها شاب ثلاثيني، وتوقف الضوي عن الكلام مع فتاة جديدة في المبنى، ووقف شابان آخران، ارتفع رأساهما تدريجيًا حتى وضحت الرؤية.

كان كل ذلك بسبب الشاب الهادئ الذي طرقت قدماه أرض المبنى اللامعة، أمير الريس يتقدم نحو حاسبه، بيد معلقة في حمالة كتف زرقاء، يمشي بعينين هادئتين، ثم استقر أمام مكتبه المفضل، كان عليه دميته الصغيرة الصفراء، بجانب الأخرى لـ«باباي»، وجلس أخيرًا.

- لقيناه.

قالتها «بان» وهي تستند إلى الحاسب كأن شيئًا لم يحدث.

- مين؟

- الحيوان اللي كان بيبعت رسايل، غلط غلطة هبلة. حط الشريحة في موبايله مرة. جبناه بـ«الإي إم إي أي»، زي ما قلت!

- مش كرم، صح؟

- «شيروكي».

- «شيروكي»؟!

- هو، بس الضوي لم الدور، وقال إنه حد غيره وظبّتها معاه، الدليل إن احنا كنا صح، إن الرسايل...

قاطعها أمير:

- بطلت تتبعت.

حركت رأسها إيجابًا، ثم أضافت:

- الفضل يرجعلك، للمرة التانية.

ابتسم نصف ابتسامة، ثم لمس دمية «باباي».

تساءلت بان:

- هيّ كانت بتحب «باباي»؟

فالتف أمير برأسه، ثم تنفس بعمق قائلًا:

- بتحب الاتنين، «المنيونز» كمان.

- بس الكارتون ده جديد.

- عارف، بس أنا متأكد إنها كانت هتحبه.

جلست بجانبه، واقتربت بكرسيها أكثر، ساعتها شعر أنهما شخص واحد:

- لو كانت موجودة، كانت قالتلك قد إيه هيَّ فخورة بيك!

- أنا عرفت اللي عملتيه عشان توصلي لمكتب شامل.

ثم تنهد ضاحكًا مضيفًا:

- عرفت إنك استخدمتِ سلاحك المفضل مع شامل.

- ما جابليش القهوة اللي باحبها في النهاية، تخيل قد إيه متخلف؟ جابلي «لاتيه».

قالتها بوجه صارم، ثم نظرت إليه وانفجرا ضاحكين.

صمت أمير لوهلة، كأنه تذكر شيئًا، ثم قال بنبرة بها بعض الأسى:

- عارفة؟ مرة كنت مسافر تركيا مع صحابي، نشتري شوية لبس ونتفسح، ده أيام ما كانت تذكرة الطيارة بالنسبة لي زي «السوبر جت»، المهم، رجعت البيت سلمت على أهلي كلهم، ونمت من التعب، نسيت أسلم على «مارلي»، صحيت من النوم لقيت المنظر ده.

قلب في موبايله حتى عرض صورة لـ«مارلي» من دون ريش تقريبًا، كأنه قد تم سلخه في سوق جمعة بمياه مغلية.

ثم حصل على نفس عميق، وأطلق سراحه قبل أن يقول، بوجه به بعض الحدة، وعينين ثابتتين:

ـ لما كنت في الأوضة، مرمي على الأرض، منتظر الطلقة الرابعة، وجنبي جثة «آندي»، وقدامي صالح غرقان في دمه، بيتعذب في كل نفس بياخده عشان يكمل، صالح بصلي بصة عمري ما هنساها، ساعتها حسيت إن أنا زي «مارلي» بالظبط.

ثم التفت بعينيه ليواجهها:

ـ هيَّ دي الصورة اللي كانت في بالي، حسيت إني لوحدي، حسيت إن جلدي مش مغطيني.

ـ بس إنت دلوقتِ هنا.

قالتها وفرت دمعة من عينها اليسرى، وقبضت برفق على ساعده، فوق كم قميصه.

ثم تداركت وتركت ساعده، ومسحت دمعتها بسرعة، وحاولت أن تتنفس بعد أن احتقن أنفها الدقيق.

ضحك أمير ضحكة قصيرة، ثم صمت لثانيتين، وقال ساخرًا وهو ينظر إلى قدمها المصابة:

. أنا سمعت إنك طرتِ زي الفراشة.

زامت «بان» بطريقة كوميدية، ضيقت عينيها وفمها الرقيق، وقالت:

. وأنا سمعت إنك قضيت ليلة ظريفة في أوتيل النقطة، «بيد آند بريكفاست»!

صدمته كلماتها المرتبة، وحرك حاجبيه من الصدمة، وعجز عن الرد للحظة، ثم ضحك طويلًا وقال:

. هاقتل كرم!

. قتل! قتل! إيه؟ خدت على المسدس؟

ابتسم مجاملة، وأشاح ببصره، وظهر عليه بعض الأسى، كأنه لا يريد أن يتذكر.

اعتذرت، وتمنت لو أنها لم تُذكره، لكن أمير عاد ليفتح مادة مختلفة للحوار:

. بس عاجبني إنك قدرتِ تستمري في «ريد فون»، بعد الدراما. بابا اتدخل؟

- خالص، ده أنا عملت «ديل» صغير مع الضوي، أنقذت رقبة صاحبه العبيط أبو عربية، مقابل إنه يكتفي بخصم.

- عندك قدرات تفاوضية ملهاش حل، خسارة إن كرم ما قدرش يكمل...

- كرم مشي عشان اتسجلتله مكالمة.. ممم.. مكالمة كده، ده غير إنه حول لواحدة عشرة جنيه وما عرفش يـ«كلاريفي».

- مكالمة كده؟

قالها ورمقها بنظرة تثير الريبة.

- آه، يعني عادي. يعني...

- وشك احمر.

- اخرس!

- مش لايق عليكِ الكسوف.

رمقته بعينين واسعتين وفم ضيق يقطر غضبًا، ليتراجع ملوحًا بكف يده:

- لايق، لايق!

عادت إلى حالتها الطبيعية، ثم رمقت الأرض ببعض الحرج، ثم انفجر ضاحكًا، لتنفجر مثله، من دون أن تتلاقى أعينهما.

صمت أمير، ثم نظر أمامه قائلًا:

- «بان»، شكرًا، أنا مش هانسى!

أعادت خصلة شعر خلف أذنها اليسرى قائلة بصوت هادئ:

- محدش هنا هينسى.

ثم ابتسمت كأنها تذكرت شيئًا ما، ومدت يدها إليه ممسكة بدمية صغيرة، وضعتها بجانب صديقتيه الدميتين الصغيرتين: «باباي» و«منيون»:

- ولا هيَّ هتنسى.

سرح أمير في الدمية الصغيرة، ونظر إلى «بان» متسائلًا:

- دي ليَّ؟

حركت «بان» رأسها إيجابًا، ثم قالت كأنها تعرفها على الدميتين الأخريين:

- «باباي»! «منيون»! دي «ساندي»!

ثم تابعت، وهي تغمز بعينها اليسرى:

- «ساندي» كوالا، وبتكره القرود.

أمسك بها أمير غير مصدق، فاغراً فاه، ثم اختفت «بان» من أمامه.

رسم نصف ابتسامة غير مصدق، نظر حوله، وظل يفكر في اليوم الذي بدأ فيه عمله في «ريد فون»، أول يوم، مروراً بتلك الصرخة حتى تلك اللحظة. بالطبع كان يتمنى نهاية أفضل من تلك، من نوعية النهايات التي لا يُفصل فيها هو من عمله. كان يتمنى ألا يجد مكتب «آندي» فارغًا، وألا يضطر للاتصال يوميًا للاطمئنان على صالح، الذي لا زال يتمسك بالحياة على الرغم من مرور أسابيع طويلة. لربما في عالم آخر، موازٍ، كان من الممكن أن يحدث هذا، أو لربما تم تكريمه من «ريد فون» العالمية خصيصًا على بطولته. شقراء طويلة ستأتي من الشركة الأم لتناوله هدية ثمينة، وتقول له بعربية سيئة: «ألف مبروك!»، لكن الأمر يختلف قليلًا عندما تكون بطل لعبة فيديو عنه في الحياة الحقيقية. هكذا فكر أمير.

ثم فاجأه صوت:

- أمير الريس؟

التفت أمير ليجد رجلًا يرتدي قبعة «فيديكس»، وقميصهم الأحمر المميز، يمسك بعلبة كبيرة. قام أمير من على كرسيه مفزوعًا، تحرك الكرسي واصطدم بالمكتب، وتراجع خطوتين:

- إنت عايز إيه؟

- هاكون عايز إيه يا باشا؟ هاسلمك طرد!

قالها وهو يلوك علكة، رامقًا أمير بنظرة تنم عن تعجب واحتقار.

- أنا مش هاستلم أي حاجة من غير ما البوليس يكشف على الطرد الأول! فاهم؟

قالها وهو يشير بسبابته في وجه الشاب، الذي توقف عن مضغ العلكة، وسقط فكه إلى الأسفل، ثم حرك ذراعه باتجاه الصندوق، ليمسك أمير بساعده برعشة واضحة:

- أنا حذرتك!

تجمد الشاب، وتابع رميه بتلك النظرة المحقرة، ثم تابع مضغ العلكة وهو يخرج من جيبه كيسًا أحمر صغيرًا في حجم كف اليد، قال وهو يسلمه لأمير:

- أنصحك ما تفتحش الظرف ده قبل ما يكشف عليه خبراء المفرقعات.

حرر أمير ساعده، على مرتين، ثم رفع يده اليمنى في الهواء معتذراً. كان التوتر الشديد واضحاً عليه.

- آسف!

- الإمضا يا باشا!

قالها الشاب وهو يعطيه ورقتين متطابقتين ملونتين.

جلس أمير منفرداً، قلب الكيس مرتين، ثم مزقه، وكان بداخله ظرف، فتحه ليجد فيه ورقتين، قرأ إحداهما، كانت بالعربية:

نعلم أن لا شيء قد يكافئك على إنقاذك لـ«آنجيلا».

هذا أقل شيء يمكننا فعله.

نتواصل حالياّ مع أسرة الضابط.

نحن نشكر اللّه كل يوم من أجلك.

ننتظر زيارتك في لندن.

الورقة الأخرى كان بها شيك بمبلغ خمسين ألف جنيه إسترليني.

وقف أمير مذهولًا، واضعًا يده فوق رأسه، فهو الآن يمتلك أكثر من نصف المليون. سيطرت فكرة واحدة عليه في الحال، صورة له مع أمه في أستراليا، أمام المستشفى الذي قرأ عنه.

إلا أنه تمنى.. أن ترافقه «بان».

(*)(*) بركان «ماونت دووم» هو بركان أسطوري ضخم، من قصة «سيد الخواتم»، من المفترض أنه البركان الوحيد القادر على تدمير الخاتم.

(**) أطلق العاملون في «ريد فون» هذا اللقب على «مستر وجيه» وهو لا يعلم به، نظراً لكونه يشبه الهنود الحمر بطريقة ما.

(***) كود يمكن بواسطته التعرف على الهاتف الذي تمت المكالمة منه؛ كل هاتف تضع فيه خط الاتصالات الشبكية يرسل كوداً مختلفاً تلقائيّاً.

(****) إسقاط على الجملة الأشهر في تاريخ الأفلام المرعبة: «أرى أناساً ميتين»، التي قيلت في فيلم «الحاسة السادسة» مع «بروس ويليس».